المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قسم الدراسات العليا

شعبة العقيدة



الشيخ عبد الرحمن بن سعدي

وجهوده في توضيح العقيدة

رسالة أعدها

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

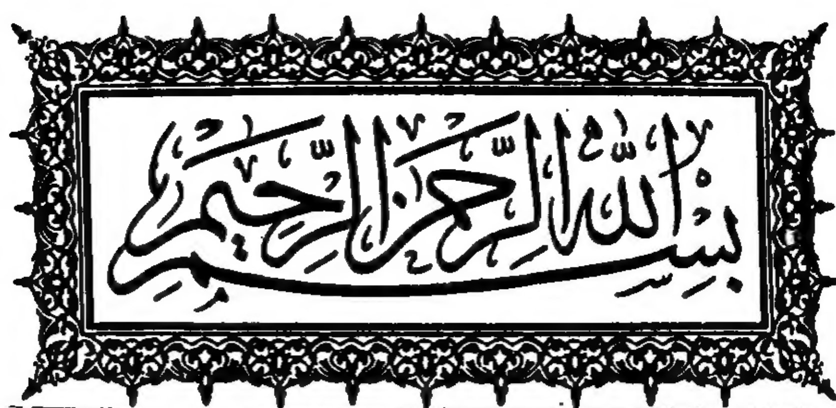
لنيل شهادة العالمية «الماجستير»

بإشراف

فضيلة الدكتور علي بن محمد بن ناصر فقيهي



١٤٠٧ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره ، وأثني عليه الخير كله ، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ..

فأتقدم بجزيل شكري وتقديري ـ بعد أن امتنّ الله عليّ باتمام هذه الرسالة ـ الى جميع من أسهم معي في اخراجها سواء بتوجيه أو تشجيع أو اعارة كتاب أو غير ذلك .

وأخص بالذكر من هؤلاء والدي الكريم حفظه الله ورعاه ، حيث قرأت عليه هذه الرسالة واستفدت من توجيهاته القيمه وارشاداته السديدة .

كما أشكر شيخي الفاضل الدكتور علي بن ناصر فقيهي ، على تفضله بالاشراف على هذه الرسالة رغم كثرة أعماله ، وعلى توجيهه ونصحه وارشاده خلال اعدادها .

كما أشكر الشيخ الفاضل المؤرخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام فقد أفادني كثيرا ولا سيما فيما يتعلق بترجمة الشيخ وحياته .

وأخيرا اتقدم بشكري لجميع المسئولين في هذه الجامعة على جهودهم المثمرة في سبيل نشر العلم ، وأسأل الله أن يضاعف جهودهم وأن يبارك فيها ، وأن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

المقدمة

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فـــلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمـدا عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون)[1]

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهـــا ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحـام ، إن الله كان عليكم رقيـبا)[2] .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفـــر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)[3] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعـــة ضلالـة ، وكل ضلالـة في النار.[4]

---

(١) آل عمران / ١٠٢

(٢) النســاء / ١ .

(٣) الأحزاب / ٧٠ ، ٧١ .

(٤) هذه الخطبـة تسمى (خطبـة الحاجة) وهي تشرع بين يدى كل حاجة ، وقد أفرد فيها العلامة الألباني رسالة خاصة جمع فيها الأحاديث الـواردة فيها وطرقها ، فـلتراجع .

وبعد : فان عقيدة التوحيد وافراد الله وحده بالعبادة هي أجل المسائل وأعظمها على الاطلاق ، فمن أجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب وبعث الرسل ، فجميع الأنبياء الذين بعثهم الله ، انما بعثهم للدعوة الى عقيدة التوحيد وافراد الله وحده بالعبادة .

قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١) .

وقال تعالى (وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (٢) .

وقال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون) (٣) .

وقد ختمهم الله سبحانه بمحمد صلى الله عليه وسلم. البشير النذير . والداعي الى الله باذنه والسراج المنير ، فعمل على ماكان عليه اخوانه المرسلون من العناية بعقيدة التوحيد فأخذ ينادى بهذه العقيدة في أرجاء قومه ، الذين عكفوا على أصنام لهم متخذينها آلهة ، يدعونها ويذبحون لها ويتوسلون بها ويقدمون لها أنواعا كثيرة من العبادة ، مع أنها حجارة لاتضر ولا تنفع ، ولا تملك لنفسها ضرا ولا رشدا ،فضلا عن أن تملك لغيرها شيئا .

فأخذ ينادى بينهم بهذه العقيدة ، ويصدع بينهم بقوله " قولوا لا اله الا الله تفلحوا " (٤) .

---

(١) سورة النحل / الآية ٣٦ .   (٢) سورة الأنبياء / الآية ٢٥ .

(٣) سورة النحل / الآية ٢ .

(٤) أخرجه البخارى في خلق أفعال العباد / ٢٧ وابن حبان (موارد الظمآن : ١٦٨٣) والدارقطني ٣ / ٤٥ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤ / ٧٦٠ ، والبيهقي ١ / ٧٦ ، ٢١٦ ، والحاكم ٢ / ٦١٢ عن طارق ابن عبد الله المحاربي رضي الله عنه. ويروى عن غيره من الصحابة ، قال الحاكم صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وقال المحدث ابي الطيب ابادى في التعليق المغني على سنن الدار قطني (رواته كلهم ثقات) .أ.هـ

فما كان منهم الا أن أنكروا دعوته . وردوا مقالته ، فقالوا له متعجبين ولدعوته مستنكرين (أجعل الالهه الها واحدا إن هذا لشئ عجاب)[١] .

فما استكان ولا توانى بل استمر صلى الله عليه وسلم يدعو إلى هذه العقيدة فدعا إليها ثلاثة عشر عاما في مكه . وواصل ذلك في المدينة بعد أن هاجر إليها .

فنفع الله بدعوته ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الشرك إلى التوحيد . ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان . وفتح الله به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما .

قال تعالى : (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور)[٢] .

وقال تعالى : (هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[٣] .

ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى أتم الله به الدين وأكمله ، حيث أدى رسالة ربه وافية كاملة ممتثلا بذلك أمر ربه حيث يقول :

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)[٤]

قال ابن كثير رحمه الله : " يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى

---

(١) ص / ٥ .
(٢) الطلاق / ١٠ ، ١١ .
(٣) الجمعه / ٢ .
(٤) المائده / ٦٧ .

الله عليه وسلم باسم الرسالة . وآمرا له بابلاغ جميع ما أرسله الله به . وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم قيام"[1] .

ثم ساق ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

" من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب ، وهو يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)[2] "[3] .

وقد أنزل الله في كتابه تبيينا وتنصيصا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أتم الله الدين وأكمله . قوله :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[4] .

وهذا الانعام أعظم نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الانس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه . وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى :(وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)[5] أى صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي . فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ، ولهذا قال تعالى :(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) أى فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٧٧ .

(٢) سورة المائدة / الآية ٦٧ .

(٣) البخارى / ٥/١٨٨ .

(٤) سورة المائدة / الآية ٣ .

(٥) سورة الانعام / ١١٥ .

به أشرف الكتب .[1]

ثم بعد موته صلى الله عليه وسلم خلفه في الدعوة إلى هذا الدين وفي الدعوة إلى هذه العقيدة الصافية ، ورثته من بعده وهم العلماء المصلحون الصحابة ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم وترسم خطاهم ، فالأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم .

كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (.... إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .[2]

قال تعالى :(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...)[3] الآيه فأهل العلم لهم جهد كبير وأثر عظيم في نقل هذا الدين وايصاله إلى الناس صافيا نقيا . ولهم جهد في الذود عن حمى هذا الدين من دسائس المبطلين وتحريف الغالين من الملاحدة والزنادقة والمبتدعة وغيرهم .

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في رسالة بعثها إلى مسدد بن مسرهد عندما سأله عن أمر الفتنة وما وقع فيه الناس من الإختلاف في القدر والرفض والإعتزال وخلق القرآن والإرجاء . قال :(.... الحمد لله الذى جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، وينهون عن الردى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، وبسنة النبي أهل الجهالة والردى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه . وكم من ضال قد هدوه ،

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٢ .

(2) أخرجه أحمد ٥/ ١٩٦ ، والترمذى ٥/ ٤٩ وابن ماجه ١/ ٨١ ، وأبو داود ٣/ ٣١٧ ، والدارمي ١/ ٩٨ . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٤٣ .

(3) فاطر / ٣٢ .

فما أحسن أثرهم على الناس ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا أعنة الفتنة ، مختلفين في الكتاب يقولون على الله وفي الله . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وفي كتابه بغير علم ، فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة ....) .[1]

فعلى مر العصور واختلاف الأيام ، يقيض الله لهذا الدين العلماء الأعلام ، فيقومون بارشاد الناس إلى الدين ، ويهدونهم إلى الطريق المستقيم عن طريق الخطب ، والمواعظ والدروس والمؤلفات النافعة .

فيحيون ما اندرس من السنن ، ويردون ما جد من الحوادث والبدع ، ويكونون أئمة خير يهدون الناس بأمر الله إلى كل خير ، وبهم يكون صلاح الدين والدنيا وبفقدهم فلا خير في الدنيا ، بل هي سواهم وسوى ذكر الله ملعونه ملعون ما فيها .

كما ورد في الحديث (الدنيا ملعونه ملعون ما فيها ، الا ذكر الله وما والاه ، وعالما أو متعلما) .[2]

وان من هؤلاء الهداة الأعلام المبرزين في القرن الرابع عشر المنصرم ، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدى المتوفى في عام ١٣٧٦ هـ رحمه الله تعالى .

فقد بذل رحمه الله حياته ، ونذر أوقاته لخدمة العلم ، وقد عرف منذ حداثة سنه برغبته القوية وحرصه الشديد على تحصيل العلم ، فكان لا يصرفه عنه صارف ، ولا يشغله عنه أى أمر من الأمور باذلا له حياته صارفا

---

(١) مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ٢١٧/٧ ، وطبقات الحنابله لابن أبي يعلى ٣٤٢/١ .

(٢) أخرجه الترمذى ٥٦١/٤ وابن ماجه ١٣٧٧/٢ ، وحسنه الألباني .انظر صحيح الجامع ١٥٢/٣ .

فيه أوقاته ، زاهدا في كل مايشغله عن العلم والتعلم . فحفظ القرآن عن ظهر قلب في الحادية عشرة من عمره ، ثم أقبل على العلماء يواظب على دروسهم ، وأكب على كتب أهل العلم يقرأها وينهل من معينها فانقطع رحمه الله للعلم وتحصيله حفظا وفهما ودراسة ومراجعة واستذكارا وتطبيقا ، حتى نال في وقت مبكر من عمره علوما كثيرة وفنونا مختلفة .

وقد بارك الله فيه وفي أوقاته ونفع به ، فاستفاد منه خلق كثير في حياته ، ولا يزالون ينتفعون من مؤلفاته بعد وفاته ، فله رحمه الله مؤلفات كثيرة تربو على أربعين مؤلفا في سائر فنون الشريعة فله مؤلفات عديدة في العقيدة الاسلامية وفي التفسير وعلومه وفي الفقه وأصوله وفي محاسن الدين وآدابه وغير ذلك ، وهي سهلة الأسلوب قريبة المأخذ ، واضحة المعاني ، جامعة شاملة .

وقد كان له رحمه الله عناية بالغة بالعقيدة الاسلامية ، كشأن علماء أهل السنه والجماعه . وقد خصها بمؤلفات عديدة أفردها لبيان العقيدة وتوضيحها والرد على من خالفها ، ومؤلفاته التى أفردها في العقيدة تربو على عشرة مؤلفات ، ثم إنه يعنى في العقيدة في سائر مؤلفاته ، وكتابه " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " يعد مرجعا هاما في بيان العقيدة وتوضيحها والرد على من خالفها ، وكذلك خلاصة هذا التفسير المسمى بـ" تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن " . وغيرهما من مؤلفاته .

فكان رحمه الله يعتني بأمر العقيدة ويرى أنه أعظم المسائل وأكبرها وأهمها وأجدرها بالتوضيح والبيان .

وقد استفاد كثيرا من كتب من سبقه من علماء الاسلام المتقدمين ، ولا سيما

من كتب العالمين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزيه الذين ظهر تأثره بهما في مؤلفاته ، فقد نهج رحمه الله نهجهما في تأصيل القواعد وتقريرها وفي الردود على المخالفين لهذه العقيدة ، كما اعتنى رحمه الله بمؤلفاتهما شرحا وتوضيحا وتبيينا .

ولما كان على كل طالب في الدراسات العليا أن يقدم بحثا علميا في مجال تخصصه فقد رأيت أن أقوم بدراسة علمية لجهود هذا العالم الجليل في توضيح العقيدة ، واستخرت الله في ذلك وشاورت بعض أهل العلم من تلاميذه وغيرهم فوجدت التأييد التام ممن سألته ، فعزمت أمري وتوكلت على الله ، وباشرت الكتابه في هذا الموضوع وجعلته بعنوان : (الشيخ عبد الرحمن ابن سعدى وجهوده في توضيح العقيدة) وجعلته في مقدمه وبابين وخاتمة .

أما المقدمة : فهي هذه وقد جعلتها تمهيدا لهذا البحث وبينت فيها أهميته ، والخطة التى سرت عليها فيه .

وأما الباب الأول : فقد خصصته للحديث عن حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدى ، وقسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : عن حياته الشخصية وقسمته إلى ثمانية مباحث .

تحدثت فيها عن نسبه ، ومولده ، ووفاة والديه ، ونشأته ، وصفاته الخَلقية والخُلقيه وأعماله ، ومرضه ، ووفاته ، ورثائه .

والفصل الثاني : عن حياته العلمية وقسمته أيضا إلى ثمانية مباحث .

تحدثت فيها عن طلبه للعلم وحرصه عليه ، وشيوخه ، وعنايته بكتب شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وتأثره بهما ، وجلوسه للتدريس ، وطريقته فيه ، وتلاميذه ، وعقيدته ، وتنوع ثقافته ، ومؤلفاته ، وثناء العلماء عليه .

وأما الباب الثاني : فخصصته للحديث عن جهوده في توضيح العقيدة

وقسمته الى أربعة فصول :

الفصل الأول : عن جهوده في توضيح الايمان بالله وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عن توحيد الربوبية .

والمبحث الثاني : عن توحيد الأسماء والصفات .

والمبحث الثالث : عن توحيد الألوهية .

والفصل الثاني : عن جهوده في توضيح الايمان بالنبوات وضمنته الحديث عن الايمان بالملائكة والكتب .

والفصل الثالث : عن جهوده في توضيح الايمان باليوم الآخر وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

المبحث الأول : الايمان بأشراط الساعه .

المبحث الثاني : الايمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه .

المبحث الثالث : الايمان بالنفخ في الصور .

المبحث الرابع : الايمان بالبعث والنشور .

المبحث الخامس : الايمان باليوم الآخر بعد البعث .

والفصل الرابع : عن جهوده في توضيح تعريف الايمان وما يتعلق به من مسائل كالاستثناء في الايمان وزيادة الايمان ونقصانه ، وحكم مرتكب الكبيرة وغير ذلك .

وأما الخاتمة : فقد عرضت فيها ملخصا موجزا للنقاط الهامة في هذا البحث .

هذا وقد بذلت جهدي في هذا البحث ، فاستقصيت جميع مؤلفات الشيخ بعد أسفار متعددة الى عنيزه والرياض ، واتصلت بعدد من تلاميذه ، وعكفت على كتبه وقرأت منها مايتعلق بالعقيدة ، ثم سطرت هذه الرسالة ، مستفرغا فيها وسعي باذلا فيها طاقتي ، وهي في الحقيقة بضاعة متواضعة من شخص مقل ، حسبه فيها أنه قدم جهده ، وتوخى أن تصل الى درجة مرضية .

واتماما للفائدة من هذه الرسالة قمت بعزو الآيات القرآنيه الى أماكنها ، وتخريج الأحاديث النبوية باختصار ، ووثقت النقول بذكر مصادرها ، وأما ماأهملت توثيقه من أقوال بعض المعاصرين فلأني أخذته منهم مشافهة .

كما جعلت في آخر الرسالة خمسة فهارس :

- فهرسا للآيات القرآنية .
- وفهرسا للأحاديث النبوية .
- وفهرسا للأعلام .
- وفهرسا للمراجع .
- وفهرسا للموضوعات .

والله الكريم أسأل أن يتقبل هذا الجهد بقبول حسن ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، فهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه
عبد الرزاق عبد المحسن العباد
المدينة في ٢١ رمضان ١٤٠٧ هـ

الباب الأول

حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي

وفيه فصلان

الفصل الأول : حياته الشخصية .

الفصل الثاني : حياته العلمية .

الفصل الأول

حياته الشخصية

الفصل الأول

حياته الشخصية

وفيه ثمانية مباحث :-

أولا : نسبه .

ثانيا : مولده ووفاة والديه .

ثالثا : نشأته .

رابعا : صفاته الخَلقية .

خامسا : صفاته الخُلقيه (أخلاقه) .

سادسا : أعماله .

سابعا : مرضه ووفاته .

ثامنا : رثاؤه .

حياته الشخصية (*)

أولا : نسبه :

هو العلامة الورع الزاهد ، الفقيه الأصولي المحقق المدقق الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدى . من

(*) مصادر ترجمة الشيخ ابن سعدى :-

١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي ٢١٩/١ .
٢) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ٤٢٢/٢ .
٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ٣٩٢ .
٤) علماء آل سليم وتلامذتهم للشيخ صالح بن سليمان بن محمد العمرى ٢٩٥/٢ .
٥) النعت الأكمل لأصحاب الامام أحمد بن حنبل لمحمد كمال الدين بن محمد الغزى العامرى /٤٢٨ .
٦) ترجمة في آخر كتاب المختارات الجلية لابن سعدى ، طبعة المدني بقلم الشيخ سليمان بن عبد الكريم السناني .
٧) ترجمة في آخر المختارات الجلية لابن سعدى ، طبعة السعيدية بقلم أحد تلاميذ الشيخ ، وهي حرفيه أو شبه حرفيه من مشاهير علماء نجد لآل الشيخ .
٨) مقدمة كتاب الرياض الناضرة لابن سعدى بقلم أحد تلاميذ الشيخ .
٩) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع وتقديم محمد حامد الفقي . وهي جملة من المقالات لابن الشيخ المترجم له ولأحد تلاميذه ولغيرهما قام بجمعها الشيخ محمد حامد الفقي .
١٠) الاعلام لخير الدين زركلي ٣٤٠/٣ .
١١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣٩٦/١٢ .

=

نواصر بني تميم ، من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم الشهيرة .[1]

المكنى بأبي عبد الله ، الشهير بعلامة القصيم .

نزح جدهم من قفار قرب حائل ،[2] وقيل من المستجدة وهي قريبة من حائل أيضا[3] ، الى عنيزه حوالي عام ١١٢٠ هـ .[4]

= ١٢) مجلة الجامعة الاسلامية س : ١١ ، ع : ٤ ، ص ٢٠٥ . مقال للدكتور عبد الرحمن العدوى .

١٣) مجلة العرب س : ٧ عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٣ هـ ، ص ٦٩٠ بعنوان :
معجم المطبوعات العربية تحدث فيه عن مؤلفات ابن سعدى .

١٤) مجلة الحج الحجازية س : ١١ ، ع ١ ، سنة ١٣٧٦ هـ ، ص : ١٢٥ .

١٥) مقدمة كتاب شرح القصيدة التائية بقلم عبد الغني عبد الخالق .

١٦) جريدة البلاد ، بجده ، بتاريخ ١٣٧٨/٧/٢٤ بقلم صالح العبدلي .

١٧) بالإضافة إلى بعض الأوراق المتفرقة ، والاتصالات الشخصية ببعض تلاميذ الشيخ .

(١) روضة الناظرين للقاضي ٢١٩/٢ ، وعلماء نجد للبسام ٤٢٢/٢ وغيرهما .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ٢١٩/١ .

(٣) علماء نجد للبسام ٤٣٣/٢ .

(٤) المصدران المتقدمان وغيرهما .

أما نسبه من قبل أمه ، فأمه من آل عثيمين ابنة سليمان العثيمين ، وآل عثيمين من آل مقبل من آل زاخر من الوهبه من بني تميم ، وهم من شقراء، نزح جدهم منها الى عنيزه وطاب له السكنى فيها [1] .

ثانيا : مولده ، ووفاة والديه :

ولد في عنيزه في القصيم ، وذلك بتاريخ ١٢ المحرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية .

وتوفيت أمه سنة ١٣١٠ هـ وله أربع سنوات ، وتوفي والده سنة ١٣١٣ هـ وله سبع سنوات ، فعاش يتيم الأبوين . [2]

ثالثا : نشأته :

كان والد الشيخ عبد الرحمن ، من طلبة العلم الحر يصين على الطلب ، الملازمين على العبادة المحافظين على الديانة بأنواعها وكان اماما في مسجد

---

(١) المصدران المتقدمان .

(٢) آخر كتاب المختارات الجليه طبعة المدني بقلم السناني ص : أ ، ومقدمة كتاب الرياض الناضره بقلم أحد تلاميذ الشيخ ، وغيرهما .
وفي آخر كتاب المختارات الجليه طبعة السعيدية ترجمة للشيخ بقلم أحد تلاميذه / ٤١٠ ، ذكر فيها أن والده توفي وله ثمان سنوات ، وفي مشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٢ ذكر أن والده توفي وله اثنتا عشرة سنه وهو خطأ ، لأن جميع من ترجم له يذكر أن والده توفي وله سبع سنوات ، وكذا ابنه عبد الله ذكر ذلك في ترجمته لوالده . انظر سيرة عبد الرحمن السعدى ، جمع محمد القفي / ١٨ .

المسوكف بعنيزة . (١) فعني بابنه عبد الرحمن وسعى في تربيته تربية صالحـة .

فلمّا توفاه الله عطفت عليه زوجة والده وكفلته وأحبته أكثر من حبهـا لأولادها وصار عندها موضع العناية والرعاية ، فلما شب صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر ، فنشأ نشأة صالحة كريمة . (٢)

وكان والده قد أوصى به إلى ابنه الأكبر حمد فقام برعايته وتربيته خير قيام ، وكان حمد رجلا صالحا ومن حملة القرآن ومن المعمرين . (٣)

هذا وان الشيخ عبد الرحمن كان منذ نشأته صالحا مثارا للاعجاب محافظا على الصلوات الخمس مع الجماعة ، واشتهر منذ حداثته بفطنته وذكائه ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله . (٤)

فتوفرت له البيئة الصالحة ، والرغبة الشديدة في طلب العلم ، فاجتهد في طلب العلم وجد فيه وسهر الليالي وواصل الأيام ومضى في طريقه قدمـا لا يلوى على شيء غير العلم ولا يريد شيئا غير تحصيل العلم. فلا يكاد الواصفون يصفون شدة حرصه واقباله على العلم والتعلم ، وهكذا حتى نال حظا وافـرا في العلوم الشرعية . (٥)

---

(١) آخر المختارات الجليه ، طبعة المدني بقلم سليمان السناني ص أ ، وروضة الناظرين للقاضي ١/٣١٩ .

(٢) علماء نجد للبسام ٢/٤٣٣ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ /٣٩٢ .

(٣) روضة الناظرين للقاضي ١/٣١٩ .

(٤) روضة الناظرين للقاضي ١/٣١٩ ، سيرة السعدى جمع الفقي بقلم أحد تلاميذ الشيخ /٩ .

(٥) سيرة السعدى جمع الفقي بقلم أحد تلاميذ الشيخ /١٠ ، وآخر كتاب المختارات الجليه بقلم السناني /أ .

رابعا : صفاته الخَلقية :

كان ذا قامة متوسطة ، شعره كثيف ، ووجهه مستدير ممتلىء طلق ، ولحيته كثيفة ، ولونه أبيض مشرب بالحمرة ، وكان شعره في شبيبته في غاية السواد . وفي شيخوخته في غاية البياض يتلألأ كأنه فضة ، ووجهه حسن عليه نور في غاية الحسن وصفاوة اللون (١) .

خامسا : صفاته الخُلقيه (أخلاقه) :

أ ـ (له أخلاق أرق من النسيم وأعذب من السلسبيل لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة ، يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب ، يقابل بالبشاشة ، ويحيى بالطلاقة ، ويعاشر بالحسنى ويجالس بالمنادمة ، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود ، ويعطف على الفقير والصغير ويبذل طاقته ووسعه ، ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه بلسان صادق ، وقلب خالص ، وسر مكتوم ، ومهما أردت أن أعدد فضائله ومحاسنه في مجال الأخلاق الكريمة والشيم الحميدة التي يتحلى بها فإنني مقصر وقلمي عاجز ، ولا يدرك هذا الا من عاشره وجالسه لذا فإن الله سبحانه أعطاه محبه في القلوب وثقه في النفوس ، فأجمعت البلاد على وده ، واتفقت على تقديمه ، فصار له زعامة شعبية ، فاشارته نافذة وكلمته مسموعة وأمره مطاع) . هكذا وصفه تلميذه عبد الله البسام (٢)

ب ـ وكان رحمه الله ذا دعابه يتحبب إلى الخلق بحسن خلقه مرحا للجليس لا يرى الغضب في وجهه طلق الوجه ، كريم المحيا ، وكان يكثر الحج ويصوم

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ١ / ٢٢٥ . وآخر كتاب المختارات الجليله ، طبعة المدني ، بقلم السناني ، ص هـ .

(٢) علماء نجد ٢ / ٤٢٩ .

البيض وغيرها ويتكلم مع كل فرد بما يناسب حاله [1] ويعاشر الخلق معاشرة تامة كل بحسب حاله من يعرف ومن لا يعرف الصغير والكبير والخاص والعام، والرجال والنساء، محبا للخير مقدما عليه. [2]

جـ - ولم ير قط الا مبتسما أو بادية أسارير وجهه، ولم يقابله أي شخص الا بادره بالسلام واللطافة الصغير والكبير، ومن يعرف ومن لا يعرف، وقل من يراه إلا ويعرفه، ويباسط كل أحد بحسب حاله مباسطة تؤلف القلوب وتمكن المودة. [3]

د - وكان على جانب كبير من التواضع ولين الجانب بندر مثله تحس إذا جالسته كأنك أقرب الناس إليه. [4] متواضعا للصغير والكبير والغني والفقير، وكان لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم ومشاركتهم في مجتمعاتهم [5] يجيب دعوتهم ويزور مريضهم ويشيع جنائزهم. [6]

هـ - وكان على جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم في كل أعماله، زاهدا متعففا عزيز النفس مع قلة ذات يده [7]، ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء، مادا يد المساعدة لهم بحسب قدرته. ويستعطف

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ١/٣٣٤.

(٢) آخر كتاب المختارات الجليه، طبعة المدني، بقلم السناني ص: د.

(٣) آخر كتاب المختارات الجليه، طبعة المدني بقلم السناني، ص: د.

(٤) مقدمة الرياض الناضره لأحد تلاميذ الشيخ /٦، وعلماء آل سليم للعمري ٢/٢٩٥.

(٥) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٤.

(٦) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٣.

(٧) مقدمة الرياض الناضره لأحد تلاميذ الشيخ /٦، وروضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٣.

لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير في المناسبات ،[1] ويدفع للفقراء من الطلبه الأموال ليتجردوا عن الانشغال بوسائل المعيشة .[2]

و - وكان محبا لاصلاح ذات البين . فما من مشكلة تعرض عليه الا ويحلها برضا الطرفين ، لما ألقى الله في قلوب الخلق من مودته والانقياد لمشورته والاصغاء لقوله مهما كانت الحال ، ولا يكاد يوجد من يرى مخالفته في أى حال من الأحوال .[3]

ز - وكان ملبسه متوسط الحسن مجانبا للشهرة ، لا يرغب ملابس الشهرة ، فملابسه حسنة طيبة بعيدة عن الشهرة .[4]

سادسا : أعماله :

وأعني بأعماله ، ماقام به الشيخ من مشاريع خيرية ، أو ماتولاه من أعمال دينية .

وقد كان رحمه الله محبا للمشاريع الخيريه العامة والخاصة آمرا بها ، ساعدا عليها ، وله أعمال كثيرة حسنه جهريه وسريه ، لم يظهر بعضها إلا بعد وفاته وهي كثيره جدا .[5]

وفيما يلي أعرض بعض المشاريع التى قام بها والأعمال التى تولاها :

---

(١) مقدمة الرياض الناضره لأحد تلاميذ الشيخ / ٦ .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ١/ ٢٢٤ .

(٣) آخر كتاب المختارات الجليه ، طبعة المدني ، بقلم السناني ، ص : د وسيرة السعدى ، جمع الفقي / ١٣ .

(٤) آخر كتاب المختارات الجليه ، طبعة المدني ، بقلم السناني ص : هـ .

(٥) المصدر المتقدم ص : د .

أ - كان مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشئونهم ، فهو مدرس الطلاب وواعظ العامه وامام الجامع وخطيبه ومفتي البلاد وكاتب الوثائق ومحرر الأوقاف والوصايا وعاقد الأنكحة ومستشارهم في كل مايهمهم[1]. كل ذلك خدمة لوجه الله .

ب - قام في سنة ١٣٦٠ هـ بتأسيس المكتبة الشهيره بالوطنيه في عنيزه على نفقة الوزير ابن حمدان ، وجلب لها آلاف الكتب في شتى الفنون ، وصارت هذه المكتبه مجمعا لطلاب العلم يقرءون عليه فيها ، وكانت المراجع متوفرة فيها .[2]

جـ - رشح لقضاء عنيزه عام ١٣٦٠ هـ وامتنع منه تورعا[3] ، ولم يدخل في أي وظيفة لا قضاء ولا غيره . وعرض عليه القضاء أكثر من مره ولكن سهل الله له الفكاك منه .[4]

د - عين اماما وخطيبا للجامع الكبير بعنيزه في رمضان عام ١٣٦١ هـ بأمر الشيخ عبد الرحمن بن عودان وهي حسنه من حسناته أحبه الناس عليها وحفظوها له .[5]

هـ - قام في سنة ١٣٦٣ هـ ، بجمعية خيرية لعمارة مقدم الجامع الكبير ، بعنيزة

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٤ .

(٢) روضة الناظرين ١/٢٢٣ .

(٣) روضة الناظرين ١/٢٢١ .

(٤) آخر كتاب المختارات الجليه طبعة المدني ، بقلم السناني، ص : ج .

(٥) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٣ . وعبد الرحمن بن عودان هو قاضي عنيزة اذ ذاك .

وانتهت بعمارة محكمة مع توسعه . [١]

و - وقام في سنة ١٣٧٢ هـ بجمعية أخرى خيرية لعمارة مؤخر المسجد وانتهت على مايرام بمساعيه المشكوره . [٢]

ز - عين مشرفا على المعهد العلمي بعنيزه سنة ١٣٧٣ هـ ، يقول الشيخ عبد الرحمن العدوى أحد المدرسين في المعهد اذ ذاك بعد أن ذكر خبر تعيينه مدرسا هناك قال : (وفي نفس الوقت بلغنا أن الشيخ عبد الرحمن السعدى قد عين مشرفا على المعهد من الناحية العلمية ، وكان تعيينه براتب شهرى قدره ألف ريال . ولكن الشيخ رحمه الله تعالى أرسل الى رئاسة المعاهد العلميه أنه على استعداد للاشراف على المعهد حسبة لوجه الله تعالى ، وأنه لا يريد أن يكون له على ذلك أجر مادى وقبلت الرئاسة شاكرة له هذا الصنيع الذى لا يصدر الا من عالم زاهد يبتغي وجه الله) . [٣]

ثم قال (كان رحمه الله يأتي الى المعهد بانتظام يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، ثم يدخل الى آخر صف و يجلس فيه كأنه أحد طلاب هذا الفصل . و يكرر هذا العمل في أكثر من فصل و يستمع الى أكثر من مدرس ولم يكن في المعهد من المدرسين المصريين الا أنا و زميل آخر ، أما بقية المدرسين فكانوا من أبناء الشيخ علمهم في المسجد الجامع الى درجة تسمح لهم بالقيام بتدريس المواد التى تعلموها على يديه) [٤] .

---

(١) روضة الناظرين ، للقاضي ١/٢٢٣ .

(٢) روضة الناظرين ، للقاضي ١/٢٢٣ .

(٣) مجلة الجامعة الاسلامية ، سنة : ١١ ، ع : ٤ ، ص : ٢٠٥ .

(٤) المصدر السابق/ ٢٠٦ ، بتصرف .

ح - هو أول من أدخل مكبر الصوت في عنيزه ، وله خطبه في منافعه قالها حين وضعه في المسجد واستنكره بعض الناس قال فيها : (وكذلك ايصال الأصوات والمقالات النافعه الى الأمكنه البعيده من برقيات وتلفونات وغيرهما ، داخل في أمر الله ورسوله بتبليغ الحق الى الخلق ، فان ايصال الحق والكلام النافع بالوسائل المتنوعة من نعم الله ، وترقية الصنائع والمخترعات لتحصيل المصالح الدينية والدنيوية من الجهاد في سبيل الله) .(١)

ط - وله أعمال خيريه سريه كثيره عرف بعضها بعد وفاته :
منها : أن امرأه أرمله لها بيت ، أصبحت مدينه بمال كثير ، فرهنت بيتها ، وليس لها عمل تقتات به ، فأحس بذلك الشيخ فصار يتعهدها ويعطيها ارسالا مما يأتيه من أهل الخير ، فكانت تدفع أكثر مايصلها الى صاحب الدين وتبقي قليلا من المال تقتات به . فبقيت على تلك الحال مده من الزمن فخلص الدين بأجمعه وذلك قبل وفاة الشيخ بأشهر ، فلما توفي رحمه الله ظهر الخبر من المرأة ، وكانت دائما تذكره وتدعو له ، وأمثالها في ذلك كثير فرحمه الله رحمة واسعة .(٢)

سابعا : مرضه ووفاته :

أصيب عام ١٣٧١ هـ أى قبل وفاته بخمس سنوات بمرض ضغط الدم وتصلب الشرايين فكان يعتريه مرة بعد مرة وهو صابر عليه ، وكانت أعراض المرض تبدو

---

(١) الخطب المنبريه / ٨١ .
وانظر مجلة الجامعة الاسلاميه سنة ١١ ع : ٤ ص : ٢٠٧ فيها ذكر سبب ادخال مكبر الصوت .
(٢) آخر كتاب المختارات الجليه ، طبعة المدني ، بقلم السناني ، ص : هـ .

عليه بعض الساعات في الكلام فيقف ولو كان يقرأ القرآن ثم يتكلم . (١)

فاهتمت به الحكومة ، حيث أرسل له الملك سعود رحمه الله طائرة خاصة وفيها طبيبان ، قررا بعد الكشف عليه سفره للعلاج في لبنان وصحباه في السفر . (٢)

فسافر الى بيروت في عام ١٣٧٣ هـ وبقي هناك شهرا يعالج حتى شفاه الله ، ونصحه الأطباء بالراحة وقلة التفكير والاجهاد . (٣) واجتمع في سفره هذا بعدد من العلماء وتعرف بجملة من الفضلاء (٤) ، منهم الشيخ العلامة محمد ناصرالدين الألباني كما حدثني بذلك .

ثم رجع الى عنيزه فباشر فيها أعماله ، ولم يصبر على ترك العلم فقام فيها تعليما وامامه وخطابة وتأليفا وبحثا لأن هوايته العلم وكان يقول ان راحتي في مزاولة عملي . (٥)

فصار المرض يعاوده ثم يشفى ، ولا يصده عن الخروج ، ويحدث معه رعده وسكته لا يقدر معها على الكلام وتبقى دقيقة واحدة ثم تزول بدون تألم سوى برد يتلوه عرق . (٦)

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/ ٤٢٩ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٦ وغيرهما .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ١/ ٢٢٥ ، وآخر كتاب المختارات الجليه ، طبعة المدني ص : ز .

(٣) علماء نجد للبسام ٢/ ٤٢٩٢ ، وروضة الناظرين للقاضي ١/ ٢٢٥ وغيرهما .

(٤) آخر كتاب المختارات الجليه طبعة المدني ، ص : ز .

(٥) علماء نجد للبسام ٢/ ٤٣٩ ، روضة الناظرين للقاضي ١/ ٢٢٥ ، مشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٦ . وغيرها .

(٦) روضة الناظرين للقاضي ١/ ٢٢٥ .

وفي شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ اشتد عليه المرض أكثر مما كان وصار معه شل البرد والقشعريه .

وفي ليلة الأربعاء ٢٢ من الشهر المذكور ، وبعد فراغه من الدرس اليومي المعتاد ، وبعد فراغه من صلاة العشاء ، أحس بثقل وضعف في الحركة فأشار الى أحد تلاميذه بأن يمسكه ويذهب معه الى البيت ففعل وهرع معه أناس من الحاضرين ، فلم يصل الى البيت الا وقد أغمي عليه ، ثم أفاق بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ، وتكلم مع أهله والحاضرين بكلام حسن طيب ، ثم عاوده الاغماء مرة أخرى فلم يتكلم بعد ذلك .

فلما أصبحوا صباح الأربعاء دعوا الطبيب فقرر أن معه نزيفا في المخ ، وان لم يتدارك فورا فانه يموت .

فأبرقوا لابنه وللملك فيصل ـ لما كان وليا للعهد ـ فأصدر أمره الكريم عاجلا بكل مايلزم فقامت طائرة خاصة وفيها طبيب مخ ومهرة من الاطباء والعلاجات الى مدينة عنيزه وكان فيها ابنه عبد الله .

ولكن الجو كان ملبدا بالغيوم والرعد والبرق والعواصف الشديدة ، وفيه أمطار قد تتابعت أكثر من شهر ، تهدمت منها البيوت ونزلت أخشاب سطوح المساجد ، فلم يساعد الجو على هبوط الطائره . فتلقت المكالمه وهي في الجو بوفاته فرجعت من حيث أتت .

حيث أنه توفي رحمه الله قبل طلوع فجر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ ، عن تسع وستين سنه . (١)

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ٢٢٦/١ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ وغيرهما .

وصلى عليه بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير ، ودفن في مقابر الشهوانيه شمال عنيزه . (١) وأخروا الصلاة عليه الى الظهر لعل أحد أبنائه يدركه ، فلم يدركه أحد منهم ، وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام . في حشد كبير لم يشهد له مثيل جمع أهل البلد قاطبه والقرى والمدن المجاورة . (٢)

والحقيقة أن عنيزة منذ تأسست لم تصب عامة مثل مصيبتها به وظهر ذلك في البكاء والحزن الشديد من كل المواطنين ، كما ظهر في الازدحام الشديد على الجنازة التي لم يبق كبير ولا صغير لم يشهدها .

وبموته فقدت البلدة أعز وأغلى شخص يعيش فيها وأحس المواطنون بفراغ واسع بفقده ، وحتى الآن وذكره في الألسن ، ومحبته في القلوب وأحاديثه وارشاداته وفتاويه هي حديث المجالس وأنس المحافل رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته . (٣)

وخلف رحمه الله ثلاثة أبناء وهم عبد الله ومحمد وأحمد ، وهم يشتغلون بالتجارة بالرياض والدمام وعبد الله هو أكبرهم سنا وله يد في طلب العلم ، وقد اعتني بطبع بعض مؤلفات والده وتوزيعها مجانا (٤) ، وقد توفي عبد الله في ٢٤/٤/١٤٠٥ هـ في حادث سيارة غفر الله له ولوالديه ووالدينا وجميع المسلمين .

ثامنا : رثاؤه :

وقد رثاه رحمه الله كثير من العلماء والأدباء بمراث عديده نظما ونثرا .

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٩ .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٧ .

(٣) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٤) علماء نجد للبسام ٢/٤٣٠ .

أ - فمن القصائد التى قيلت في رثائه قصيدة رنانة طويلة للدكتور عبد الله ابن صالح العثيمين منها :

مهج تذوب وأنفس تتحسر ... ولظى على شغف القلوب تسعر

الحزن أضرم في الجوانح والأسى ... يصلي المشاعر بالجحيم ويصهر

ملأ الضمائر حسرة وكآبة ... لا شيء يبرئها ولا هي تجبر

اليوم ودعنا أبا ومهذبا ... والحزن يغلي في الدماء ويزخر

كل امرئ في الكون غايته الردى ... والموت حتم للنفوس مقدر

لكن من اتخذ الصلاح شعاره ... تفنى الخليقة وهو حي يذكر

ما مات من نشر الفضيلة والتقى ... وأقام صرحا أسه لا يكسر

ما مات من غمر الأنام بعلمه ... الكتب تشهد والصحائف تخبر

يا زاهدا عرف الحياة فما هوى ... في المغريات ولا سباه المظهر

نم في جنان الخلد يا علم التقى ... وانعم بظل وارف لا يحسر (١)

ب - ومن هذه القصائد ، قصيدة للشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين منها :

رزء عظيم أثار الحزن والأسفا ... فالدمع فيه على الخدين قد وكفا

اليوم حقا فقدنا للهدى علما ... اليوم حقا فقدنا الزهد والشرفا

بقت عنيزة دهرا وهي رافعة ... لواء فخر له كل الورى عرفا

ظلت به العرب دهرا وهي فاخرة ... واليوم أضحت تعزى فيه وأسفا

فذي تصانيفه قد قام قائمها ... يدعو العباد عليها الكل قد عكفا

لهفي بذا العالم قد حق العزاء لنا ... في فادح لو أصاب الطود لارتجفا

فالله يلهمنا صبرا فقد عظمت ... مصيبة أثقلت في حملها الكتفا

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٧ ، وعلماء نجد للبسام ٢/٢٩٩ .

والله يجزيه عن احسانه حسنـا والله يسكنه من جنة غرفـا [1]

جـ - وقد رثى رحمه الله بقصائد أخرى منها مرثيه للشيخ محمد بن عثمان القاضي ، و مرثيه للشيخ صالح بن عبد الله الشبل ، و قصيده في الثناء عليه لمزيد الخطيب وغيرهم . [2]

د - قال الشيخ القاضي في روضة الناظرين : (ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان الشعلي وكان عالما جليلا وقاضيا مسددا لما علم بوفاة الشيخ ، قال مات اليوم عالم نجد ، وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة ، فانصدع و مات في ١٢ من رجب بعد وفاة السعدى بتسعة عشر يوما وكان من خواصه) . [3]

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٨ ، سيرة الشيخ السعدى جمع محمد حامد الفقي /٢٩ .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٧ ، وسيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع محمد حامد الفقي /٢٦ .

(٣) روضة الناظرين ١/٢٢٧ .

الفصل الثاني

حياته العلمية

الفصل الثاني

حياته العلمية

وفيه ثمانية مباحث :

أولا : طلبه للعلم وحرصه عليه .

ثانيا : شيوخه .

ثالثا : عنايته بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم وتأثره بهما .

رابعا : جلوسه للتدريس ، وطريقته فيه .

خامسا : تلاميذه .

سادسا : عقيدته وتنوع ثقافته .

سابعا : مؤلفاته .

ثامنا : ثناء العلماء عليه .

أولا : طلبه للعلم وحرصه عليه :

كان ابن سعدى رحمه الله قد استرعى أنظار الناس منذ حداثة سنه بذكائه القوى ، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله ، فأوقف لذلك حياته في طلب العلم ، فكان لا يشغله عنه شاغل ولا يصرفه عنه صارف ، فكان همه في حياته الاستفادة العلمية وحفظ الأوقات في ذلك .(١)

لقد أجمع أمره على أن يقف حياته على طلب العلم ، وأن يعطي نفسه أمنا وطمأنينه وسكينة خاصة ،تصل برباطها الوثيق بينه وبين الأمر الذى أوقف حياته عليه .

فتراه اذ ذاك في واد ، وأغلب ناشئة عصره من زملائه وأترابه في واد آخر . انه ارتضى العلم والمعرفه خدينا وأليفا ، ولم يرق في نظره من رجال زمنه سوى طبقة العلماء . فلازمهم ملازمة الظل . وأكب على الاغتراف من معين علمهم وفضلهم وأخلاقهم ، فتغذى أطيب غذاء ، وروى أكرم رى . (٢)

وأول ما قام به من طلب العلم ، مبادرته لحفظ كتاب الله ، فبدأ بحفظ القرآن من سن مبكره ، حتى أتقنه وأتمه وحفظه عن ظهر قلب في الحادية عشره من عمره ، في مدرسة الشيخ سليمان بن دامغ لتحفيظ القرآن بأم خمار ، ثم شرع بعد ذلك في تحصيل سائر العلوم الشرعية . (٣)

فأخذ في طلب العلم وتحصيله وتلقيه عن علماء بلده وغيرهم ممن قدم اليه ، وشغل أوقاته في ذلك ، ورحل الى العلماء المجاورين لبلده ، وانقطع للعلم

---

(١) مقدمة كتاب الرياض الناضره بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ٤ .

(٢) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى ، جمع الفقي ، بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ٧ .

(٣) روضة الناظرين للقاضي ١ / ٢٢٠ ، وسيرة الشيخ السعدى جمع الفقي ، بقلم عبد الله السعدى (ابن المترجم له) / ١٨ .

وتحصيله حفظا وفهما ودراسة ومراجعة واستذكارا وتطبيقا .

وكان يواظب على دروس العلماء ، وعلى من يشعر أنه له منه أدنى فائدة طارحا التحيز والترفع ، وواصل وثابر ، وبذل جهده في سبيل ذلك حتى نال في صباه مالا يناله غيره في زمن طويل ، من علوم كثيرة وفنون مختلفة .[1]

ولم يقتصر في طلبه للعلم على فن واحد ، بل قرأ في فنون كثيرة فقرأ في الحديث والتفسير والعقائد والفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللغة وغيرها وهذا سيظهر لنا عند ذكر شيوخه وماتلقاه عنهم .

ثانيا : شيوخه :

لقد تلقى الشيخ أنواع العلوم على كثير من العلماء ، بعضهم من عنيزة وبعضهم من الوافدين إليها ، وبعضهم ذهب إليهم في بلادهم .

وذكرهم جميعهم يصعب ، ولكن فيما يلي اذكر جملة منهم مع اعطاء نبذة بسيطة عنهم[2] ، وعن نوع استفادته من كل واحد منهم ، وتجدر الاشارة الى أنه كان رحمه الله محل اعجاب مشائخه كلهم بفرط ذكائه ونبله واستقامته .[3]

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٣ ، ومقدمه الرياض الناضره بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ٤ ، وآخر المختارات الجليه طبعه المدني بقلم السناني /أ .

(٢) ومن رغب الاستزادة في معرفة هؤلاء الأعلام فليراجع المصادر المحال اليها في الحاشية عند كل علم مترجم له .

(٣) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٠ .

شيوخه :

١ - الشيخ ابراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر ، ولد في بريدة سنة ١٢٤١ هـ ، وتوفي في الكويت سنة ١٣٤٢ هـ .(١)

وهو أول من قرأ عليه الشيخ وأخذ عنه التفسير والحديث وأصولهما .(٢)

وكان ابن سعدى يصف شيخه بحفظ الحديث والورع والزهد ومحبة الفقراء ومواساتهم .(٣)

٢ - والشيخ محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن صالح الشبل . ولد في عنيزه سنة : ١٢٥٧ هـ ، وتوفى سنة ١٣٤٣ هـ (٤) ، وأخذ عنه الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية .(٥)

٣ - والشيخ عبد الله بن عائض العويضي الحربي ، ولد في عنيزه سنة : ١٢٤٩ ، وتوفى سنة : ١٣٢٥ هـ .(٦)

---

(١) علماء نجد للبسام ١٠٢/١ ، وروضة الناظرين للقاضي ٤١/١ ، وعلماء آل سليم للعمرى ٢٠٣/٢ .

(٢) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٢ ، والنعت الأكمل للعامرى / ٤٢٨ .

(٣) مقدمة الرياض الناضرة بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ٥ .

(٤) علماء نجد للبسام ٨٤٣/٣ ، وروضة الناظرين للقاضي ٢٢٧/٢ ، وعلماء آل سليم للعمرى ٤٦٩/٢ .

(٥) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ .

(٦) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ ، ومقدمة الرياض الناضرة بقلم تلاميذ الشيخ / ٥ والنعت الأكمل / ٤٢٨ .

وأخذ عنه الفقه وأصوله وعلوم اللغة .[١]

٤ - والشيخ صالح بن عثمان بن حمد بن ابراهيم القاضي ، ولد في عنيزه سنة : ١٢٨٢ هـ . وتوفى سنة : ١٣٥١ هـ[٢].

أخذ عنه التوحيد والتفسير والفقه أصوله وفروعه وعلوم العربية ، وهو أكثر من قرأ عليه الشيخ ولازمه ملازمة تامة حتى توفاه الله .[٣]

وكان هو الذى يقرأ على الشيخ في الدرس والشيخ يقرر على قراءته ، بدأ القراءة على الشيخ بعد وفاة عبد العزيز الضرير ، الذى كان يقرأ على الشيخ ، وكان ابن سعدى له صوت حسن رخيم لا يمله سامعه .[٤].

٥ - والشيخ محمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن سليم ، ولد في بريدة سنة : ١٢٤٠ هـ وتوفى فيها سنة ١٣٢٣ هـ.[٥]

رحل له الشيخ في بريدة وأخذ عنه التوحيد وغيره .[٦].

٦ - والشيخ على بن ناصر بن محمد أبو وادى ، ولد في عنيزه سنة : ١٢٧٣ هـ ،

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٥ ، وروضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٠.

(٢) علماء نجد للبسام ٢/٣٦٧ ، وروضة الناظرين للقاضي ١/١٥٢ ، وعلماء آل سليم للعمرى ٢/٢٦٥ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ /٢٣١.

(٣) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع الفقي بقلم ابن الشيخ /١٩ ، والنعت الأكمل للعامرى /٤٢٨ .

(٤) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٠.

(٥) علماء نجد للبسام ٣/٨٧٢ ، وروضة الناظرين للقاضي ٢/٢١١.

(٦) علماء نجد للبسام ٢/٢٣٥ ، وعلماء آل سليم وتلامذتهم للعمرى ٢/٢٩٥.

وتوفى سنة : ١٣٦١ هـ .[١]

وأخذ عنه الحديث ، الأمهات الست وغيرها ، وأجازه في ذلـــك .

وأخذ عنه التفسير وأصوله وأصول الحديث.[٢]

٧ - والشيخ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم بن محمد بن عيسى القحطانـــي

ولد في عنيزه سنة : ١٢٧٠ هـ وتوفى بالرياض سنة : ١٣٤٣هـ[٣] .

وأخذ عنه أصول الدين .[٤]

٨ - والشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله ابن مانع .

ولد في عنيزه سنة : ١٣٠٠ هـ ، وتوفى في بيروت سنة : ١٣٨٥ هـ ونقل جثمانه الى قطر وصلى عليه ودفن فيها .[٥]

وأخذ عنه علوم اللغة العربية .[٦]

٩ - والشيخ صعب بن عبد الله بن صعب التويجرى ، ولد في بريدة سنـــة : ١٢٥٣ هـ ،وتوفى سنة : ١٣٣٩ هـ .[٧]

---

(١) علماء نجد للبسام ٧٣٨/٣ ، وروضة الناظرين للقاضي ١١٤/٢ ،وعلمـاء آل سليم للعمرى ٤١٩/٢ .

(٢) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ ،وسيرة عبد الرحمن السعدى جمع الفقي بقلـــم ابن الشيخ/١٩ . ومقدمة الرياض الناضرة بقلم أحد تلاميذ الشيخ/٦ .

(٣) علماء نجد للبسام ١١٧/١ ،وروضة الناظرين ٤٤/١ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ/٢٨٥ .

(٤) روضة الناظرين للقاضي ٢٢٠/١ .

(٥) علماء نجد للبسام ٨٢٧/٣ ،وعلماء آل سليم للعمرى ٤٥٩/٢ .

(٦) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ ، وروضة الناظرين للقاضي ٢٢٠/١ .

(٧) علماء نجد للبسام ٣٧٩/٢ ، وروضة الناظرين للقاضي ١٥٠/١ ،وعلمـاء آل سليم للعمرى ٢٧٦/٢ .

أخذ عنه الفقه وأصوله [١] ، عندما رحل من بريدة الى عنيزه وجلس فيها للتدريس [٢] ٠

١٠ - والشيخ علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد السناني ، ولد في عنيزة سنة : ١٢٦٦ هـ ، وتوفي سنة : ١٣٣٩ هـ [٣] ٠

وأخذ عنه أصول الدين [٤] ٠

١١ - والشيخ محمد الأمين محمود الشنقيطي ، ولد في مدينة شنقيط في موريتانيا سنة : ١٢٨٩ هـ ، وتوفي الزبير في صباح الجمعة ١٤ جمادى الثانيه ، سنة : ١٣٥١ هـ ٠

قرأ عليه الشيخ ابن سعدى لما قدم إلى عنيزه وجلس فيها للتدريس سنة : ١٣٣٠ هـ [٥] ٠ وأخذ عنه التفسير والحديث ومصطلح الحديث وعلوم العربية كالنحو الصرف وغيرهما ٠ [٦] وأخذ عنه اجازه بالرواية [٧] ٠

---

(١) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ ٠

(٢) علماء آل سليم للعمرى ٢٩٥/٢ ٠

(٣) علماء نجد للبسام ٧٣٣/٣ ، وروضة الناظرين للقاضي ١٠٩/٢ ، وعلماء آل سليم للعمرى ٤٠٤/٢ ٠

(٤) علماء نجد للبسام ٤٢٥/٢ ، وروضة الناظرين للقاضي ٢٢٠/١ ٠

(٥) هذه المعلومات عن الشنقيطي أخذتها شفويا من الشيخ عبد الله البسام.

(٦) مقدمة الرياض الناضرة بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ٦٠ ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٢ ٠

(٧) آخر المختارات الجلية - طبعة المدني ، بقلم السناني / ب ٠

ثالثا : عنايته بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وتأثره بهما :

لقد عني الشيخ ابن سعدى بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم عناية بالغة ، فأكب عليهما مطالعة واستذكارا وحفظا وفهما وتلخيصا وشرحا. وكان أعظم اشتغاله بهما ، ولازمهما ملازمة تامة طيلة حياته ، فتتلمذ بذلك على كتبهما ، وحصل له بسبب ذلك انتفاعٌ كبيرٌ ، وخيرٌ عظيمٌ .

ولكي يبرز لنا مقصود هذا البحث أقول : ان تأثرالشيخ ابن سعدى بشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يظهر من نواح متعددة :-

أ - اجمع كل من ترجم له من تلاميذه وغيرهم على عنايته بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وحثه الدائم لتلاميذه بالعناية بها .

يقول الشيخ محمدبن عثمان القاضي : (ولقد أكب بالمطالعة على كتب الفقه والحديث طيلة حياته خصوصا على كتب الشيخين ، فقد كانت له صبوحا وغبوقا) (١)

ويقول ابن الشيخ المترجم له عبد الله : (وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسيروالفقه وغيرها من العلوم النافعة) (٢) .

ويقول أحد تلاميذ الشيخ : (وكان يتعلم ويعلم ويقضي أوقاته في ذلك وفي الاكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية ومؤلفات تلميذه

---

(١) روضة الناظرين ١/ ٢٢٠ .

(٢) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع محمد الفقي بقلم عبد الله بن ناصرالسعدى / ٢١ ، وانظر مقدمة الرياض الناظره / ٧ .

ابن القيم بتمعن وتفهم فانتفع بهذه المؤلفات غاية الانتفاع)[1] والنقول في ذلك كثيرة .

ب - ثناؤه الدائم عليهما وعلى مؤلفاتهما في كتبه :

قال رحمه الله في كتابه طريق الوصول : (ان كتب الامام الكبير شيخ الاسلام والمسلمين : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، قدس الله روحه ، جمعت فأوعت : جميع الفنون النافعة والعلوم الصحيحه ، وجمعت علم الأصول والفروع وعلوم النقل والعقل ، وعلوم الأخلاق والآداب الظاهرة والباطنة ، وجمعت بين المقاصد والوسائل ، وبين المسائل والدلائل ، وبين الأحكام وبين حكمها وأسرارها ، وبين تقرير المذهب الحق والرد على جميع المبطلين ، وامتازت على جميع الكتب المصنفه بغزارة علمها وكثرته وقوته ، وجودته وتحقيقه ، بحيث يجزم من له اطلاع عليها وعلى غيرها أنه لا يوجد لها نظير يساويها أو يقاربها)[2] .

وقال في الكتاب نفسه : (وقد سلك شمس الدين ابن قيم الجوزية مسلك شيخه ، بالتحقيق للعلوم الأصولية والفروعية والظاهرة والباطنة ، وكان أعظم من انتفع بشيخ الاسلام ، وأقومهم بعلومه وأوسعهم في العلوم النقلية والعقلية)[3]

---

(١) آخر المختارات الجلية طبعة السعيديه بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ١١٤ ، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ ٣٩٣ ، وانظر أيضا آخر المختارات الجلية طبعة المدني بقلم السناني /ج ، وسير الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع الفقي . بقلم أحد تلاميذ الشيخ / ١٠ .

(٢) طريق الوصول / ٣ .

(٣) المصدر السابق / ٣٠٣ بتصرف .

وقال في المواهب الربانية : (.... ولا يخفى لطف البارى في وجود شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في أثناء قرون هذه الأمة ، وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير والعلم الغزير وجهاد أهل البدع والتعطيل والكفر ، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات ، فلاشك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها وانه يتوقف خير كثير على وجودها فلله الحمد والمنه والفضل)(١).

وللشيخ ابن سعدى قصيدة نونيه تتكون من ثلاثين بيتا نظمها في مدح شيخ الاسلام ابن تيميه وتلاميذه ابن القيم ومؤلفاتهما منها :

ياطالبا لعلوم الشرع مجتهدا	يبغي انكشاف الحق والعرفان
احرص على كتب الامامين اللذيـ	ـن هما المحك لهذه الأزمان
العالمين العاملين الحافظيـ	ـن المعرضين عن الحطام الفاني
عاشا زمانا داعيين الى الهدى	من زائغ ومقلد حيران
أعني به شيخ الورى وامامهم	يعزى الى تيمية الحراني
والآخر المدعو بابن القيم	بحر العلوم العالم الرباني
فهما اللذان قد أودعا في كتبهم	غرر العلوم كثيرة الألوان
فيها الفوائد والمسائل جمعت	من كل فاكهة بها زوجان
ان رمت معرفة الاله وماله	من وصفه وكماله الرباني
أو رمت تفسير الكتاب وماحوى	من كثرة الأسرار والتبيان
أو رمت معرفة الرسول حقيقة	وجلالة المبعوث بالفرقان
أو رمت فقه الدين مرتبطا به	أصل الدليل أدلة الاتقان
أو رمت معرفة القصائد كلها	للمبطلين وردها ببيان
أو رمت معرفة الفنون جميعها	من نحوها والطب للأبدان
تلق الجميع مقررا وموضحا	قد بيناها أحسن التبيان(٢)

(١) المواهب الربانية / ٧٣ .

(٢) الفتاوى السعديه / ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ .

الى آخر هذه القصيدة ، وهي دقيقة في وصف هذين العالمين وغزارة علمهما وتنوعه .

جـ - تأثره بهما في أسلوبه في الكتابه وفي تقريره للمسائل وتأصيله للقواعد ورده على المنحرفين ، وكثرة نقله واقتباسه من أقوالهما كما سيظهر جليا عند عرض جهوده في العقيده ، اذ سيتبين للقارى أن معظم كلامه في الرد على المخالفين أو في تأصيل القواعد مستفاد من كلام شيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم ، وذلك لشدة عنايـة الشيخ بمؤلفاتهما القيمة النافعة .

د - عنايته بالتأليف حول كتب شيخ الاسلام وكتب تلميذه ابن القيم فله عدة مؤلفات تدور حول كتب هذين العالمين اما شرحا وتوضيحا أو نثرا أو تلخيصا ، منها :

١ - كتاب توضيح الكافيه الشافيه ، نثر فيه نونيه ابن القيم .

٢ - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ، وهو أيضا حول نونية ابن القيم حيث شرح الأبيات المتعلقة بتوحيد الأنبياء والمرسلين من النونية .

٣ - الدره البهية في شرح القصيدة التائية في حل المشكله القدريه وكما يظهر من عنوانه فهي شرح لتائية ابن تيمية في الرد على القدريه .

٤ - التنبيهات اللطيفه فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفه علق فيه على العقيدة الواسطيه لابن تيمية .

٥ - طريق الوصول الى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول وهذا الكتاب من أبرز كتبه الداله على شدة عنايته بكتب ابن تيميه وتلميذه ابن القيم ، وهذا يظهر لنا من ناحيتين :

الناحية الأولى : سبب تأليف الكتاب ، اذ أنه ألفه رحمه الله ليكون بديلا لأحد كتب ابن تيمية ، بحث عنه كثيرا فلم يجده ، يقول في مقدمة الكتاب مبينا سبب تأليفه له :(ولشيخ الاسلام كتاب يقال له " قواعد الاستقامه " طالما بحثنا عنه لتحصيله من مظانة ، فلم يتيسر ، لكثرة فوائد .

واني أرجو أن يكون ماجمعته في هذا المجموع من كلامه في الأصول والقواعد مغنيا عن ذلك الكتاب ، ومتضمنا زيادات كثيرة لاتوجد فيه ولا في غيره ....)(1)

والناحية الثانية : مادة هذا الكتاب ، فهو عبارة عن أكثر من ألف قاعده ، وأصل ، وضابط ، وتعريف استخرجها من أكثر من ستين كتاباً من كتب شيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم ، بعد قراءة متأنيه في هذه الكتب قال رحمه الله في آخر الكتاب :

(.... وجمله ذلك :أن هذا المجموع قد انتقيته بعد التروى الكثير وكثرة التأمل والتفكير من جميع الكتب الموجودة من كتب الشيخين فتضمن صفوتها ، احتوى على جواهرها وغررها ، والحمد لله والفضل لله)(2) ولا أدل وأوضح من ذلك على عنايته بكتبهما .

هذا وان المقصود من كل ماتقدم ابراز عنايه الشيخ ابن سعدى بكتب شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه ابن قيم الجوزيه ،وقد بان المقصود ، وحصل بحمد الله المنشود .

---

(1) طريق الوصول / ٤٠ فائده : وقد طبع الكتاب قريبا بتحقيق محمد رشاد سالم بمطبعة جامعة الامام محمد بن سعود ، وهو ليس كمافهم الشيخ ابن سعدى من عنوانه من أنه عبارة عن سرد لقواعد وأصول تحصل بهاالاستقامة ، فقد تأملت الكتاب بعد طبعه فوجدته يدور حول الحث على اتباع السنة والتحذير من البدعة والرد على المبتدعة ، وليس فيه سرد للقواعد والضوابط والأصول .

(2) طريق الوصول /٤٣٥ .

رابعـا : جلوسه للتدريس ، وطريقته فيه :

لقد بذل ابن سعدى أكثر جهده ، ومعظم وقته في طلب العلم وتحصيله ، فلازم العلماء وأكب على كتب العلم ، فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس العلم وقراءة الكتب صارف ، ولا يرده عنها راد ، حتى أناله الله من العلم حظا وفيرا ، وقدرا كبيرا ، فعلا قدره ، وعظم شأنه ، وظهر تفوقه ، وذاع صيته .

فأقبل عليه طلاب العلم من عنيزة وما جاورها من المدن ، ورغبوا في دروسه وحرصوا على الاستفادة منه .(١)

حتى ان زملاءه في الدراسة لما رأوا تفوقه عليهم ونبوغه ، تتلمذوا عليه وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن مبكر ، فصار وهو في شبابه معلما ومتعلما .(٢)

وقد كان أول جلوسه للتعليم في الثالثة والعشرين من عمره ، ففي هذه السن جلس في حلقة التدريس يعطي الدروس للطلاب ، وجد في تعليمهم واجتهد ، يعلم زملاءه ومن يريد العلم ويطلبه ، وكان يحرص على التعليم كحرصه على التعلم .

فجمع بذلك بين طلب العلم والتعليم ، ورتب أوقاته في ذلك ، فكان يقضي بعض أوقاته في القراءة على العلماء ، وبعضها يجلس للتلاميذ يعلمهم ، وبعضها في مراجعة الكتب والبحث فيها ، ولا يفوّت من أوقاته شيئاً إلا وقد

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٣ .
(٢) آخر كتاب المختارات الجليه طبعة المدني ، بقلم السناني / ب ، وانظر سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى ، جمع الفقي ، بقلم أحد تلاميذ الشيخ/ ١٠ .

رتبه [1] .

فبلغ الذروة في علوم الحديث والفقه والتفسير ، حتى انه منذ عام ١٣٥٠هـ صار مرجع التدريس ومرجع الافتاء في بلده وما حولها من القرى وأصبح المعول لدى جميع الطلاب في أخذ العلوم . [2]

أما عن تنظيمه لأوقاته في التعليم فقد كان يجلس أربع جلسات في اليوم الواحد فكان اذا صلى الفجر بالناس جلس لاداء الدرس حتى تطلع الشمس ، ثم يذهب بعد ذلك الى بيته حتى الضحوة الكبرى فيعود الى المسجد يعلم أبناء الطلاب الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والنحو والصرف في دروس منتظمة ، ويستمر معهم حتى صلاة الظهر ، فيصلي بالناس ويعود الى بيته يستريح فيه الى صلاة العصر ، ثم يذهب الى المسجد فيصلي العصر بالناس ويعطيهم عقب الصلاة وهم جلوس بعض الأحكام الفقهيه في دقائق لا تؤخرهم عن الانصراف سعيا وراء أرزاقهم ، وعندما تغرب الشمس يصلي بالناس صلاة المغرب ويجلس للدرس حتى يصلي العشاء ، ويتكرر ذلك يوميا . [3]

أما عن طريقته في التعليم وحرصه على نفع طلابه ، فقد كان رحمه الله من أحسن الناس تعليما وأبلغهم تفهيما وأفضلهم تبيينا ، وذلك لأن طريقته في التعليم امتازت بصفات كثيرة هامة ، جعلت طلابه يتلذذون بدروسه ويواظبون عليها .

---

(١) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدي جمع الفقي بقلم أحد تلاميذ الشيخ/١٠ . وانظر مقدمة الرياض الناضره بقلم أحد تلاميذ الشيخ/٤ .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٣ .

(٣) مجلة الجامعة الاسلامية ، س : ١١ ، ع : ٤ ، ص : ٢٠٥ بقلم الشيخ عبد الرحمن العدوي .

ومن أبـرز هذه الصفات :-

١ - أنه يستشير تلاميذه في اختيار الكتاب الأنفع من كتب الدراسة ، ويرجح ماعليه رغبة أكثرهم ، وعند التساوى يكون هو الحكم في الترجيح .[1]

٢ - يخصص المكافآت لمن يحفظ المتون من طلابه ، تشجيعا لهم ، وحفزا لزملائهم .[2]

٣ - يقيم المناظرات بين طلابه المحصلين لشحذ أفكارهم ، وصقل أذهانهم ، وتعويدهم اقامة الحجة والبرهان .[3]

٤ - يطرح المسائل على الطلاب ليختبر أذهانهم ، ويعتمد أحيانا تغليط نفسه أمامهم ليرى من هو حاضر الذهن ممن هو شارده وليعرف الفطن من غيره .[4]

٥ - عند ذكره للمسائل الخلافية ، فانه يقرر القول الراجح بأدلته ، ثم يذكر القول الآخر بأدلته ثم يوسط نفسه حكما في المسأله ، وقد يستطرد بذكر نظائر المسألة ،كل ذلك بفصاحة وبلاغة بديهية .[5]

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٤ ، مقدمه الرياض الناضرة بقلم أحد تلاميذ الشيخ /٧ .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٢ ،وسيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع الفقي بقلم أحد تلاميذ الشيخ /١٢ .

(٣) سير الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع الفقي بقلم ابن الشيخ /٢٠ ،وروضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٤ .

(٤) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٢ .

(٥) روضة الناظرين للقاضي ١/٢٢٢ ، ٢٢٤ .

٦ - يجمع الطلاب كلهم على كتابين واحد بعد آخر ، وبعد انتهاء الجلسة يطلب من ثلاثة منهم اعادة مايستحضره من التقرير ، ويدور عليهم ليختبر قوة حفظهم وفهمهم .[١]

٧ - يناقشهم بعد يوم فيما مضى شرحه ، مما كان يدفع الطلاب على الحرص على الاستذكار وتثبيت المعلومات .[٢]

٨ - يحرص على طلابه حرصا تاما ، ويتفقدهم عند غيابهم تفقدا دقيقا مما كان يجعل تلاميذه يراعون المواظبة لملاحظته وعدم غفلته .[٣]

٩ - ومع ذلك كله كان يلاطفهم ويداعبهم تحبيبا لهم في طلب العلم .[٤]

ولهذا فانه قد انتفع بعلمه خلق كثير وتخرج على يديه عدد كبير من طلبة العلم البارزين المحصلين ، أجزل الله له المثوبة ، ورحمه الرحمة الواسعة .

---

(١) روضة الناظرين للقاضي ٢٢٢/١ .

(٢) روضة الناظرين للقاضي ٢٢٢/١ .

(٣) روضة الناظرين للقاضي ٢٢٢/١ .

(٤) آخر المختارات الجليه - طبعة المدني بقلم السناني/ ج .

يقول الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وكان أحيانا يلقي مافيه الدعابة على طلابه الصغار ، ومن ذلك أنه سأل مرة أحد الطلبة عن الشاة اذا لم يكن لها ثنايا من فوق حين كان يشرح في باب الأضحية على قول الفقهاء : (ان ماسقطت ثناياه لا يضحى به) .

خامسا : تلاميذه :-

وقد أخذ عنه العلم خلق كثير يصعب حصرهم ، منهم : -

١ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين . خلف شيخه في امامة الجامع بعنيزه وفي التدريس والوعظ والخطابة.

٢ - والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام . عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية .

٣ - والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل . عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل .

٤ - والشيخ عبد الله بن محمد المطرودى - كان يحفظ صحيح البخارى بأسانيده .

٥ - والشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان ، درس في معهد إمام الدعوة بالرياض ، وسلك طريقة شيخه بالتأليف .

٦ - والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع تولى القضاء في المجمعة وفي عنيزه وتوفي في ١٨/٧/١٣٨٧ هـ .

٧ - والشيخ سليمان بن ابراهيم البسام ، كان فقيها ، درس في المعهد العلمي بعنيزه ، وعين قاضيا فرفض وتوفي في ١٨/٧/١٣٨٧هـ.

٨ - والشيخ محمد بن منصور الزامل ، درس بمعهد عنيزه العلمي .

٩ - والشيخ عبد الله بن محمد الزامل ، درس في معهد عنيزه العلمي ، وهو من أبرز علماء نجد بالنحو .

١٠ - والشيخ عبد الله بن حسن آل بريكان ، درس في معهد عنيزه العلمي .

١١ - والشيخ عبد الله بن محمد العوهلي ، درس بمعهد مكه العلمي .

١٢ - والشيخ محمد بن صالح الخزيم . عين قاضيا في الرس ثم في المذنب ثم في عنيزه ، وتوفي .

١٣ - والشيخ عبد الرحمن بن محمد المقوشي ، عين قاضيا بالرياض ثم بالقويعية ثم احيل الى التقاعد لرغبته . وتوفي .

١٤ - والشيخ حمد بن محمد البسام درس بالمعهد العلمي بعنيزه ثم درس في جامعة الإمام محمد بن سعود فرع القصيم ، وكان هوا لقارى على الشيخ في الدرس .

١٥ - والشيخ ابراهيم بن عبد العزيز الغرير امام مسجد الجديدة بعنيزه ،توفي .

١٦ - والشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضيرى عين قاضيا بعفيف ثم صار مدرسا بمعهد المدينة المنوره العلمي ، توفي .

١٧ - والشيخ حمد بن ابراهيم القاضي . صار مدير احدى المدارس بعنيزه - توفي .

١٨ - والشيخ عبد الله بن محمد الفهيد . امام مسجد القاع في عنيزه . توفي .

١٩ - الشيخ سليمان بن صالح البسام . من أعيان عنيزه . توفي .

٢٠ - والشيخ عبد الله بن محمد الصيخان . كان قوى الحفظ - كفيفاً . وتوفي شابا .

٢١ - والشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل . كان له عناية بالتاريخ والأنساب - توفي .

٢٢ - والشيخ عبد العزيز بن محمد البسام . كان ينوب عن الشيخ في امامة الجامع، وفي الخطابه اذا سافر .

٢٣ - والشيخ عبد العزيز بن علي المساعد . امام مسجد الصويطي بعنيزه .

٢٤ - والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الدامغ . امام مسجد الخريزة بعنيزة .

٢٥ - والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعدى . ابن الشيخ وكان ذا عناية بطبع مؤلفات والده .

٢٦ - والشيخ محمد بن صالح الفضيلي ، كان قاضيا في تيماء ،توفي .

٢٧ - والشيخ يوسف بن عبد العزيز الخرب . حفظ القرآن ، وكان مشهورا بكتابة الوثائق والمبايعات في عنيزه ، وكان يقارئ الشيخ القرآن كل يوم طيلة حياته .

٢٨ - والشيخ على بن محمد الصالحي . صاحب مطبعة النور ،وكان الشيخ قد وكل اليه تدريس صغار الطلبه سنة : ١٣٦٠ هـ.

٢٩ - والشيخ ابراهيم بن محمد العمود . كان قاضيا في جيزان ثم في الرياض ، والشيخ خاله. توفي .

٣٠ - والشيخ سليمان بن محمد الشبل ، درس في المدرسة العزيزية الابتدائية في عنيزة -توفي .

٣١ - والشيخ حمد بن محمد المرزوقي . مدرس في معهد النور.

٣٢ - والشيخ محمد بن عبد الرحمن الحنطي . كان قاضيا في الدرعية .

٣٣ - والشيخ محمد بن عثمان القاضي . امام جامع في عنيزة وقيم مكتبة الصالحية في عنيزة .

٣٤ - والشيخ عبد الرحمن العقيل . كان قاضيا في جيزان -توفي .

٣٥ - والشيخ محمد بن سليمان البسام . درس في المسجد الحرام فترة وجيزة .

وغيرهم خلق كثير. (١)

---

(١) راجع في تلاميذ الشيخ : علماء نجد للبسام ٤٢٦/٢.
وروضة الناظرين للقاضي ٢٢١/١ ،وعلماء آل سليم للعمرى ٢٩٦/٢ ،
ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ /٣٩٣.

سادسا : عقيدته وتنوع ثقافته :-

لقد نهج ابن سعدى في العقيدة منهج السلف الصالح ، واقتفى آثارهم ، وترسم خطاهم ، وذلك بتلقي العقيدة وأخذها من منبعها الأصيل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفهم السلف الصالح ، لا بالأهواء والتشهي ، والبدع والظنون الفاسدة .

ومن تأمل كتبه وسبرها عرف شدة عنايته بهذه العقيدة وحرصه على نشرها وتصديه لمخالفيها .

وقد ذكر رحمه الله في أول كتابه القول السديد في مقاصد التوحيد مقدمة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة .

ولوجازة هذه المقدمة ، وشمولها لمعظم مسائل العقيدة ، ودقة عباراتها ، ووضوحها وأهميتها أوردها بنصها .

قال رحمه الله في بيان خلاصة عقيدة السلف الصالح المستمدة من الكتاب والسنة : وهي (أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فيشهدون أن الله هو الرب الاله المعبود ، المتفرد بكل كمال فيعبدونه وحده مخلصين له الدين ، فيقولون ان الله هو الخالق البارئ المصور الرازق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور .

وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود ، وأنه الأول الذى ليس قبله شئ ، الآخر الذى ليس بعده شئ . الظاهر الذى ليس فوقه شئ ، الباطن الذى ليس دونه شئ . وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار ، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر ، وأنه على العرش استوى ، استواء يليق بجلاله ، ومع علوه المطلق وفوقيته ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوى والسفلي ، وهو مع العباد بعلمه ، يعلم جميع أحوالهم ، وهو القريب المجيب .

وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته ،والكل اليه مفتقرون في ايجادهم وايجاد مايحتاجون اليه في جميع الأوقات . ولا غنى لأحد عنه طرفة عين ، وهو الرؤف الرحيم ، الذى ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة الا من الله ، فهو الجالب للنعم ، الدافع للنقم .

و من رحمته أنه ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : لا أسأل عن عبادى غيرى ، من ذا الذى يدعوني فاستجيب له ، من ذا الذى يسألني فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرني فاغفر له ، حتى يطلع الفجر ، فهو ينزل كما يشاء ، ويفعل كما يريد ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

ويعتقدون أنه الحكيم ، الذى له الحكمة التامة في شرعه وقدره ، فما خلق شيئا عبثا ، ولا شرع الشرائع الا للمصالح والحكم .

وأنه التواب العفو الغفور ، يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين ، وهو الشكور الذى يشكر القليل من العمل ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملة والسمع والبصر وكمال القدرة والعظمة والكبرياء ، والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق ، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا والسخط والكلام ، وانه يتكلم بما يشاء كيف يشاء . وكلماته لاتنفد ولاتبيد ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود .

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفا بأنه يفعل مايريد ويتكلم بما شاء ، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية ،وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية ، فهو الحاكم

المالك ، و من سواه مملوك محكوم عليه ، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه.
ويؤمنون بما جاء به الكتاب وتواترت به السنة ان المؤمنين يرون ربهم تعالى
عيانا جهرة ، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم وألذه .

وأن من مات على غير الايمان والتوحيد فهو مخلد في نار جهنم أبدا ،
وأن أرباب الكبائر اذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة
فانهم وان دخلوا النار لايخلدون فيها ، ولايبقى في النار أحد في قلبه مثقال
حبة خردل من ايمان الا خرج منها .

وأن الايمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان
، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقا الذى استحق الثواب وسلم من
العقاب ، ومن انتقص منها شيئا نقص من ايمانه بقدر ذلك ، ولذلك كان الايمان
يزيد بالطاعة وفعل الخير ، وينقص بالمعصية والشر.

ومن أصولهم السعي والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا ، مع
الاستعانة بالله ، فهم حريصون على ماينفعهم ويستعينون بالله ، وكذلك
يحققون الاخلاص لله في جميع حركاتهم ، ويتبعون رسول الله في الاخلاص
للمعبود والمتابعة للرسول والنصيحة للمؤمنين اتباع طريقهم .

ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين ،
أرسل الى الانس والجن بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ،
أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا
برزقه على ذلك .

ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بيانا ، فيعظمونه
ويحبونه ، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم ويتبعونه في أصول دينهم

وفروعه ، ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه .

ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات مالم يجمعه لأحد ، وهو أعلى الخلق مقاما وأعظمهم جاها وأكملهم في كل فضيلة ، لم يسبق خير الا دل أمته عليه ، ولا شر الا حذرهم عنه .

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله ، وكل رسول أرسله الله ، لا يفرقون بين أحد من رسله .

ويؤمنون بالقدر كله ، وأن جميع أعمال العباد خيرها وشرها ، قد أحاط بها علم الله ، وجرى بها قلمه ، ونفذت فيها مشيئته ، وتعلقت بها حكمته ، حيث خلق للعباد قدرة وارادة ، تقع أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم ، لم يجبرهم على شئ منها بل جعلهم مختارين لها ، وخص المؤمنين بأن حبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته .

ومن أصول أهل السنه أنهم يدينون بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله ، ولأئمه المسلمين وعامتهم ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ماتوجبه الشريعه ، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام والاحسان الى الجيران والمماليك والمعاملين ومن له حق ، وبالاحسان الى الخلق اجمعين . ويدعون الى مكارم الأخلاق ومحاسنها ، وينهون عن مساوئ الاخلاق وارذلها .

ويعتقدون أن أكمل المؤمنين ايمانا ويقينا ، أحسنهم اعمالا وأخلاقا ، وأصدقهم أقوالا ، وأهداهم الى كل خير وفضيله ، وابعدهم من كل رذيلة . ويأمرون بالقيام بشرائع الدين . على ماجاء عن نبيهم فيها وفي صفاتها ومكملاتها ، والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها .

ويرون الجهاد في سبيل الله ماضيا مع البر والفاجر ، وأنه ذروة سنام الدين ،جهاد العلم والحجة ، وجهاد السلاح ، وأنه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع .

ومن أصولهم الحث على جمع كلمة المسلمين ، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها ، والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل الى هذا .

ومن أصولهم النهي عن أذية الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ، والأمر بالعدل والانصاف في جميع المعاملات والندب الى الاحسان والفضل فيها .

ويؤمنون بأن أفضل الامم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأفضلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا الخلفاء الراشدون ، والعشرة المشهود لهم بالجنة وأهل بدر ، وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، فيحبون الصحابة ويدينون لله بذلك ، وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم .

ويدينون لله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل ، ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين ، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والنفاق وسوء الأخلاق وأن يثبتهم على دين نبيهم الى الممات .

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون واليها يدعون) [1] أ.هـ

---

(١) مقدمة القول السديد / ٦ - ١٢ .

فهذه الأصول الكلية التي ذكرها الشيخ ابن سعدي ، اشتملت على خلاصة العقيدة وصفوتها ، وهي أصول مستقاة من الكتاب والسنة ، فليس فيها أصل إلا وعليه عشرات الأدلة إما من القرآن أو من السنة ، وهذه هي عقيدة السلف الصالح ، التي دعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بها ، وسار على نهجه فيها صحبه الكرام وتابعوهم باحسان .

أما عن ثقافته وتنوعها فكما تقدم أن الشيخ ابن سعدي قد أفنى عمره وأمضى وقته في طلب العلوم وتحصيلها ، ولم يقتصر على فن واحد منها بل رام تحصيل جميع العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وغيرها ،فأتاه الله علما واسعا ، وألم بعلوم كثيرة من العلوم الشرعية وبرع فيها ، ولكي تتبين لنا ثقافته وتنوعها وسعتها ، أعرض لكل فن اشتغل به مع بيان تحصيله منه وافادته فيه على وجه الاختصار .

العقيدة :

لقد أولى الشيخ ابن سعدي العقيدة الاسلامية عناية بالغة واهتماما كبيرا ، فدرس العقيده وتلقاها على عدد كبير من العلماء كما سبق الاشارة الى ذلك عند ذكر شيوخه ، واعتنى بكتب المتقدمين من سلف هذه الأمة ، كما عنى بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزيه ، فكان لذلك دور كبير في نبوغه وبروزه في عقيدة السلف الصالح .

ثم انه رحمه الله اعتنى بعد ذلك بالعقيدة تدريسا وتأليفا ، فكان في دروسه التي يلقيها على الطلاب يعتني بتدريسهم العقيدة الاسلامية الصافية ، المأخوذه من الكتاب والسنة ، الخالية من شوائب الشرك والبدع والخرافات .وكان كذلك في مؤلفاته يعتني بأمر العقيدة ، فأكثر فيها التأليف شرحا وتوضيحا

وتقريرا وتأصيلا وردا على المخالفين وغير ذلك من الجهود الكبيرة التى قام بها نصرة لهذه العقيدة ، وسيأتي بيان ذلك مفصلا في الباب الثاني من هذه الرسالة ان شاء الله ٠

الحديث :

تقدم في ذكر شيوخه أنه تلقى الحديث وعلومه على عدد من المشايخ ، وأنه أخذ من بعضهم اجازة برواية الكتب السته ٠ وهذا يبين لنا مدى اهتمامه بالحديث منذ طلبه للعلم ٠

وأما عن مؤلفاته في الحديث فلم أقف له الا على مؤلف واحد جمع فيه تسعة وتسعين حديثا من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشار في مقدمته إلى أهمية الحديث فقال : (أما بعد :فليس بعد كلام الله أصدق ولا أنفع ولا أجمع لخير الدنيا والآخرة من كلام رسوله وخليله محمد صلى الله عليه وسلم ، اذ هو أعلم الخلق ، وأعظمهم نصحا وارشادا وهداية ، وأبلغهم بيانا وتأصيلا وتفصيلا ٠ وأحسنهم تعليما ، وقد أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ، بحيث كان يتكلم بالكلام القليل لفظه الكثيرة معانيه ، مع كمال الوضوح والبيان الذى هو أعلى رتب البيان) ٠

وقد كان في هذا المؤلف وغيره من مؤلفاته عند استشهاده بالحديث يهتم بالاشارة إلى بعض من خرجه في كتب السنه ٠

وكان يهتم في دروسه بتدريس الحديث فقد درس بلوغ المرام لابن حجر مرارا كثيرة ٠ وكان يعود طلابه دائما في المسائل الخلافية على الأخذ بما وافق الدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ٠

الفقـــه :

كان رحمه الله ذا معرفـة تامة بالفقه ، وقد كان في بداية طلبه للعلـــم متمسكا بمذهب الامام أحمد تبعا لمشائخه وحفظ بعض المتون في ذلك وكـــان له مؤلف في الفقه على طريق النظم للمسائل وهو يتكون من اربعمائة بيت علـــى مذهب الامام أحمد .

ثم مال إلى الترجيح وترك التقليد ، ولاسيما بعد قراءته لكـــتب الشيخين ، فقد كان يميل لاختياراتهما ، ويرجح ما وافق الدليل .

ولهذا فقد أفرد مؤلفا بين فيه اختياراته الفقهية ، وأفرد آخر جعلـــه مستدركا على أحد كتب الفقه الحنبلي ليكون كالمستدرك على جميع كتب الحنابلـة رجح فيه ما وافق الدليل .

وقد برع رحمه الله في الفقه واعتنى به اعتناء كبيرا وأكثر فيه من التأليف ، ومؤلـفاته في الفقه تربو على عشرة مؤلفات وسيأتي ذكرها قريبا في مؤلفاته .

التفسير :

وأما التفسير فقد كان له اليد الطولى وبرع فيه ، وقد قرأ في طلبه للعلـم تفسيرات متعددة .

وله كتب متعدده حول القرآن وتفسيره ، فله تفسير كامل للقرآن ويقـــال إنه أملاه من إذاكرته من غير أن يكون عنده وقت التصنيف كتاب تفسير ولا غيره .(1)

وله خلاصة لهذا التفسير ، وله مؤلف في فوائد استنبطها من قصة يوسف ،

(1) مقدمة الرياض الناضرة ترجمة بقلم أحد تلاميذه ٨/٥ ، وسيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع محمد حامد الفقي ١٣٠ .

وله مؤلف في الفوائد القرآنيه التى عرضت له أثناء قراءته للقرآن ، وله مؤلف في قواعد تفسيرالقرآن ، وسيأتي ذكرها في مؤلفاته .

وكان يقرأ على طلابه القرآن. وفي أثناء القراءة يفسره لهم. ويبين لهم معانيه و وجوه اعجازه ويستنبط لهم منه الفوائد . حتى ان السامع اليه وهو يفسر كلام الله يود أن لا يصمت وأن يستمر دائما في تفسيره .

اللغة والشعر :

لقد درس الشيخ ابن سعدى علوم اللغة العربية على عدد من المشائخ ، وألف في النحو رسالة صغيرة علق فيها على نظم قواعد الاعراب وسيأتي ذكرها في مؤلفاته .

وأما الشعر فقد كان رحمه الله منذ صغره يقول الشعر ، وله أشعار كثيرةٌ يخدم فيرا علوم الشريعة .

فله منظومات متعددة في الفقه وفي القواعد الفقهية وفي الترغيب والترهيب وفي شرح بعض الأحاديث وفي الثناء على بعض علماء الاسلام وغير ذلك مما سيأتي بعضه في مؤلفاته . (١)

ومن لطائف شعره قوله في وصف السيارة أول ماركبها مسافرا للحج :

ياراحلينَ إلى الحمى برواحلٍ	تطوى الفلا والبيد طيَّ المُسرعِ
ليست تبولُ ولا تروثُ ، ومالها	روحٌ تحنُ إلى الربيعِ الممرعِ
ماإستولدت من نوقنا بل صُنعها	من بعضِ تعليمِ اللطيفِ المبدعِ
كم أوصلت دارَ الحبيبِ ، وكم سرتْ	بحمولها نحو الديارِ الشسعِ

(١) وانظرآخر الفتاوى السعديه/ ٦٦٨ ومابعدها . ففيه جملة كبيرة من أشعاره في المدح والرثاء وغيرذلك .

سابعا : مؤلفاته :

كان الشيخ ابن سعدى رحمه الله ذا عناية بالغة بالتأليف ، وله مؤلفات كثيرة في أنواع العلوم الشرعية ، فألف في التوحيد والفقه والحديث والتفسير والأصول ومحاسن الدين وغيرها ، وجميع مؤلفاته مطبوعة إلا اليسير منها ، لأنه كان رحمه الله ذا عناية بطبع الكتاب فور انتهائه من تأليفه اما على نفقته أوعلى نفقة بعض أهل الخير والاحسان .

وسأعرض فيما يلي جميع مؤلفاته المطبوع منها وغير المطبوع ، مع دراسة موجزة أو نبذة مختصرة عن كل كتاب منها ، وقد رتبتها على حروف المعجم ، وجعلت لكل مؤلف رقما تسلسليا ، ليعلم بذلك عدد مجموع مؤلفاته ، واذا تكرر الكتاب بأن يكون طبع باسم آخر ، أو استل من أحد مؤلفاته وهو قليل جدا فاني أهمل ترقيمه وأكتفي بوضع شرطه قبله هكذا (-) ، ومالم أنص على أنه مخطوط فهو مطبوع متداول ، وفيما يلي أسماء مؤلفاته ونبذة عن كل منها :

١ - الأدلة القواطع والبراهين في ابطال أصول الملحدين .

وهي رسالة صغيرة تتكون من ثمانين صفحة إعتنى فيها الشيخ ابن سعدى بالرد على الملاحدة المنكرين لوجود الله عز وجل .

وكان أكثر عنايته في هذه الرسالة بنقض أصل فاسد أصله معلمهم الأول " أرسطو " .

وهو : قوله (ان من أراد الشروع في المعارف الالهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات ، وليسع في ازالتها من قلبه بحسب مقدوره ، وليشك في الأشياء ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه وعليه أن لا يؤمن الا بالأشياء المحسوسة) .

وقد نقض الشيخ ابن سعدى هذا الأصل وبين بطلانه من ثلاثة وثمانين وجها انتقى أكثرها من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم .

وهذه الرسالة مع انها صغيرة الحجم فانها عظيمة النفع لما اشتملت عليه من ردود رصينة وقوية تكشف بطلان دعوى هؤلاء الملاحدة الكفرة .
وقد فرغ الشيخ ابن سعدى من تأليف هذه الرسالة في ١٤ رجب سنة ١٣٧٢ هـ .

٢ ـ الارشاد الى معرفة الأحكام .

هو مجلد لطيف ألفه الشيخ ابن سعدى على طريقة السؤال والجواب وتناول فيه معظم المسائل الفقهية .

يقول في مقدمته : (أما بعد فهذا تأليف بديع المنزع سهل الألفاظ والمعاني حسن الترتيب يحتوى على مهمات مسائل الأحكام رتبته بصورة السؤال المحرر الجامع والجواب المفصل النافع يحتوى على أصول وضوابط وتقسيمات تقرب اشتات المسائل وتضم النظائر والفوارق ...)

وقد اشتمل هذا الكتاب على مائة سؤال جامع مع أجوبه موسعة مفصله لهذه الأسئلة وحوى أهم المهمات من مسائل الفقه في العبادات والمعاملات والمشاركات والتبرعات والمواريث والأنكحة والجنايات والأقضية وغيرها ، وفرغ ابن سعدى من تأليف هذا الكتاب في ١٧ رمضان سنة ١٣٥٨ هـ .

ـ ارشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب .

وهو الكتاب المتقدم نفسه طبع مرة أخرى بهذا الاسم .

٣ - انتصار الحق :

وهي رسالة صغيرة عبارة عن محاورة دينية اجتماعية بين رجلين كانا متصاحبين رفيقين مسلمين يدينان بالدين الحق ويشتغلان في طلب العلم جميعا فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة ثم التقيا فاذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله وتبدلت أخلاقه ، فسأله صاحبه عن ذلك فاذا هو قد تغلبت عليه دعاية الملحدين الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ماجاء به المرسلون .

فدارت بينهما هذه المحاوره وانتهت باقناع الناصح زميله بفساد ماذهب إليه .

وهي محاورة هادفة نشرت في مجلة المنهل في عام ١٣٦٧ هـ ، ثم أفردت في رسالة مستقلة .

٤ - بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار .

وهو مجلد لطيف يشتمل على تسعة وتسعين حديثا من الأحاديث النبوية الجوامع في أصناف العلوم والمواضيع النافعه والعقائد الصحيحة والأخلاق الكريمه والفقه والآداب والاصلاحات الشاملة والفوائد العامة ، مع شرحها وبيانها وايضاحها .

قال في مقدمته (... وقد بدا لي أن أذكر جملة صالحة من الأحاديث الجوامع في المواضيع الكلية والجوامع في جنس أو نوع أو باب من أبواب العلم ، مع التكلم على مقاصدها وماتدل عليه ، على وجه يحصل به الايضاح والبيان مع الاختصار) وفرغ من تأليفه في ١٠ (شعبان سنة ١٣٧١ هـ .

٥ - التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الاعراب(١)

وهي رسالة صغيرة لم تطبع تتكون من ٢٢ صفحة شرح فيها منظومة في قواعد الاعراب قال في مقدمتها :(أما بعد فهذا تعليق على نظم قواعد الاعراب نقلته من شرح الشيخ خالد الأزهرى على أصله ، ذكرت منه مايتعلق بهذا النظم وحذفت منه مايستغنى عنه ، ونقلت عباراته ،الا في شيء يسير ، وأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم) .

وفرغ الشيخ ابن سعدى من هذه الرسالة في سنة ١٣٣٤ هـ .

ويوجد منها أصل مخطوط عند الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام.

٦ - توضيح الكافية الشافية .

وهذا الكتاب نثر فيه الشيخ ابن سعدى نونية ابن القيم رحمه الله المسماه بالكافيه الشافيه في الانتصار للفرقه الناجية .

قال ابن سعدى في مقدمته (...ولما كان النظم معناه بعيد المنال، ودلالته على المعنى المراد يكثر فيها الاشتباه والاشكال ، أحببت أن أقربه للقارئين بحله الى معناه المنثور فقط من غير زيادة على مادل عليه ، الا اذا اقتضت الحال الزيادة أوكان المعنى يتوقف عليها .... واعلم أن هذا التوضيح والتعليق على اختصاره قد حوى جميع المقاصد والعقائد الدينيه ، وحصل به التوضيح التام للكافية الشافية ... ومتى أردت معرفة مقداره فتأمل كل فصل من فصول الكافية ، واستعن عليه بما يقابله من هذا التعليق يحصل لك المقصود ، وتحظى بالمطلوب ، واقتديت في عملي هذا بابن هشام في توضيحه لألفية ابن مالك رحمهم الله) .

(١) صاحب هذا النظم هوأبومحمد عبدالله بن يوسف الشهير بابن هشام النحوى المتوفي سنة ٧٦٢هـ، وله شروح متعددة منها شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى النحوى المتوفي سنة ٩٠٥ هـ . كشف الظنون لحاجي خليفه ١/٩٢٤

وفرغ ابن سعدى من تأليفه في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ هـ.

٧ - التوضيح والبيان لشجرة الايمان.

وهي رسالة صغيرة تشتمل على مباحث الايمان تعريفه والأمور التي يستمد منها ، وفوائده وثماره وغير ذلك من المباحث المتعلقة به.

قال في مقدمتها : (أما بعد : فهذا كتاب يحتوى على مباحث الايمان التى هي أهم مباحث الدين ، وأعظم أصول الحق واليقين ، مستمدا ذلك من كتاب الله الكريم الكفيل بتحقيق هذه الأصول تحقيقا لا مزيد عليه ، ومن سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم التى توافق الكتاب وتفسره ، وتعبر عن كثير من مجملاته ، وتفصل كثيرا من مطلقاته ، مبتدئا بتفسيره ، مثنيا بذكر أصوله ومقوماته ومن أى شيء يستمد مثلثا بفوائده وثمراته ، وما يتبع هذه الأصول).

وفرغ الشيخ ابن سعدى من تأليف هذه الرسالة في ٨ ذى الحجة سنة ١٣٧٤ هـ.

٨ - التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطيه من المباحث المنيفة وهي رسالة صغيرة علق فيها الشيخ ابن سعدى تعليقا مختصرا على العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال في مقدمتها : (أما بعد فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الاسلام ابن تيمية المسماة (بالواسطية) التى جمعت على اختصارها ووضوحها جميع مايجب اعتقاده من أصول الايمان وعقائده الصحيحة وهي وان كانت واضحة المعاني محكمة المباني ، تحتاج الى تعليق يزيد في توضيح بعض مافيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتبيين وجه دلالتها على المقصود وبيان وجه ارتباط بعض المسائل ببعض وجمع مايحتاج

الى جمعه في موضع واحد والاشارة الى بعض آثارها وفوائدها في القلوب والأخلاق ، والتنبيه لكل مايحتاج إلى التنبيه عليه) . وفرغ من تأليفها في ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ هـ .

٩ - تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله .

وهي رسالة صغيرة رد فيها ابن سعدى على عبد الله بن علي القصيمي الذى انتكس وألحد في آخر زمانه ، فأصبح يعادى الاسلام وينابذ الدين ويدعوالى الانحلال عنه من كل وجه وألف في ذلك كتابا أسماه (هذى هي الأغلال) ويعني بالأغلال شرائع الاسلام وأوامره ونواهيه ، وأخذ يدعو في كتابه هذا الى الالحاد وانكار وجود الله ، وسخر فيه من الرسل عليهم السلام ومن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة ومن علماء الاسلام وأنكر وجود الملائكة ، الى غير ذلك من الطامات والكفريات .

مما دفع الشيخ ابن سعدى الى تأليف رسالته تنزيه الدين ليبين فيها ضلال هذا القصيمي وزيغه وانحلاله ، قال ابن سعدى (... فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين فوجب على كل من عنده علم أن يبين مايحتوى عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه) .

وفرغ ابن سعدى من تأليف هذه الرسالة في ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ .

١٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١) .

وهو تفسير كامل للقرآن يتكون من ثمانية أجزاء كل جزئين في مجلد واحد

---

(١) تنبيه عندما انقل من هذا التفسير في هذه الرسالة فاني اكتفي بكتابة كلمة " التفسير " اختصارا .

وقد بين ابن سعدى سبب تأليفه لهذا التفسير فقال : (... وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله . فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود ، ومن مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد ، وكان الذى ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود ، واللفظ وسيلة اليه ، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله ، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر ، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم حضريهم وبدويهم ، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم مايعين على معرفته وفهم المراد منه ، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها ، فمن وفق لذلك لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه ، وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها وماتتضمنه وماتدل عليه منطوقاً ومفهوماً ، فإذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده فلابد أن يفتح عليه من علومه أموراً لاتدخل تحت كسبه .

ولما منّ البارى عليّ وعلى اخواني بالإشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا ، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ماتيسر وما منّ به الله علينا ، ليكون تذكرة للمحصلين ، وآلة للمستبصرين ، ومعونة للسالكين ، ولأقيده خوف الضياع . ولم يكن قصدى في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود ، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود للمعنى الذى ذكرت ، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم فجزاهم الله عن المسلمين خيراً)[1] .

= تنبيه آخر : يوجد من هذا الكتاب نسخة خطيه في مكتبة الفتح بالقاهرة ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها طبعة المكتبة السعيدية بالرياض ، وهي التى اعتمدت عليها في النقل .

(١) التفسير ١/١٣ .

وقد نبه رحمه الله في مقدمة هذا التفسير على طريقته فيه فقال :

(اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية مايحضرني من معانيها ، ولا أكتفي بذكر ماتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ماتعلق بالمواضع اللاحقة ، لأن الله وصف هذا الكتاب أنه "مثاني" تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام وجميع المواضيع النافعه لحكم عظيمة ، وأمر بتدبره جميعه لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف ، وصلاح الظاهر والباطن ، واصلاح الأمور كلها) .[1]

وقد امتاز تفسير ابن سعدى عن غيره من التفاسير بميزات متعددة أذكر فيما يلي بعضها :

- سهولة ألفاظه وخلوه من التكلف والحشو ، وذلك لأنه يقتصر فيه على توضيح الآيات وبيان معانيها .

- لا يتعرض للمسائل الخلافيه عند تفسيره لآيات الأحكام ، وانما يذكر القول الراجح بدليله .

- بعد تفسيره للآيات المشتملة على قصة نبي من الأنبياء ، فانه يذكر بعدها مااشتملت عليه القصة من فوائد .

- لا يلتفت في تفسيره للاسرائيليات بل يعرض عنها ، ويكثر من التحذير منها .

- عقد في مقدمة تفسيره فصولا متعدده ذكر فيها جملة من الفوائد المتعلقة بتفسير القرآن اختار جملة منها من كتاب بدائع الفوائد لابن القيم .

---

(١) مقدمة التفسير . وانظر ايضا ٦/٤٦٥ .

- ذكر في آخر المجلد الخامس جملة من الأصول والكليات المتعلقة بتفسير القرآن ، والتي لا يمكن أن يستغني عنها مفسر القرآن الكريم .

- وعقد أيضا في آخر المجلد الخامس فصلا شرح فيه أسماء الله الحسنى .

وكان رحمه الله أول مانشر من هذا التفسير الجزء المتعلق بتفسير سورة الكهف الى آخر سورة النحل ، ثم بعد ذلك اتبعه بنشر التفسير كاملا ، وكان فراغه من تأليف هذا التفسير في ٧ شعبان ١٣٥٤ هـ .

١١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن .(١)

وهو خلاصة للتفسير المتقدم ألفه بعد فراغه من تأليف التفسير بأكثر من عشر سنوات .

يقول ابن سعدي في مقدمة هذه الخلاصة مبينا سبب تأليفها :

(أما بعد : فقد كنت كتبت كتابا في تفسير القرآن مبسوطا مطولا يمنع القراء من الاستمرار بقراءته ، ويفتر العزم عن نشره ، فأشار علي بعض العارفين الناصحين أن أكتب كتابا غير مطول يحتوي على خلاصة ذلك التفسير ، ونقتصر فيه على الكلام على بعض الآيات التي نختارها وننتقيها من جميع مواضيع علوم القرآن ومقاصده .... فالوقوف على تفسير بعض القرآن يعين أعظم عون على معرفة باقيه) .

وكان فراغه من هذه الخلاصة في ٣ شوال ١٣٦٨ هـ .

---

(١) عندما انقل من هذا الكتاب في هذه الرسالة فاني اكتفي بذكر كلمة " الخلاصة " اختصارا .

١٢ - الجمع بين الانصاف ونظم ابن عبد القوى .

وهذا الكتاب لم يطبع ، ولم يكمله الشيخ ابن سعدى ، وانما وصل فيه الى كتاب الحج ، وهو عبارة عن جمع بين نظم ابن عبد القوى . وهو في الفقه. وبين الانصاف للمرداوى ، ويوجد منه نسخة خطية في مكتبة الجامع في عنيزه .

- حاشية على الفقه استدراكا على جميع الكتب المشهوره في المذهب الحنبلي .

مخطوطة لم تطبع . ذكرها ابنه عبد الله في ترجمته لوالده. (١) .

والذى يبدو لي أنه ليس للشيخ ابن سعدى استدراك على جميع كتب الحنابله وانما له استدراك على كتاب شرح مختصر المقنع للشيخ منصور البهوتي وقد طبع باسم "المختارات الجلية" وسيأتي مزيد ايضاح ذلك عند الحديث عن هذا الكتاب وهو برقم "٣٥" .

١٣ - الجهاد في سبيل الله أو واجب المسلمين وما فرضه الله عليهم في كتابه نحو دينهم وهيئتهم الاجتماعية .

وهي رسالة صغيرة غير مؤرخه وجدها ابناؤه بخطه بين أوراقه ، بعد وفاته رحمه الله .

ومضمونها الحث على الترابط والتعاون والتآخي في الله. والحث على الجهادِ في سبيلِ اللهِ بسائرِ أنواعه سواء كان بالمال أو بالنفس أو بالدعوة إلى الله أو غير ذلك.

---

(١) انظر سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى ، جمع حامد الفقي / ٢٢ .

١٤ - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية .

وهو شرح مختصر للجزء المتعلق بتوحيد الأنبياء والمرسلين من نونية ابن القيم ، وكان الشيخ ابن سعدى قد شرح هذا الجزء شرحا موسعا ، ثم رأى تلخيصه في هذا الكتاب ، كما أشار الى ذلك في مقدمته فقال (كنت وضعت شرحا على توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للمحقق شمس الدين بن القيم رحمه الله ، أطلت فيه وأكثرت فيه من النقول عن كتب المؤلف فبدا لي أن ألخصه بشرح متوسط يأتي بأغراضه ومقاصده ، ويحتوى على المهم من مسائله وفوائده) .

وفرغ الشيخ ابن سعدى من تأليفه في ٣ ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ .

وعلى هذا يكون للشيخ ابن سعدى ثلاث مؤلفات حول نونية ابن القيم . هذان الكتابان ، وكتاب توضيح الكافيه الشافيه وقد تقدم ذكره .

١٥ - حكم شرب الدخان .

وهي رسالة صغيره عباره عن فتوى في بيان تحريم شرب الدخان . والاتجار به ، وذكر فيها أضرار الدخان الدينية والبدنيه والماليه .

وطبعت بتقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، وفرغ الشيخ ابن سعدى من تأليفها في ربيع الأول سنة ١٣٧٦ هـ .

١٦ - الخطب المنبريه على المناسبات .

وهو كتيب يشتمل على ثلاثين خطبه في جمله من المطالب الشرعية من فرائض ونوافل وآداب .

١٧ - الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حلِ المشكلة القدرية .

ناظمُ القصيدة التائية هو شيخُ الاسلام ابن تيمية،نظمها جواباً لسؤالٍ أورده عليه منقال إنه ذمي ليشبه على المسلمين ، وليشككهم في القضاء والقدر .

وقد شرحها ابن سعدى في هذه الرسالة شرحا متوسطاًأجلى فيه عن معانيها وكشفعن غوامضها ، وأضاف إليها خاتمة جليلة ذكر فيها أمثلة متنوعة تكشف مسألة القضاء والقدر وتبينها .

وفرغ الشيخ ابن سعدى من تأليفها في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٦هـ

١٨ - الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام .

وهي رسالة صغيرة ذكر فيها جملة من محاسن الدين الاسلامي ومزاياه. قال في مقدمتها : (وغرضي من هذا التعليق ابداء ماوصل إليه علمي من بيان أصول محاسن الدين العظيم ، فإني وان كان علمي ومعرفتي تقصر كل القصور عن ابداء بعض ما احتوى عليه هذا الدين من الجلال والجمال والكمال . وعبارتي تضعفعن شرحه على وجه الإجمال ، فضلاً عن التفصيل في المقال ، وكان مالا يدرك جميعه ولا يوصل إلى غايته ومعظمه ، فلا ينبغي أن يترك منه مايعرف الانسان لعجزه عما لا يعرفه... إلى أن قال : واعلم أن محاسن الدين الاسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله ، وفي أصوله وفروعه ، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام ، ومادل عليه من علوم الكون والاجتماع ، وليس القصد هنا استيعاب ذلك وتتبعه ، فإنه يستدعي بسطا كثيرا ، وانما الغرض ذكر أمثلة نافعة يستدل بها على سواها ، وينفتح بها الباب لمن أراد

الدخول ، وهي أمثلة منتشرة في الأصول والفروع والعبادات والمعاملات)

ثم ذكر واحدا وعشرين مثلا ، فيها بيان جملة من محاسن الدين .

وفرغ من تأليفها في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ.

١٩ - الدلائل القرآنية في أن العلوم النافعة العصرية داخلة في الدين الاسلامي .

وهي رسالة صغيرة تضمنت للبراهين القواطع الدالة على أن الدين الاسلامي وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كل خير ، وأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة داخلة في ضمن علوم الدين وأعماله ، وليست منافيه لها كما يزعمه الجهلة الماديون .

وفرغ الشيخ من تأليفها في ١٠ محرم سنة ١٣٧٥ هـ .

٢٠ - الدين الصحيح يحل جميع المشاكل .

وهي رسالة صغيرة عرض فيها جملة من مشاكل الحياة المهمة ، وبين حلولها السليمة المأخوذه من الكتاب والسنة .

وعرض في هذه الرسالة خمس مشاكل كأنموذج لغيرها من المشاكل وبين حلول الدين لها ، والمشاكل التى ذكرها هي :

- مشكلة الدين والعقيدة .
- مشكلة العلم .
- مشكلة الغنى والفقر.
- مشكلة السياسة الداخلية .
- مشكلة السياسة الخارجية .

وفرغ من تأليفها في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ هـ .

٢١ - رسالة في القواعد الفقهية :

وهي رسالة مشتملة على منظومة تتكون من سبعة واربعين بيتا في أمهات قواعد الدين من نظم ابن سعدى مع شرحه لها .

يقول في مقدمتها : (أما بعد : فاني وضعت لي ولاخواني منظومة مشتملة على أمهات قواعد الدين ، وهي وان كانت قليلة الألفاظ فهي كثيرة المعاني لمن تأملها .

ولكنها تحتاج الى تعليق يوضحها ويكشف بعض معانيها وأمثلتها تنبّه اللبيب الفطن على ماوراء ذلك ، فوضعت عليها هذا الشرح اللطيف تيسيرا لفهمها) .

وفرغ من تأليفها في ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٣١ هـ .

٢٢ - رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة :

وهي رسالة صغيرة من تسع صفحات ،عقد فيها فصولا متعددة عرف فيها أصول الفقه ، وذكر الأحكام الخمسة التى يدور عليها الفقه ، وذكر الأدلة التى يستمد منها الفقه ، وذكر جملة من القواعد الأصولية وشرحها شرحا موجزا . قال في مقدمتها : (أما بعد : فهذه رسالة لطيفة في أصول الفقه ، سهلة الألفاظ واضحة المعاني ، معينة على تعلم الأحكام لكل متأمل معاني) .

وفرغ من تأليفها في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ هـ .

٢٣ - الرياض الناضره والحدائق النيره الزاهرة، في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة •

وهو مجلد واحد مشتمل على آداب متفرقة وفنون متنوعة وفوائد منثورة جعلها في اثنين وثلاثين فصلا •

يقول في مقدمته :(أما بعد : فهذه كلمات طيبات نافعات، ومقالات متنوعة في المهم من أصول الدين وأخلاقه وآدابه •

وهاك فصولا منثوره ،في مواضيع متعدده نافعة) •

وكُتب في آخره تم نقله من خط مؤلفه في ٢٠ رجب سنة ١٣٧٠ هـ بخط عبد الله بن سليمان العبد الله السلمان •

٢٤ - سؤال وجواب في أهم المهمات •

وهي رسالة صغيرة في العقيدة ألفها على طريقة السؤال والجواب اشتملت على اثنين وعشرين سؤالا في جوانب متعددة من أمور العقيدة •

قال في مقدمتها :(أما بعد فهذه رسالة مختصرة احتوت على أهم المهمات من أمور الدين وأصول الايمان تدعو الحاجة والضرورة الى معرفتها جعلتها على وجه السؤال والجواب ،لأنه أقرب الى الفهم والتفهيم وأوضح في التعلم والتعليم) •

٢٥ - طريق الوصول الى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول •

وهو مجلد كبير اشتمل على خمس عشره وألف مابين قاعدة وأصل وضابط جامع وتعريف مهم وفائده ضرورية وترغيب في كمال ، وتحذير من نقص ،وتوجيه الى المنافع الظاهرة والباطنة وترهيب من المضار الدينية والدنيوية •

اختارها من أكثر من ستين كتابا من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم رحمهم الله .

وفرغ منه الشيخ ابن سعدى في شهر شعبان سنة ١٣٧٠ هـ .

٢٦ - الفتاوى السعدية :

وهو مجلد كبير مشتمل على جملة كبيرة من الفتاوى التى أجاب بها الشيخ ابن سعدى على الأسئلة المتنوعة التى كانت ترد اليه من أماكن متفرقة ، فكان يجيب عليها محررة ، ثم يقوم بارسالها الى السائل .

وبعد وفاته جمعت جملة كبيرة من هذه الفتاوى المتنوعة في هذا المجلد وسميت بـ " الفتاوى السعديه " .

٢٧ - فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد .

وهذا الكتاب لم يطبع وقد بحثت عنه كثيرا فلم أجده وقد أشار اليه عدد من الذين ترجموا للشيخ ،[1] وأشار ابنه عبد الله في ترجمته لوالده انه لم يطبع.[2]

- فوائد قرآنيه .

وهي رسالة : استلت من كتابه " تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن " وافردت بهذا العنوان .

٢٨ - فوائد مستنبطة من قصة يوسف .

وهذه الرسالة استنبط فيها الشيخ ابن سعدى جملة كبيره من الفوائد

---

(١) انظر مشاهير علماء نجد لآل الشيخ / ٣٩٤ ، والنعت الأكمل للعامرى ٤٢٩ . وآخر كتاب المختارات الجليه طبعة المدني بقلم السناني / ص و .

(٢) انظر سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع محمد حامد الفقي / ٢٣ .

العظيمة من قصة يوسف عليه السلام .

يقول في مقدمتها : (أما بعد : فهذه فوائد مستنبطه من قصة يوسف صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ،فان الله تعالى قصها علينا مبسوطه ، وقال في آخرها (لقد كان في قصصهم عبره لأولي الألباب)) .

وفرغ الشيخ ابن سعدى من تأليفها في شهر صفر سنة ١٣٧٥ هـ .

٢٩ ـ الفواكه الشهيه في الخطب المنبريه :

وهو مشتمل على احدى وسبعين خطبة من خطب الشيخ ابن سعدى في مجالات متنوعة ومطالب متفرقة .

٣٠ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن .

وهذا الكتاب مشتمل على سبعين قاعده ، تعين قارئها ومتأملها على فهم القرآن الكريم .

يقول الشيخ ابن سعدى في مقدمتها : (أما بعد : فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم ، جليلة المقدار ، عظيمة النفع ،تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله ، والاهتداء به ، ومخبرها أجل من وصفها ، فانها تفتح للعبد من التفسير ، ومنهاج الفهم عن الله ، مايغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة) .

وفرغ الشيخ ابن سعدى من تأليفه في ٦ شوال سنة ١٣٦٥ هـ .

٣١ ـ القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة .

وقد قسم ابن السعدى هذا الكتاب الى قسمين :

قسم : ذكر فيه جملة من الأصول الجامعة و القواعد المهمة مع شرحها .

وقسم: ذكر فيه الفوارق بين المسائل المشتبهة و الأحكام المتقاربة .

و ذكر التقاسيم المهمة .

قال في مقدمته : (أما بعد : فان معرفة جوامع الأحكام وفوارقها من أهم العلوم وأكثرها فائدة وأعظمها نفعا . لهذا جمعت في رسالتي هذه ماتيسر من جوامع الأحكام وأصولها ، وما تفرق فيه الأحكام لافتراق حكمها وعللها) .

وفرغ من تأليفه في ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ هـ .

٣٢ - القول السديد في مقاصد التوحيد :

وهو تعليق مختصر على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب . يبين فيه الشيخ ابن سعدى الأبواب التى عقدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه ويبين مناسبتها للترجمه ، وقد طبع هذا الكتاب بمفرده مرتين ، وطبع في حاشية كتاب التوحيد مرارا .

قال الشيخ ابن سعدى في آخره (.. وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد ، وتوضيح مقاصده ، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد ، ومن التقاسيم و التفصيلات النافعة مالا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن الذى هو أصل الأصول وبه تقوم العلوم كلها) .

وقد بدأه الشيخ ابن سعدى بمقدمة مشتملة على صفوة عقيدة أهل السنة والجماعة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة .

٣٣ - مجموع الخطب في المواضيع النافعة :

وهو مجموع كبير يشتمل على احدى وستين ومائة خطبة في أهم المواضيع الجامعه للعقائد والأخلاق والآداب الدينية والدنيوية بأسلوب سهل واضح وعبارة بينه .

وفرغ الشيخ ابن سعدى من تقييد هذا المجموع في ٢٢ رجب سنة ١٣٦٥ هـ.

وعلى هذا فانه يتبين لنا مما تقدم أن للشيخ ابن سعدى ثلاثة كتب في الخطب كلها مطبوعة .

٣٤ - مجموع الفوائد واقتناص الأوابد .

مخطوط لم يطبع ،ذكره ابنه عبد الله في ترجمته لوالده. (١)

٣٥ - المختارات الجليه من المسائل الفقهيه.

وهو مستدرك على كتاب شرح مختصر المقنع للشيخ منصور البهوتي . وقد جعل هذا التعليق كالاستدراك عليه والتنبيه على ماذكره ليكون تنبيها على غيره من كتب الأصحاب عموما .

وأشار في مقدمته الى عدم وجود الفرصة لديه لتتبع جميع كتب الأصحاب فاكتفى بالتعليق على كتاب البهوتي ليكون تنبيها على غيره من كتبهم.

وهذا يوضح لنا أن الشيخ ابن سعدى ليس له استدراك على جميع كتب

---

(١) انظر سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى ، جمع محمد حامد الفقي ٢٣/٠ .

الحنابلة كما سبق الاشارة الى ذلك ، والله أعلم .

وقد فرغ الشيخ ابن سعدى من تأليف هذا الكتاب في ٣ صفر سنة ١٣٥٥ هـ .

- مختارات من الفتاوى .

طبعت هذه المختارات في آخر كتاب المختارات الجليه " طبعة السعيدية " وهي جملة مختارة من " الفتاوى السعدية " المتقدمة .

٣٦- المواهب الربانية من الآيات القرآنية .

وهي رسالة صغيره مشتملة على فوائد متنوعة سجلها الشيخ ابن سعدى أثناء قراءته للقرآن الكريم في شهر رمضان المبارك .

وفرغ من تأليفها في ٢٨ رمضان سنة ١٣٤٧ هـ .

٣٧- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين .

وهي رسالة صغيرة جامعة ، اكتفى فيها الشيخ ابن سعدى بذكر القول الراجح بدليله ، بدون تعرض للخلاف .

قال في مقدمتها : (أما بعد فهذا كتاب مختصر في الفقه ، جمعت فيه بين المسائل والدلائل ، لأن العلم معرفة الحق بدليله ، والفقه معرفة الأحكام الشرعية الفرعية بأدلتها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح . واقتصرت فيه على الأدلة المشهورة خوفا من التطويل ، واذا كانت المسألة خلافية اقتصرت على القول الذى ترجح عندى تبعا للأدلة الشرعية) .

- منهج السالكين مختصر أصول الفقه .

ذكر هذا الكتاب صاحب مشاهير علماء نجد [1] ، والذى يبدو وأن الشيخ ابن سعدى ليس له كتاب بهذا الاسم ، اذ أن اختصاره لأصول الفقه تقدم ذكره باسمه الذى وضعه مؤلفه وهو "رسالة لطيفه جامعة في أصول الفقه المهمه" برقم "٢١" ،فلعله التبس عليه اسم هذا الكتاب بالكتاب الذى قبله .

٣٨ - المناظرات الفقهية .

وهذا الكتاب جعله الشيخ على طريقة مناظرة بين رجلين سمى أحدهما المتوكل على الله والآخر المستعين بالله ، فيدور بينهما حوار في المسائل الخلافية وكل واحد منهما يذكر الدليل على قوله ، حتى يظهر في آخر المناظره رجحان قول أحدهما لقوة أدلته ، وهكذا في سائر المسائل الخلافية .

وقد سلك الشيخ ابن سعدى هذه الطريقه في هذا الكتاب لما يرى فيها من فوائد عظيمه ذكر جملة منها في مقدمة كتابه فقال :

(واجعلها على صورة مناظرة بين : المستعين بالله ، والمتوكل على الله ، لأن في جعلها على هذه الصوره فوائد كثيره .

منها : تيسير مأخذ القولين ووجودها في محل واحد ، وذلك من مقربات العلم .

ومنها : التمرن على المناظره والمباحثة ، التى هي من أكبر الوسائل

---

(١) مشاهير علماء نجد لآل الشيخ /٣٩٥ .

لادراك العلم وثبوته وتنوعه .

ومنها : التمرن على الاستدلال ، والرجوع الى أصول المسائل ليصير للعبد ملكة تامة يحسن معها الاستدلال والمناظرة والنظر .

ومنها : أن يعود الانسان نفسه سرعة قبول الحق اذا اتضح له صوابه وبان له رجحانه .

ومنها : أن يعلم أن الخلاف في مثل هذه المسائل بين أهل العلم لا يوجب القدح والعيب والذم) .

وفرغ من تأليفه في ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ هـ .

٣٩ - منظومه في أحكام الفقه .

وهي منظومة طويله تتكون من أكثر من اربعمائة بيت ،نظمها الشيخ ابن سعدى على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله قال في مقدمتها :

(وهذه منظومه قصدى بها
تيسير أحكام قد اعتنوا بها
في فقه أحكام تفيد المبتدى
من كتب أصحاب الامام أحمد)

ونظم الشيخ ابن سعدى هذه المنظومة وهو في السادسة والعشرين من عمره ، وفرغ منها في ٢٦ شوال سنة ١٣٢٣ هـ .

٤٠ - منظومة في السير الى الله والدار الآخره :

وهي منظومة تتكون من ثمانية عشر بيتا في الحث على عبادة الله ومحبته

والانابه اليه ، وفي الحث على سلوك الطريق الموصل الى دار السلام.
وله تعليق على هذه المنظومه طبع معها ، وفرغ منها في ٣ شعبان
سنة ١٣٣٣ هـ.

- واجب المسلمين .

تقدمت بعنوان الجهاد في سبيل الله ، برقم " ١٣ " .

٤١ - وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني ، وبيان كليات من براهين الدين .

وهي غير الرسالة المتقدمه برقم " ١٣ " ، وان كانت قريبة منها في الموضوع ، اذ في هذه الرسالة أيضا حث على التعاون والتآخي وحث على الجهاد في سبيل الله .

وفي هذه الرسالة اضافة بيان جملة من الكليات من براهين الدين الاسلامي .

قال الشيخ ابن سعدي في مقدمتها : (أما بعد فهذه رسالة تتضمن التنبيه على واجب المسلمين نحو دينهم ، ووجوب التعاون بينهم في جميع المصالح والمنافع الكلية الدينية والدنيوية ، وعلى موضوع الجهاد الشرعي ، وعلى تفصيل الضوابط الكليه في هذه المواضيع ، وعلى البراهين اليقينية في أن الدين عند الله هو دين الاسلام) .

وفرغ من تأليفها في ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٧ هـ .

٤٢ - الوسائل المفيدة للحياة السعيدة .

وهي رسالة صغيرة الحجم عظيمة النفع ، تحدث فيها الشيخ

ابن سعدى عن أسباب السعادة وطرقها . وعن كيفية الحصول على راحة القلب وطمأنينته ، وكيفية ازالة الهموم والغموم والأحزان .

وأخيرا فهذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلفاته رحمه الله ، وتجدر الاشارة الى أن له فوائد منثورة وفتاوى كثيرة ، حيث كانت ترد اليه أسئله شتى من اماكن متفرقة فكان يجيب عليها ويرسلها للسائل ، وقد حصلت على بعضها واستفدت منها في هذا البحث .

وله أيضا تعليقات شتى في كثير مما يمر عليه من الكتب ، وقد كانت الكتابة سهلة يسيره عليه . (١)

ثامنا : ثناء العلماء عليه :

قد أشاد كثير من العلماء بفضل الشيخ ابن سعدى ، وعلمه ، وحسن خلقه ، وطيب معشره ، وحبه للخير ، وقد كان محل ثنائهم ، فوصفوه بحميد الأفعال ، ونعتوه بطيب الخصال .

وفيما يلي ذكر جملة من أقوال العلماء فيه :

أ - قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله - :

(كان رحمه الله كثير الفقه والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل ، وكان عظيم العنايه بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وكان يرجح ما قام عليه الدليل .

---

(١) انظر مقدمة كتاب الرياض الناضره لابن سعدى ، بقلم أحد تلاميذه / ١٠ .

وكان قليل الكلام الا فيما تترتب عليه فائدة ، جالسته غير مرة في مكه والرياض ، وكان كلامه قليلا الا في مسائل العلم. وكان متواضعا حسن الخلق ، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة) .

ب - وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي :

(ان من قرأ مصنفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى رحمه الله وتتبع مؤلفاته وخالطه ، وسبر حاله أيام حياته ، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعا وتعليما ، ووقف منه على حسن السيرة وسماحة الخلق ، واستقامة الحال ، وانصاف اخوانه وطلابه من نفسه ، وطلب السلامة فيما يجر الى شر أو يفضي الى نزاع أو شقاق فرحمه الله رحمة واسعة).(١)

جـ - وقال الشيخ محمد حامد الفقي :

(لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى من أكثر من عشرين سنه فعرفت فيه العالم السلفي المحقق ، الذى يبحث عن الدليل الصادق ، وينقب عن البرهان الوثيق ، فيمشي وراءه لا يلوى على شيء. . . . عرفت فيه العالم السلفي الذى فهم الاسلام الفهم الصادق ، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة الى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزه القوية الكريمة النقية . . .).(٢)

---

(١) مقدمة كتاب حكم شرب الدخان لابن سعدى.

(٢) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع محمد حامد الفقي / ٣ .

د - وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

(إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه ، حيث كان يعامل كلا من الصغير والكبير بحسب مايليق بحاله ، ويتفقد الفقراء ، فيوصل اليهم مايسد حاجتهم بنفسه ، وكان صبورا على مايلسم به من أذى الناس . وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوه حيث يوجهها توجيها يحصل به عذر من هفا) .

هـ - وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام :

(لقد كان للشيخ عبد الرحمن السعدي أثر كبير ، ودور بارز ،في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم ، حيث جلس للتدريس وافادة الطلاب أكثر من نصف قرن من الزمان .

وكان في زمانه هو مرجع أهل البلاد في التدريس والوعظ والتوجيه والخطابه والامامه والفتاوى والمشاورات ، وكان محرر الوثائق والمبايعات والتوثيقات والوصايا . وغير ذلك وكان يمتاز بكرم النفس وحسن الخلق والبشاشه والطلاقة . وكان محبوبا لدى الخاصة والعامة) .

ز - وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل :

(كان رحمه الله على جانب كبير من مكارم الأخلاق والتواضع ، وكان يحترم جلساءه ويوقرهم ، وكان كثير التسامح مع أصحابه وغيرهم ويلتمس العذر لأحدهم مهما كان .

وكان يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، ويجيب دعوة من دعاه ، ويتكلم مع كل أحد بما يناسب حاله ، ويحرص على نشر العلم بينهم

في مجالسهم .

وكان حريصا على نصح الناس من خلال خطبه المنبرية ومجالسه العلمية ، حريصا على افتائهم وحل مشاكلهم الدينية والدنيوية ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء) .

ح - وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل :

(دع عنك ذكر الهوى واذكر أخا ثقة
يدعو الى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالفضل متصف
مفتاح خير الى الطاعات مبتكر
بحر من العلم نال العلم في صغر
مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
نال العلا يافعا تعلو مراتبه
ففضله عند كل الناس مشتهر
بالفقه في الدين نال الخير أجمعه
والفقه في الدين غصن كله ثمر) .

وهي بعض أبيات من قصيدة طويلة في مدح الشيخ ، نظمها في حياته . (١)

---

(١) علماء نجد للبسام ٢/٤٢٨ ، وروضة الناظرين للقاضي ، ١/٢٢٥ .

ط - وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين :

(لقد كان رحمه الله على جانب كبير من الأخلاق الحسنه ، متواضعا للصغير والكبير ، ذا عبادة وزهد وورع ، وكان فقيها محدثا ، واعظا خطيبا ، لغويا أديبا ، جامعا لفنون عديده) .[1]

ى - وقال الشيخ عبد الرحمن بن حمد الغوزان :

(كان مثال الورع والزهد الصحيح ، فقد أتته الدنيا تطلب وده ضاحكة مبتسمة ، لكنه رفضها وأباها ، وكم من مرة عرضت عليه المناصب الرفيعة ، والأعمال الغالية فأصبحت محاولاتها عبثا ، ولم يرض أن تغرض له المرتبات ، ولا أن يجرى عليه المخصصات ، بل كان قانعا بما عنده من كفاف حتى ان مخصص امامه الجامع الكبير - الذى تولى الصلاة فيه سنين عديده - كان ينفقها في المصالح الخيريه وعلى الفقراء والمعوزين .

أما افادته العلميه : فيكفيك أنه قد جلس للتدريس والافتاء وهو في عقده الثالث حتى تخرج على يديه الكثير من القضاة والمدرسين .

ولست بحاجه الى شاهد . فمؤلفاته المنتشرة في جميع الآفاق أكبر دليل على اتساع مداركه ، وامتداد معارفه ، اذ انها لا تبحث في موضوع واحد وحسب ، بل متعددة النواحي مختلفة الأهداف ...)[2]

---

(١) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى جمع محمد حامد الفقي / ٢٨ .

(٢) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى ، جمع محمد حامد الفقي / ٣٠ .

ك - وقال الشيخ محمد بن عثمان القاضي :

(... وكانت له مكانة مرموقة ، وكلمة نافذة ، وعنده غيرة وفيه نخوة ... ولقد خلف فراغا واسعا حينما فقدناه ، لأنه كان أنس المحافل ، وقد سكن حبه في سويداء القلوب)[1] .

وهذا نهاية الفصل الثاني من الباب الأول .

وبالله التوفيق ،،

---

(١) روضة الناظرين ١/٢٢٥ .

الباب الثاني

جهود الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في توضيح العقيدة

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : جهوده في توضيح الايمان بالله تعالى .

الفصل الثاني : جهوده في توضيح الايمان بالنبوات .

الفصل الثالث : جهوده في توضيح الايمان باليوم الآخر .

الفصل الرابع : جهوده في توضيح تعريف الايمان ومايتعلق به من مسائل .

الفصل الأول

جهوده في توضيح الايمان بالله تعالى

تمهـيد :-

ان عقيدة التوحيد وافراد الله وحده بالعبادة ، هي أعظم المقاصد ، وأهم الغايات ، فمن أجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل ، وجعل الجنة والنار ، فالجنة دار من أطاعه وحقق توحيده ولم يشرك به شيئا ، والنار دار من عصاه وجعل له ندا وشريكا .

ومن تأمل نصوص القرآن الكريم ، وجدها تبدى وتعيد في شأن العقيدة ، داعية اليها محذرة من ضدها ، في آيات كثيرة بطرق متنوعة وأساليب مختلفة فتارة ببيان أنها أعظم الغايات وسبب ايجاد الخلقية ، وأخرى ببيان أن الكتب انما أنزلت والرسل انما أرسلوا وبعثوا الا لتحقيقها ، وثالثة ببيان الوعيد الشديد لمن خالف هذه العقيدة وأتى بضدها .. وهكذا .

قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)[1] .

وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[2] .

وقال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[3] .

وقال تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)[4] .

---

(١) سورة الذاريات / الآيه ٥٦ .
(٢) سورة النحل / الآيه ٣٦ .
(٣) سورة النساء / الآيتان ٤٨ و ١١٦ .
(٤) سورة المائده / الآية ٧٢ .

وغيرها من الآيات ، والقرآن كله من أوله الى آخره في تقرير هـــــذه العقيدة ، لأنه اما خبر عن الله عز وجل و مايجب أن يوصف به و مايجــــب أن ينزه عنه و هو التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادى ، واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع مايعبد من دونــه فهو التوحيد الطلبـــــي الارادى ، واما أمر ونهي والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، واما خبر عن اكرامه لأهل التوحيد ومافعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد ومايكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده ، واما خبر عن أهل الشرك و مافعل بهم في الدنيا من النكال و مايفعل بهم في العقبى من العذاب فهــــو جزاء من خرج عن حكم توحيده ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . (1)

ثم أنه بعد التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنه من قبل علماء الاســـلام تبين أن التوحيد لا يخرج عن ثلاثة أنواع :

النوع الأول : توحيد الربوبيه : وهو الاقرار بربوبية الله تعالـــى على خلقه أجمعين بخلقه لهم ورزقه اياهم واحيائهم واماتتهم و تصرفه فـــي شئونهم كلها .

والنوع الثاني : توحيد الأسماء والصفات وهو اثبات جميع ماورد فـــي القرآن والسنه من نعوت الكمال لله عز وجل ، ونفي جميع مانفي في الكتـــاب والسنه من النقائص والعيوب عن الله عز وجل ، من غير تكييف ولا تحريـــف ولا تعطيل ولا تمثيل .

والنوع الثالث : توحيد الألوهيه : وهو افراد الله وحده بجميع أنـــواع

---

(1) العقيدة الطحاوية / ٢٨ .

العبادة ، وعدم صرف أي نوع منها لغير الله عز وجل .

ومن تتبع نصوص القرآن والسنة جميعها ، يجد أنها لا تخرج في توحيد الله تعالى ،عن هذه الأنواع الثلاثة .

وقد تناول ابن سعدي في مؤلفاته جميع هذه الأنواع ، واعتنى بابرازها وبيانها وايضاحها ، ونبه على أهميتها وضرورة الحاجة اليها .

وفيما يلي سأفرد كل نوع من هذه الأنواع بمبحث خاص أبين فيه جهود الشيخ ابن سعدي في توضيحه وبيانه .(١)

المبحث الأول : في توحيد الربوبية .

والمبحث الثاني : في توحيد الأسماء والصفات .

والمبحث الثالث : في توحيد الألوهيه .

---

(١) وانظر كلامه عن هذه الأنواع على سبيل الاجمال : القول السديد / ١٦ ، ١٧ . والتفسير ١/ ٣٦ ، والتوضيح والبيان / ٢٤ ، وسؤال وجواب / ٤ ، وغيرها من كتبه .

المبحث الأول

توحيد الربوبية

المبحث الأول

توحيـــيد الربوبــــية

عرف ابن سعدى هذا النوع من التوحيد فقال :

(هو اعتقاد أن الله سبحانه هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبـــير ، وانه المحيي المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الــذى له الأمر كله وبيده الخير كله ، القادر على مايشاء ليس له في ذلك شريـــك ، وأنه الذى ربى جميع خلقه بالنعم ، وربى خواص خلقه وهم الأنبياء واتباعهـــــم بالعقائد الصحيحه ، والأخلاق الحميدة والعلوم النافعة والأعمال الصالحـــة . وهداهم الى تحقيق عبادته وطاعته وهذه التربية هي النافعة المثمـــــرة للسعادة في الدنيا والآخرة) .[1]

وعرف الرب بأنه المربي لجميع العالمين وهم من سوى الله ، بخلقـــه اياهم وانعامه عليهم بأنواع النعم التي لو فقدوها لما أمكنهم الحياة والبقاء علــى وجه الأرض .[2]

وماذكره من معاني وتوضيح لتوحيد الربوبيه ولمعنى الرب ، قد دلـــت عليه نصوص كثيرة في القرآن الكريم ، فقد أوضـــح الله في كتابه في غير آيه أنــه الرزاق المدبر المنعم القادر على كل شيء المتصرف في شئون خلقه كلها الى غير ذلك من معاني الربوبية .

قال تعالى : (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[3] .

---

(١) القول السديد / ١٦ .
(٢) التفسير ١/ ٣٤ ، و ٥/ ٦٢٠ ، والخلاصه / ٩ .
(٣) سورة الذاريات / ٥٨ .

وقال تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون)[1] .

وقال تعالى : (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)[2] .

وقال تعالى : (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة . وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[3] .

وقال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)[4] .

---

(١) سورة يس / الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) سورة الحديد / الآية ١٧ .

(٣) سورة البقرة / الآية ١٦٤ .

(٤) سورة النمل / الآيات ٦٠ : ٦٤ .

وغيرها من الآيات الدالة على تفرد الله وتوحده بالخلق والـــــــرزق والاحياء والاماته والتصرف في جميع المخلوقات ، والدالة على قدرته على كـل شيء وأن بيده ملكوت كل شيء وأن المرجع والمآل اليه وحده .

تربية الله لخلقه على نوعين :

ورد في القرآن الكريم ذكر ربوبية الله لخلقه وعباده في مواضع كثيرة ، وهي على نوعين : ربوبية عامه شامله لجميع المخلوقات برها وفاجرها مكلفيها وغير مكلفيها حتى الجمادات ، لا يخرج عنها أحد ، وهي أنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وتدبيرها .

وربوبية خاصة : وهي خاصة بأولياء الله وأصفيائه وهي تربيته لهم بهدايتهم للدين والايمان وتعليمهم العلوم النافعة وتكميلهم بالأخلاق الجميلة ، ودفعه عنهم الأخلاق الرذيله ، وحقيقتها التوفيق لكل خير .

قال ابن سعدى في بيان هذين النوعين : (وتربيته تعالى لخلقه نوعان : عامه ، وخاصة .

فالعامه : هي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التى فيها بقاؤهم في الدنيا .

والخاصة : تربيته لأوليائه فيربيهم بالايمان ويوفقهم له ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائله بينهم وبينه .

وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير ، والعصمه من كل شر .

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعيه الأنبياء بلفظ الرب فان مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة)[1] .

---

(١) التفسير ١/ ٣٤ ، وانظر الخلاصه / ١١١ .

دلالات توحيد الربوبية :

وتوحيد الربوبيه له دلالات كثيرة ، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين ، اذ أن الله جعل لخلقه أشياء لو تأملوها وتفكروا فيها لأرشدتهم الى أن هناك خالقا مدبرا لهذا الخلق أجمعين وقد تعرض الشيخ ابن سعدى لهذه الدلالات في كتاباته ولاسيما في كتابه التفسير ، ولكثرة هذه الدلالات فاني سأكتفى بذكر بعضها على سبيل التمثيل :-

دلالة الفطرة :

وهذه في مقدمة الدلالات اذ أن الله فطر الخلق على توحيده فما من مولود الا ويولد على فطرة التوحيد كما قال سبحانه : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) .

وأخرج البخارى ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مامن مولود يولد الا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمه بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " (٢) .

لذا نجد أن ابن سعدى رحمه الله يقول عند تفسيرهذه الآيه " ان جميع أحكام الشرائع الظاهره والباطنه قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل اليها .

---

(١) سورة الروم / الآيه ٣٠ .

(٢) البخارى ٢/٩٧ ، ومسلم ٤/٢٠٤٧ .

فوضع في قلوبهم محبة الحق وايثار الحق وهذا حقيقة الفطرة ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها " (١) .

وهذا ما دل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال : (خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم " (٢) رواه مسلم ، وعرف الفطرة بأنها " هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها ، وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وايثاره وكراهية الشر ودفعه وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والاخلاص لله والتقرب اليه" (٣) .

ثم انه يقسم شرائع الفطرة الى قسمين : قسم يطهر القلب والروح وهو الايمان بالله وتوابعه من خوفه ورجائه ومحبته والانابة اليه .

وقسم : يعود الى تطهير الظاهر ونظافته ، ودفع الأوساخ والأقذار منه وهو سنن الفطره العشر الوارده في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عشر من الفطرة : قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ، ونتف الابط وحلق العانه وانتقاص الماء يعني الاستنجاء) قال الراوي ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضه . رواه مسلم في صحيحه . (٤)

قال رحمه الله " والمقصود أن الفطره شامله لجميع الشريعه باطنها وظاهرها ، لأنها تنقي الباطن من الأخلاق الرذيلة وتحليه بالأخلاق

---

(١) التفسير ٦/١٢٦ .

(٢) مسلم ٤/٢١٩٧ .

(٣) بهجة قلوب الأبرار /٦٨ .

(٤) مسلم ١/٢٢٣ .

الجليله التى ترجع الى عقائد الايمان والتوحيد ، والاخلاص لله والانابه اليه ، وتنفي الظاهر من الأنجاس والأوساخ وأسبابها وتطهره الطهارة الحسيه والطهاره المعنويـة " .[١]

دلالـة الأنفس :

ان الله سبحانه وتعالى صور الانسان على أحسن صوره وخلقه على أحسن تقويم كما قال سبحانه :

: (وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير)[٢] .

وقال : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)[٣]

وقال : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)[٤] .

وقال سبحانه : (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك)[٥] .

فلقد أنعم الله على الانسان بنعمه عظيمة ، حيث جعله على هذه الصورة الجميلـة المتميزة عن سائر الحيوانات .

لهذا لو أن الانسان أمعن النظر ، في نفسه ومافيها من عجائب صنع الله ونظر الى ظاهره ومافيه من كمال خلقه ، وانه متميزعن سائر الحيوانات لعرف أن وراء ذلك رب خالق حكيم في خلقه ، وعرف أن هذا الخالق هو

---

(١) بهجـة قلوب الأبرار ص ٧٠ ، ٧١ .
(٢) سـورة التغابن / الآيه ٣ .
(٣) سـورة البقرة / الآيه ١٣٨ .
(٤) سـورة التين / الآيه ٤ .
(٥) سـورة الانفطار / الآيتان ٦ ، ٧ .

المنفرد بتدبير الانسان وتصريفه بهذه التصاريف لايشاركه فيه مشارك .

ولهذا فلايليق بمن أنعم الله عليه بهذه النعم الظاهره والباطنه أن يكفرها أو أن يجحد احسان الله عليه بها .

لذا يقول ابن سعدى لمن جحد هذه النعم ولم يؤد شكرها :

(أليس الله هو الذى خلقك فسواك في أحسن تقويم : وركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات ، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم أو تجحد احسان المحسن .

ان هذا الا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك فاحمد الله اذ لم يجعل صورتك صوره كلب أو حمار أو نحوهما من الحيوانات)[1] .

ولو تأمل الانسان في نفسه التى بين جنبيه ومافيها من عجائب صنع الله والتى بدونها يصبح الانسان جثه هامدة بلاحراك . لهدته الى رب حكيم خبير .

يقول ابن سعدى في تقريرهذا المعنى عند قول الله تعالى (ونفس وماسواها)[2] .

(وعلى كل حال فالنفس آيه كبيره من آياته التى يحق الاقسام بها فانها في غاية اللطف والخفه ، سريعة التنقل والحركة والتغيير والتأثر، والانفعالات النفسية من الهمه والاراده والقصد والحب والغضب وهي التى لولاها لكان

---

(١) التفسير ٧/٥٨٣ .

(٢) سورة الشمس / الآيه ٧ .

البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه ، وتسويتها على ما هي عليه آية من آيات الله العظيمه .

والمقصود أن نفس الانسان من أعظم الأدلة على وجود الله وحده ومن ثم تفرده بالعباده ، وقد أفلح من طهر نفسه من الذنوب ونقاها من العيوب ورقاها بطاعة الله وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح)[1] .

دلالة الآفاق :

قال الله تعالى في هذه الدلاله العظيمه : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)[2] .

اذ أن من آيات الله الدالة عليه ، دلالة الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض ، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وأنهار وغيرها ، مما خلق الله في السموات والأرض .

فلو تأملها الانسان وتأمل صنعها واتقانها لدلته وارشدته الى أن هناك خالقا لهذه الأكوان وانه عليم حكيم .

قال الله تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات

---

(١) التفسير ٧ / ٦٢٣ بتصرف .

(٢) سورة فصلت / ٥٣ .

لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) [١] .

قال ابن سعدى عند قوله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق ...) :
(وقد فعل تعالى فانه أرى عباده من الآيات مابه تبين أنه الحق ولكن الله هو الموفق للايمان من شاء ، والخاذل لمن يشاء) [٢] .

وقال في الرياض الناضره : (فهذا خبره تعالى عن أمور مستقبله : أنه يرى عباده من الآيات والبراهين في الآفاق وفي الأنفس مايدلهم على أن القرآن حق والرسول حق وماجاء به هو الحق ...) [٣] .

والمقصود أن الدلالات على تفرد الله وحده بالخلق والرزق والاحياء والاماته كثيره جدا .

وان كثرتها وتعددها يعد من رحمة الله ولطفه بعباده حيث أكثر لهم الطرق الموصله اليه ، فتعالت حكمته وجل شأنه .

وكما قال ابن سعدى رحمه الله : (كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خلقت للحق بالحق وأنها صحائف

---

(١) سورة الرعد / الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٢) التفسير ٦/ ٥٩١ .
(٣) الرياض الناضره / ١٤٤ .

آيات وكتب براهين ودلالات على جميع ماأخبر به عن نفسه ووحدانيته وماأخبرت به الرسل من اليوم الآخر وأنها مدبرات مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها فتعرف ان العالم العلوى والسفلي كلهم اليه مفتقرون واليه صامدون ، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات ، فلا اله الا هو ولا رب سواه)[١] .

وقد عقد رحمه الله في كتابه الرياض الناضره فصلا في الاشاره الى البراهين العقلية والفطريه على ربوبية الله والاهيته .

قال في مقدمته : (وليس القصد في هذا الفصل ذكر الأدلة النقلية عليها فانها واضحه جلية متقرره عند الخواص والعوام ، وهي وحدها كافية وافيه بالمقصود معرفة بالله جملة وتفصيلا .

ولكن نريد أن نشير اشارة الى أدلتها وبراهينها العقليه التى يخضع لها كل عاقل منصف ، وينكرها كل مستكبر مكابر مباهت ...)[٢] .

ثم أخذ يعدد جمله من الأدله على وجود الله واستحقاقه للعباده ، والأدله على ذلك كثيره ففي كل شيء آيه تدل على أنه واحد .

ولكثرة دلالات هذا النوع من التوحيد لاتجد أحدا من الخلق ينكره الا مكابرة وعنادا .

فالمشركون الذين حاربهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وأباح دماءهم

---

(١) الخلاصه / ٢١ .

(٢) الرياض الناضره/ ٢٥٨ ومابعدها .

وأموالهم كانوا مقرين بهذا التوحيد معترفين لله به شاهدين له بالوحدانية والانفراد بالخلق والرزق والاحياء والاماته ، وانزال المطر وعلم الغيب وغير ذلك ، وقد بين الله سبحانه في القرآن الكريم اعترافهم واقرارهم بذلك في أكثر من آيه .

قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله فأنى يؤفكون ، الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولون الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)[1] .

وقال : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون)[2] .

وقال : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)[3] .

قال ابن كثير رحمه الله : (وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة :

فلا تكتمن الله ما في قلوبكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامه ...)[4] .

---

(١) سورة العنكبوت / الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) سورة الزخرف / الآيه ٨٧ .

(٣) سورة لقمان / الآيه ٢٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٦/٢ .

فالمشركون اذا مقرون بهذا التوحيد ومعترفون به : ولكن مع ذلك فان اقرارهم هذا لا ينفعهم لعدم اعترافهم بتوحيد الألوهيه وهو توحيد الله بأفعال عبيده.

واستحقوا المحاربه والعداء ، بل ان اقرارهم بتوحيد الربوبيه يعد حجة عليهم وملزما لهم بافراد الله وحده بالعباده بأنواعها من دعاء ورجاء وخوف وذبح ونذر واستغاثه وغيرها من أنواع العباده ، لأن من أقر أن الله هو وحده الخالق الرازق المدبر فانه يلزمه ان يفرده وحده بالعباده والتأله والذل .

قال ابن سعدى في تقرير هذه الحقيقة : " والمشركون الذين يتخذون الأنداد مع الله لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق وانما يسوونهم به في العباده فيعبدونهم ليقربوهم اليه " .(١)

ويقول عند تفسير الآيات المتقدمة التى فيها اقرار المشركين بوحدانية الله في الخلق والرزق والاحياء والاماته ... الخ يقول " هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الالهيه والعباده والزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية يلزمهم به الاقرار بتوحيد الألوهية " .(٢)

ولذا فان نصوص القرآن التى جاءت لتقرير توحيد الربوبية يستدل بها على وجوب توحيد الالوهيه وافراده بالعباده ، وقد أوضح ابن سعدى ذلك وبينه في مواضع متعدده ومن ذلك ماقاله عند قول الله سبحانه : (ياأيها

---

(١) التفسير ١٩٥/١ .

(٢) التفسير ج ٦ ص ١٠٤ ، ج ٦ ص ١٦٥ ، ج ٦ ص ٣٦٧ .

الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون) [١] .

قال : هذه الآيه : (جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة ماسواه وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته وبطلان عبادة ماسواه ، وهو ذكر توحيد الربوبية المتضمن انفراده بالخلق والرزق والتدبير) فهو يرى ان انفراد الله وحده بالخلق والرزق والتدبير دليل واضح على وجوب افراده بجميع أنواع العباده ، لذا قال بعد ماتقدم : (فاذا كان أحد مقرا بأنه ليس له شريك بذلك فعليه الاقرار بأن الله ليس له شريك في عبادته) بل انه يرى أن هذا أوضح دليل على وجوب افراد الله وحده بالعباده لذا يقول :(وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية البارى تعالى وبطلان الشرك) [٢] .

وفي الآيه المتقدمه نفسها مايوضح أيضا ان المشركين مقرون بتوحيد الربوبية حيث يقول سبحانه (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) فقوله سبحانه (وأنتم تعلمون) . يوضح أن المشركين يعلمون أن الله ليس له شريك ولا نظير الا في الخلق والرزق والتدبير ولا في الألوهية والكمال ، ولكنهم مع ذلك يشركون معه في العبادة .

لذا قال ابن سعدى مخاطبا هولاء : (كيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك ؟ هذا من أعجب العجب وأسفه السفه) [٣] .

---

(١) سورة البقرة / الآيه ٢٤ .

(٢) التفسير ١/٥٧ .

(٣) التفسير ١/٥٨ .

والمقصود : ان هذا النوع من التوحيد "توحيد الربوبية" لا يوجد أحد من الخلق ينكره ، حتى فرعون الطاغيه الذى ادعى الألوهيه وقال عن نفسه (انه رب العالمين) يقرر ويعترف بهذا التوحيد ، وانكاره له من قبيل المكابره والجحود ، قال تعالى في بيان ذلك : (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر واني لأظنك يافرعون مثبورا)[١] أى انك تعلم يافرعون ان المنزل لهذه الآيات هو رب السموات والأرض بصائر منه لعباده فانكارك ليس على الحقيقة بل ترويجا على قومك واستخفافا لهم .

وقال تعالى في بيان ذلك أيضا : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)[٢] .

قال ابن سعدى : (ليس جحدهم مستندا الى الشك والريب ، وانما جحدهم مع علمهم وتيقنهم بصحتها ظلما منهم لحق ربهم ولأنفسهم ، وعلوا على الحق وعلى العباد وعلى الانقياد للرسل)[٣] .

وأيضا ابليس لعنه الله ، وهو أضل الخلق على الاطلاق ، يقر بهذا التوحيد ويعترف به : (قال رب فانظرني الى يوم يبعثون)[٤] .

: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين)[٥] .

: (قال أأسجد لمن خلقت طينا)[٦] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) سورة الاسراء / الآيه ١٠٢ .
(٢) سورة النمل / الآيه ١٤ .
(٣) التفسير ٥/٥٦٥ ، ٥٦٦ .
(٤) سورة الحجر / الآيه ٣٦ .
(٥) سورة الحجر / الآيه ٣٩ .
(٦) سورة الاسراء / الآيه ٦١ .

فهو يقر ويعترف بأن الله هو الرب وانه الخالق المدبر •

وبالجملة هذا النوع من التوحيد لا ينكره أحد الا مكابر أو معاند •

كلامه عن ظاهرة الالحاد والملحدين :-

الا أنه ظهر في الأزمان المتأخرة طائفة خبيثه بلغ بها الزيغ والضلال الى أن أنكرت وجود الرب ، وقالوا ان هذا الكون حدث من قبيل الصدفة وليس له خالق ولا موجد ، فضلوا بذلك ضلالا مبينا ، وهؤلاء هم الماديون الملحدون •

وقد تصدى لهم علماء الاسلام فأنكروا باطلهم وبينوا ضلالهم ، في مؤلفات كثيرة ، ومن أبرز من كتب فيهم شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله حيث نقض ما قعدوا من قواعد وهدم ما أصلوا من أصول وبين عوارهم وزيفهم ، وبعدهم عن الصراط المستقيم •

ومن جملة من كتب في هؤلاء وأجاد الشيخ ابن سعدي حيث أنه تناول هذه الطائفه الخبيثه في مؤلفاته وأظهر زيفها وفساد معتقدها •

قال رحمه الله في التعريف بهذه الطائفة :

(وقد نبغت في هذه الأزمان المتأخره فرقة خبيثه ، هم من أضل الخلق وأجهلهم وأعظمهم غرورا ، وهم الماديون الملحدون)[1] •

وبين أن سبب ضلالهم هو ما أوغلوا فيه من علوم الطبيعة فقال انهم (... اغتروا لما عرفوا بعض العلوم الطبيعية ووقفت عقولهم عندها ، وقالوا

---

(١) الخلاصه /١٠٥ ، ١٠٦ ، والخلاصة أيضا /١٩٠ ، ١٩١ •

لا نثبت الا ماوصلت اليه معارفنا وعقولنا وماسوى ذلك ننفيه و لا نعترف به)[١] .

فانكروا بذلك خالق الكون ومسخره ، ونسبوا الخلق والايجاد والتصرف الى الطبيعة . وقالوا لا نؤمن الا بالأشياء الماديه المحسوسه .

وقد وضعوا لباطلهم هذا أصولا يمشون عليها ويقلد بعضهم بعضا فيها وهذه الأصول كلها في غاية الضعف والفساد ، قال عنها ابن سعدى رحمه الله (وهي في غاية الفساد ، يكفي اللبيب مجرد تصورها عن اقامة البراهين على نقضها ، لكونها مناقضه للعقل والنقل ولكنهم زخرفوها وروجوها فانخدع بها أكثر الخلق)[٢] .

وقد بين ابن سعدى رحمه الله أن عندهم أصولا كثيرة يبنون عليها عقائدهم وأن هذه الأصول ترجع الى أصل خبيث فاسد ، وبين مصدره .

فقال : (أعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو اليوناني المعروف بالالحاد والجحد لرب العالمين . . . . وهو أنه من أراد الشروع في المعارف الالهيه فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات ، وليسع في ازالتها من قلبه بحسب مقدوره ، وليشك في الأشياء ، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه .

وكملوا هذا الأصل الخبيث بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات ، وماسوى ماأدركوه بحواسهم نفوه)[٣] .

---

(١) الفتاوى السعديه / ٤٦ .
(٢) الأدله القواطع / ٣ .
(٣) الأدله القواطع / ٤ .

ثم بين أن هذا الأصل أفسد عليهم علومهم وعقولهم وأديانهم ، وذكر أن العلماء بينوا بطلان أصولهم ، وأن من أبلغ من كتب في ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية .

ثم انه رحمه الله قد اهتم ببيان فساد هذا الأصل اهتماما كبيرا ، وأطال في نقضه واظهار بطلانه .

قال : (ان هؤلاء الملحدين حصروا العلوم في دائرة ضيقه ، فما أدركوه بحواسهم و تجاربهم أثبتوه ، و مالم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه فانكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها و جحدوا ربوبية الله وأفعاله وعطلوه من صفاته وأفعاله اذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصره و هذا باطل شرعا وعقلا :-

أما الشرع : فجميع الكتب السماويه و جميع الرسل تبطل قولهم و حصرهم العلوم بمدركات الحس الظاهره و نفيهم لما عداها ، وتثبت بالبراهين اليقينيه من علوم الغيب و من العلوم التي لا تدرك الا بالوحي من الحقائق النافعه الصحيحة والمعارف الصادقة مالا نسبه لعلومهم كلها اليها من أولها الى آخرها .

وأما العقل : فجميع العقلاء المعتبرين يثبتون للعلوم مدارك غير مدارك الحسيه ، فان مدارك العلوم : الحس والعقل والأخبار الصادقه فالأخبار الصادقه أعلاها وأصدقها وأحقها بالحق خبرالله و خبر رسله وفي ذلك تبيان لكل شيء ، وهدى للخلائق وتوضيح للحقائق)[1] .

---

(١) الأدلة القواطع / ١٤ ، ١٥ .

ويرى رحمه الله أن أعظم حل لهذه المشاكل وغيرها من المشاكل ، معرفة دين الاسلام والعمل به ، لأنه بطبيعته وبراهينه وآياته يضمحل أمامه كل باطل ، وخصوصا أقبح الباطل وأشنعه وأشره منافاه للدين والعقل وهو الالحاد .

بل انه رحمه الله يرى أن التماس الحلول لمثل هذه المشاكل من غير الحلول الاسلامية التي تبنى على الكتب والسنه أمر لا يجدى ولا ينفع بل يزيد في المشكلة حيث يقول :

(ما من مشكله كبيره ولا صغيره ، الا اذا بنيت على الشريعه الاسلاميه المحضه تمت أمورها واستقامت أحوالها وصلحت من جميع الوجوه) [١] .

وأحكام الشريعه في غاية القوة والرصانه وشامله لجميع المشاكل وليست بحاجه الى حلول مستورده لما يجد من حوادث بل لا يمكن اصلاح الأمور الا بها بخلاف غيرها من القوانين .

لذلك فانه قام بمعالجة مشكلة الالحاد على ضوء الكتاب والسنه ، واهتم بمعالجة هذه المشكلة اهتماما كبيرا ، ومما يؤكد اهتمامه بها ، أنه اضافة الى تناولهلعلاجها ضمن كتبه ، قدأفرد فيها رساله خاصة سماها : " الأدلة القواطع والبراهين في ابطال أصول الملحدين " .

وقد أجاد رحمه الله في هذه الرسالة الرد على هؤلاء الملحدين ، حيث تناول الردعليهم وبيان زيغهم من ثلاثة وثمانين وجها ، اختار جملة منها من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، الذى ظهر تأثره بهما على مؤلفاته كما مر معنافي المقدمة .

---

(١) الأدله القواطع / ٤٦ .

وكانت ردوده عليهم في غاية القوة والرصانه ، ولجودتها ورصانتها استحقت أن توصف هذا الردود وهذا الكتاب بأنه (نازل جميع طوائف الملحدين وتحداهم وأبطل أصولهم و فند مآخذهم وهدم قواعدهم و زلزل بنيانهم وبين مخالفتهم للعقل والفطرة كما خالفوا جميع الأديان الصحيحة) [(١)] .

وهذه نماذج من هذه الأوجه التي رد بها الشيخ على هؤلاء الملحدين. وأكثرها خاصة بأصلهم الفاسد المتقدم ذكره وهو :

- (أنه من أراد الشروع في المعارف الالهيه فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات ....) [(٢)] .

ذكر بعض هذه الأوجه :-

- (أن يقال هذه الوصيه مخالفة لما بعث الله به رسله وأنزل كتبه فانه بعث رسله مذكرين للعباد ما فطروا عليه من الاقرار بوحدانية الله و جوب شكر نعمه وافتراض الحب الكامل والتعظيم التام لله المتفضل بالنعم الظاهرة والباطنه ، ومذكرين لهم بالأمر بما فطرت على استحسانه كالصدق والبر والاحسان والأخلاق الجميله ، وبالنهي عما فطرت العقول على استقباحه من الكذب والظلم والعدوان و جميع الأخلاق الرذيله ، فكيف يؤمر الناس أن يمحوا من قلوبهم وفطرهم هذه الأمور ؟

وهل هذا إلا نهي عن جميع مواد السعادة والفلاح والصلاح ، وأمر بكل منكر وفحشاء وسوء وشر وفساد ؟

---

(١) الأدله القواطع والبراهين /٨٧ .
(٢) الأدله القواطع والبراهين / ٤ .

وفي هذا من تقويض دعائم الخير والصلاح ، والاستبدال بها أصول الشر والفساد والفوضى في العلوم والعقائد والأخلاق ، مالا منتهى لشره وضرره) [(١)] .

- (أن المقصود الأعظم من تأصيل هذا الأصل الخبيث الكفر بما جاءت به الرسل والانحلال عنه والا فأهله من أكذب الناس فانهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أشياخهم الملحدون ، وأقوالهم وعقائدهم [illegible] ماجاءت به الرسل ويتعصبون لها غاية التعصب ، فلو كانوا صادقين محقين متمسكين بها ومقلدين لها تقليدا أعمى ، فالغرض من كلامهم معروف وهو قصدهم الانحلال من الدين الصحيح والتمسك بأقوال هؤلاء الضالين) [(٢)] .

- (أن يقال لهؤلاء الملحدين المنكرين لأمور الغيب التى أخبر الله بها ورسوله لم أنكرتموها ؟

فيجيبون بأنها لم تدخل تحت علومنا التى بنيناها على ادراكات الحواس والتجارب ، فيقال لهم : قدروا أنها لم تدخل في ذلك فإن طرق العلوم اليقينية كثيرة ، وأكثرها لا تدخل تحت ادراكاتكم ، فان ادراكاتهم قاصرة حتى باعترافهم فانكم تعترفون أن مدركاتكم خاصة ببعض المواد الأرضية وأسبابها وعللها ، وتعملون التجارب التى تنجح مرة وتخفق مرات) [(٣)] .

هذه بعض الأوجه التى رد بها الشيخ على هؤلاء الملحدين ، ولقد أطال في ذكر الردود عليهم وبيان زيفهم ، وان رغب القارىء في الاستزادة منها فليراجع كتابه العظيم " الأدله القواطع والبراهين في ابطال أصول

---

(١) الأدله القواطع والبراهين / ٧ .
(٢) الأدله القواطع والبراهين / ١١ .
(٣) الأدله القواطع والبراهين / ٢٤ .

الملحدين) .

وفي الحقيقة ان كتابه هذا ظاهر الأهميه لجودة مادته ولشدة الحاجة اليه في هذا الزمن الذى طغت فيه المادة وكثر فيه الالحاد .

رده على القصيمي في الحاده ، وانكاره لوجود الرب :

ان هذه الدعوة الالحاديه التي تدعو الى الاباحيه والتحلل الخلقي ، وانكار وجود الرب ونسبة الخلق والتصرف الى الطبيعه ، مع ظهور بطلانها وجلاء نكارتها ، فانها قد راجت على بعض أبناء المسلمين وافتتنوا بها واغتروا ببهرجتها فمالوا اليها واصبحوا من دعاتها . وهذا غاية الانتكاس والخسران والعياذ بالله .

اذ أن التحول من الهدى الى الضلال ومن النور الى العمى ومن الايمان الى الكفر ، يعد من أكبر الانتكاس والخسران ، ولا سيما اذا كان من أحد العلماء العاملين الداعين الى الله .

وهذا ما حصل من عبد الله القصيمي الذى كان من الدعاة البارزين ومعروفا بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح وكانت تصانيفه مشحونه بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين ، وكانت له عند الناس سمعه حسنه وذكر طيب .(١)

بعد ذلك كله انقلب رأسا على عقب فصار عدوا لدودا للاسلام ، فأصبح يرى أن الدين سبب لتأخر المسلمين وضعفهم ، وصار الدين عنده كالأغلال التي تعوق الانسان عن مراده ، وزاد على ذلك فانكر الخالق وزعم انه لا فرق

---

(١) بيان الهدى من الضلال للسويح / ٥ ، وتنزيه الدين / ٣ .

بين الخالق والمخلوق وأن من فرق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان فهو غالط ضال .

وزعم أن الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدبر أمر العالم وتدبره وتنظم الأمور الجليله والدقيقه ، وأنكر قضاء الله وقدره ، وأرجع ذلك الى العلم بانتظام الطبيعة وهذا انكار منه لله ولأفعاله ولصفاته .(١)

وأنكر الرساله والمعاد والملائكة والجن وسخر من علماء المسلمين ، وأخذ يدعو الى الاباحيه والتحلل والانسلاخ من الدين ، ويمدح الأوربيين والمستعمرين لبلاد الاسلام ويدعو الى تعظيمهم وادخالهم في البلاد الاسلامية .(٢)

الى غير ذلك من الترهات والضلالات التى أخذ يدعو اليه ويروجها ، والتى ألف من أجل نشرها كتابه " هذى هي الأغلال " . ويقصد بالأغلال أوامر الله ونواهيه والتمسك بالدين الاسلامي اذ أن هذا عنده أعظم الأسباب لتخلف المسلمين وتأخرهم الحضارى وعلى العكس من ذلك يرى أن سبب تقدم الغرب هو تحللهم من الدين والقيم والأخلاق ، وهذا غاية البهت والضلال والانحراف .

لذا فانه قام جماعة من علماء المسلمين أمام ضلاله ، وبينوا للناس زيفه وانحلاله ، وبينوا كذبه وافتراءه وفساد مايدعو اليه من عقائد منحرفه ، وقيم منحطه فظهرت مؤلفات عديده في الرد عليه لعدد من العلماء .

---

(١) تنزيه الدين / ٦ ، ٧ .

(٢) الرد القويم لابن يابس / ٩ .

منها : بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال ، للشيخ ابراهيم بن عبد العزيز السويح ، ومنها : الرد القويم على ملحد القصيم للشيخ عبد الله بن علي بن يابس .

ومن هؤلاء العلماء الذين قاموا بالرد عليه الشيخ ابن سعدى ، إذ ألف في ذلك رسالته القيمة " تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله " .

قال رحمه الله في مقدمتها (أما بعد : فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماه " هذى هي الأغلال " فإذا هو محتو على نبذ الدين والدعاية الى نبذه والانحلال عنه من كل وجه)[1] .

ثم ذكر سبب تأليفها فقال (فوجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوى عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه) . ثم ذكر مجمل ما في كتاب الأغلال من الضلال والانحراف وما فيه من الآراء الباطلة . ثم بعد ذلك تناول الرد عليه في هذه الآراء الباطله والعقائد الفاسده على وجه التفصيل .

ومن ردوده عليه في قضية الالحاد قوله بعد أن ذكر رأى صاحب الأغلال في أن المصائب تحدث من الطبيعة وأن الايمان بالله وباليوم الآخر يمنع الرقي .

(وقول وصل الى هذا الحد ليس بعده تقدم الى الكفر وانما هو النهاية في الكفر والتعطيل والجحود لرب العالمين والخروج من الديانات السماوية كلها وهو غاية الخروج من العقل والحس ، فان قضية الايمان بالله ورسوله

---

(١) تنزيه الدين / ٢ .

هي أكبر القضايا وأعظمها وأوضحها) .[1]

والمقصود أن ابن سعدى اهتم بقضية هذا القصيمي وانحلاله ورد عليه ردا علميا هادئا ، يقصد من وراءه بيان زيغ هذا الرجل والحاده لكي لا يغتر أحد من المسلمين به ، وهذا من نصحه واهتمامه رحمه الله بمسألة العقيدة والذود عن حماها .

ومن مؤلفاته في الرد على هؤلاء الملحدين وبيان انحطاط ماهم عليه من معتقد فاسد ، رسالة صغيرة سماها " انتصار الحق " وهي على صغر حجمها نافعة عظيمة لأنه تناول فيها معالجة مشكلة الالحاد على طريقة الحوار بين شخص مسلم وبين شخص مفتتن بالالحاد فسمى الأول الناصح والثاني المنصوح .

ومما في هذه الرسالة القيمة قوله رحمه الله (قال المنصوح ... أريد أن توضح لي توضيحا تاما بطلان ماعليه هؤلاء الملحدون فإنهم يقيمون الشبه المتنوعة في ترويج قولهم ليغتر به من لا بصيرة له .

فقال الناصح : اعلم أن الحقَّ والباطل متقابلان وأن الخيرَ والشر متنافيان ، وبمعرفة واحدٍ من الضدين يظهر حسن الآخر أو قبحه ...

إلى أن قال : فهذا الدين الحق الذى دعت إليه الرسل عموماً وخاتمُهم محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا قد بني وأسس على التوحيد والتأله لله وحده لا شريك له حبا وخوفا ورجاء واخلاصا وانقيادا واذعانا لربوبيته واستسلاما لعبوديته قد دل على هذا الأصل الذى هو أكبر جميع أصول الأدلة العقلية

---

(١) تنزيه الدين / ١٣ .

والفطرية ، وقد دلت عليه جميع الكتب السماويه وقرره جميع الأنبياء والمرسلين واتباعهم من أهل العلوم الراسخه والألباب الرزينه والأخلاق العالية والآداب السامية كل أولئك اتفقوا على أن الله منفرد بالوحدانيه منعوت بكل صفة كمال موصوف بغاية الجلال والعظمه والكبرياء والجمال ، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، وأنه منزه عن كل صفة نقص وعن مماثلة المخلوقين ، وأنه لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر الا هو ، فالدين الاسلامي على هذا الأصل أسس وعليه قام واستقام .

وأما ماعليه أهل الالحاد فانه ينافي هذا الأصل غاية المنافاة فانه مبني على انكار البارى رأسا ، فضلا عن الاعتراف له بالكمال وعن القيام بأوجب الواجبات وافرض الفروض وهو عبوديته وحده لاشريك له ، فأهل هذا المذهب أعظم الخلق مكابرة وانكارا لأظهر الأشياء وأوضحها فمن أنكر الله فبأى شيء يعترف ؟ (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) وهؤلاء أبعد الناس عن عبودية الله والانابه اليه وعن التخلق بالأخلاق الفاضلة التى تدعو اليها الشرائع وتخضع لها العقول الصحيحة ، ومع خلو قلوبهم من توحيد الله والايمان به وتوابع ذلك فهم أجهل الناس وأقلهم بصيرة ومعرفة بشريعة الاسلام وأصول الدين وفروعه)[١] .

وبهذه المقارنه بين ماعليه المؤمنون الموحدون وبين ماعليه أهل الالحاد الكافرون ، يظهر لكل صاحب بصيره أن الفرق كبير والبون شاسع بين الفريقين (أفمن يعلم أن ماأنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى)[٢] .

---

(١) انتصار الحق / ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) سورة الرعد / الآيه ١٩ .

(قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) (١)

ويظهر أيضا لكل عاقل بطلان ماعليه هؤلاء الملاحدة وانهم في عماية وضلال وبعد عن الحق .

والمقصود أن مشكلة الالحاد من أخطر المشاكل المعاصره ، وتحتاج الى جهد من العلماء وتصد لها لاظهار بطلانها لكي لا تنطلي على أصحاب النفوس الضعيفة .

ولقد أعجبني الشيخ ابن سعدى رحمه الله باهتمامه بهذه المشكلة ومعالجته لهافي كثير من مؤلفاته .

وهنا تظهرلنا فائدة هامة ، تتعلق بمنهج الشيخ ابن سعدى في العقيدة .

وهي أن اهتمام السعدى بمعالجة مشكلة الالحاد والملحدين يوضح لنا أن منهجه في العقيدة يمتاز بالشمول كما هو حال السلف الصالح في ذلك أي أنهم يتناولون في خدمتهم للعقيدة تأصيل القواعد وشرح الأصول والرد على المخالفين وان كانوا من الماديين الملحدين المنكرين لوجود الرب سبحانه وغيرهم .

وهذا يبين لنا عدم صحة قول من يقول إن السلف ومن سار على نهجهم لا يهتمون بالرد على الملحدين والشيوعيين وغيرهم ، وانما كلامهم قاصر على توضيح توحيد الأسماء والصفات .

---

(١) سورة الرعد / الآيه ١٦ .

فقد ظهر لك أيها القارئ : أن الشيخ ابن سعدى و من قبله ابن تيمية قد تناولوا مثل هذه المشاكل وبينوا فسادها و ضلالها كما تناولوا غيرها .

فليس ردهم قاصرا على طائفة معينة أو فرقة معينة ؛ وانما ردهم شامل لكل من خالف عقيدة التوحيد ، وهذا هو المنهج الحق الذى يجب أن يسار عليه .

والخلاصة من كل ماتقدم هو ماقاله رحمه الله (أن جميع أهل الأديان من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم من المشركين متفقون على اثبات ربوبية الله وأنه الأول الذى ليس قبله شيء الخالق لكل شيء الرازق المدبر لكل شيء ، وأئمتهم في هذا الأنبياء والمرسلون ، وأهل الهدى من العلماء الربانيين أهل العلوم الغزيرة والمعارف الصافيه ، الأولين منهم والآخرين على هذا الأصل العظيم متفقون ، على علم وبصيره و يقين قد اطمأنت قلوبهم بذلك و سكنت نفوسهم به و صار في قلوبهم أكبر الحقائق وأصحها وأوضحها وخالفهم من هذا شرذمة من زنادقة الدهريين الذين يقول (ماهي الا حياتنا الدنيا نموت و نحيا ومايهلكنا الا الدهر) [1] .

و سلك سبيلهم زنادقة الماديين ، وهم لم ينكروا ذلك عن علم دلهم عليه و لا سمع و لا عقل ولا فطره ، انما هو مجرد استبعادات و جحود ومكابرات) [2] .

و ليست المشكلة في هؤلاء الملحدين انكارهم لوجود الرب فقط بل انهم لو اعترفوا بوجوده فان ذلك لا يكفي في دخولهم الاسلام بل تصبح حالهم

---

(١) سورة الجاثيه / الآية ٢٤ .

(٢) الأدلة القواطع والبراهين / ٨٠ .

كحال المشركين الذين حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك يقول ابن سعدى : (ان كل برهان أبطل الله به الشرك وقرر به التوحيد فهو برهان على بطلان الالحاد والجحود ، لأن المشركين يعترفون بالله ويعلمون أنه الخالق الرازق المدبر ، ولكنهم يشركون في عباداتهم فيعبدون الله ويعبدون غيره)[1] .

والمقصود أن من اعترف بوجود الله من غير افراده بالعبادة ومن غير اقرار بأسمائه الحسنى فان ايمانه بوجود الله لا ينفعه ، بل لابد مع الاقرار أن يجرد التوحيد لله وحده ، وسيأتي بيان ذلك في توحيد الألوهية .

---

(١) الأدلة القواطع والبراهين / ٦٥ .

القضاء والقدر :

ان الايمان بالقضاء والقدر أحد أركان الايمان السته ، كما جاء في حديث جبريل " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره " [١] .

وقد دل على وجوب الايمان بالقضاء والقدر نصوص كثيرة .

قال تعالى : (انا كل شيء خلقناه بقدر) [٢] .

وقال تعالى (ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) [٣] .

وقال تعالى : (قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) [٤] .

وقال تعالى : (وكان أمر الله قدرا مقدورا) [٥] .

والايمان بالقضاء والقدر داخل في الايمان بربوبية الله على خلقه اذ أن من آمن بأن الله هو الخالق المدبر المتصرف في شئون خلقه كلها فهو مؤمن بالقضاء والقدر .

وقد أشار ابن سعدى الى دخول الايمان بالقضاء والقدر في الايمان بربوبية الله .

فبعد أن عرف توحيد الربوبية بأنه اعتقاد انفراد الرب بالخلق والرزق والتدبير

---

(١) أخرجه مسلم ١ / ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) سورة القمر / الآيه ٤٩ .

(٣) سورة الحديد / الآيه ٢٢ .

(٤) سورة التوبة / الآيه ٥١ .

(٥) سورة الأحزاب/الآيه ٣٨ .

قال : (فدخل في توحيد الربوبية اثبات القضاء والقدر ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شيء قدير وأنه الغني الحميد وما سواه فقير اليه من كل وجه). [1]

وقال : (ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن جميع أفعال العباد مخلوقه لله تعالى ، وأن مشيئتهم تابعه لمشيئة الله ، وأن لهم قدره واراده تقع بها أفعالهم ، وهي متعلقه بالمدح والذم والأمر والنهي والثواب والعقاب ، وأنه لا يتنافى الأمران : اثبات مشيئة الله العامه الشاملة للذوات والأفعال والصفات . واثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله)[2] .

ونظرا لدخول اثبات القضاء والقدر في توحيد الربوبية ،فقد جعلت الحديث عنه عقب الحديث عن توحيد الربوبية .

وقد تحدث ابن سعدى عن مسألة القضاء والقدر كثيرا ، وافرد فيها رسالة خاصة شرح فيها قصيدة ابن تيميه التائيه في الرد على القدريه ، وبين مراتب القدر ، وذكر أقوال الناس فيه ، وأيد مذهب أهل السنه والجماعة بالأدلة والبراهين ، وبين بطلان أقوال الطوائف المنحرفه ، وبين أن أفعال العباد مخلوقه وأنهم فاعلون لها بمشيئتهم وقدرتهم الى غير ذلك من المسائل المتعلقة بالايمان بالقضاء والقدر .

وحديثنا هنا سيتناول عدة جوانب وهي :-

١) بيان ابن سعدى أن الايمان بالقضاء والقدر لا يمنع من فعل الأسباب.

---

(١) الفتاوى السعديه / ١١ .

(٢) الفتاوى السعديه/ ١٢ .

٢) بيانه لمراتب القدر .

٣) تقسيمه للطوائف المنحرفه في القدر ورده عليهم .

٤) بيانه لمذهب أهل السنه والجماعة في القدر وتأييده له بالأدلة .

أولا : بيان ابن سعدى أن الايمان بالقضاء والقدر لا يمنع من فعل الأسباب:

وهذه مسألة هامة غلط فيها كثير من الناس ، حيث توهموا أن فعل الأسباب وتعاطيها ينافي التوكل والاعتماد على الله ، وينافي الايمان بالقضاء والقدر ، وفهموا أن الايمان بالقضاء والقدر يعني الخمول وترك فعل الأسباب .

وهذا غلط بين وهو ناتج من عدم فهم الايمان بالقضاء والقدر على الوجه المطلوب وقد وضح ابن سعدى هذه المسألة وبينها بيانا شافيا فقال : (الايمان بالقدر يتفق مع الأسباب ، فمباشرة الأسباب والاجتهاد في الأعمال النافعة يحقق للعبد تمام الايمان بالقضاء والقدر ، فان الله قدر المقادير بأسبابها وطرقها ، وتلك الأسباب والطرق هي محل حكمة الله فان الحكمة . وضع الأشياء مواضعها وتنزيل الأمور منازلها اللائقة بها . فقضاء الله وقدره وحكمته متفقات . كل واحد منها يمد الآخر ولا يناقضه .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل وقيل له يارسول الله ، أرأيت رقي نسترقيها ، وأدويه نتداوى بها وتقاه نتقيها ، هل ترد من قضاء الله وقدره ؟ فقال :" هي من قضائه وقدره " .[1] .

فهذه الأسباب حسية ومعنويه روحانيه وحمية عما يضر ، وهي في مقدمة

---

(1) أخرجه احمد ٣/ ٤٢١ ، وابن ماجه ٢/ ١١٣٧ ، والترمذى ٤/ ٤٠٠ ، وقال حديث حسن صحيح ، والحاكم ٤/ ١٩٩ ، كلهم من حديث أبي خزامة عن أبيه وأخرج نحوه الحاكم ٤/ ١٩٩ ، ٤٠٢ عن حكيم بن حزام ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

الأسباب وأخبرصلى الله عليه وسلم أنها من قضاء الله وقدره ، فمن زعم أنه مؤمن بالقدر وترك الأسباب النافعه الدينية والدنيوية التي عليها نظام القدر فهو غالط .

فان المؤمن بالقدر يجرى على أحكامه ويعمل على سنته ونظامه ، ويتبع النافع في احكامه وابرامه والله المعين الموفق .

وتوضيح ذلك أن أقدارالله كلها تابعه لحكمه وحكمته ، فكماأن أفعاله تعالى محكمة في غاية الأحكام والانتظام ماترى في خلق الرحمن من خلل ولا نقص ولافطور ولا اختلال ولا في شرعه من عبث وسفه ومنافاة للحكمة والمصلحة والاحسان ، فكذلك أفعال المكلفين دينيها ودنيويها ،ظاهرها وباطنها كلها تجرى على وفق الحكمه والغايات الحميده ،وأنه كلما عظم المقصود وكثرت منافعه ومصالحه لم يمكن ادراكه الا بسلوك الطرق المفضيه اليه .

فأعظم المقاصد على الاطلاق نيل رضا الله ، والفوز بثوابه والسلامة من عقابه وقد جعل الله له الايمان وشعبه الظاهره والباطنه والقيام بعبودية الله ولخلاص الدين له ، ولزوم الاستقامة والتقوى جعلها الله طرقا وأسبابا توصل اليه .

فما لم يسلك العبد هذا السبيل فمحال أن يصل الى رضوان ربه وثوابه ، فاتكال الأحمق على القدر بدون جد واجتهاد ، قدح في القدر والشرع جميعا .

وكذلك المطالب الأخرى كنيل العلم وادراكه هل يمكن بغير جد واجتهاد ومواصلة الأوقات في طلبه وسلوك الطرق المسهله له ؟

فمن قال : ان قدر لي أدركت العلم ، اجتهدت أم لا ، فهو أحمق

كما قال بعضهم [1] :

تمنيت أن تمسى فقيها مناظـــرا بغير عناء والجنـــون فنـــــون

وليس اكتساب المال دون مشقـة تلقيتها فالعلـم كيـف يكـــون

وهكذا من ترك الزواج وقال : ان قدرلي أولاد حصلوا ، تزوجت أو تركت. ومن رجا حصول ثمر أو زرع ، بغيرحرث وسقي وعمل متكلا على القدر فهـو أحمق مجنون .

وهكذا سائر الأشياء دقيقها وجليلها ، فعلم أن القيام بالأسبـــاب النافعه واعتقاد نفعها داخل بقضاء اللــه وقدره ، دون الاخلاد الــى الكسل ، والسكون مع القدره على الحركه هو الجنون) [2] .

وقد عقد ابن سعدى في كتابه الرياض الناضره فصلا خاصا بذلك ، وهـو الفصل الثالث والعشرون في الجمع بين اثبات عموم القدر واثبات الأسباب .

قال فيه : (... ويظن كثيرمن الناس أن اثبات الأسباب ينافـــي الايمان بالقضاء والقدر . وهذا غلط فاحش جدا وهو عائد على القـــدر بالابطال وهو ابطال أيضا للحكمه .

وكأن هذا الظان يقول ويعتقد : أن الايمان بالقدر هو اعتقـــاد وقوع الأشياء بدون أسبابها الشرعيه والقدرية .

وهذا نفي للوجود لها فان الله ربط الكون بعضه ببعض ، ونظـــم

---

(١) القائل للبيتين هو : أبوبكر أحمد بن محمد الدينوري الحنبلي ، انظـر الآداب الشرعيه لابن مفلح / ١ / ٢٤٤ .

(٢) الفتاوى السعديه / ٣٢ - ٣٥ ، بتصرف يسير .

بعضه ببعض ، وأوجد بعضه ببعض .

فهل تقول - أيها الظان جهلا - أن الأولى ايجاد البناء من دون بنيان وايجاد الحبوب والثمار والزروع من دون حرث وسقي وايجاد الأولاد والنسل من دون نكاح وادخال الجنه من دون ايمان وعمل صالح ، وادخال النار من دون كفر ومعصية ؟

بهذا الظن والتقرير أبطلت القدر وأبطلت معه الحكمة ، أما علمت أن الله بحكمته وكمال قدرته جعل للمسببات أسبابا وللمقاصد طرقا ووسائل تحصل بها ، وقرر هذا في الفطر والعقول ، كما قرره في الشرع ، وكما نفذه في الواقع ، فانه أعطى كل شيء خلقه اللائق به ثم هدى كل مخلوق الى ما خلق له من أصناف السعي والحركة والتصرفات المتنوعة ، وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الذى شهد أولا لله بكمال القدره وكمال الحكمة ، وأشهد العباد ثانيا : أن بهذا التنظيم والتيسير والتصريف وجه العاملين الى أعمالهم ونشطهم على أشغالهم .

فطالب الآخره : اذا علم أنها لا تنال الا بالايمان والعمل الصالح وترك ضدها جد واجتهد في تحقيق الايمان ، وكثرت تفاصيله النافعة واجتهد في كل عمل صالح يوصله الى الآخره واجتنب في مقابل ذلك الكفر والفسوق والعصيان ، وبادر للتوبه من كل ما وقع منه من ذلك .

وصاحب الحرث اذا علم أنه لا ينال الا بحرث وسقي وملاحظه تامة جد واجتهد في كل وسيله تنمي حرثته وتكملها ، وتدفع عنها الآفات . . .

واصل ابن سعدى ضرب الأمثله على ذلك ثم قال :

وفي خلقه تعالى الأشياء بأسبابها من الحكمة والمنافع والأسرار مالا يدركه الوصف .

وهذا من الأمور الجليه والحقائق الواضحه التى فطرت الخليقة كلها - حتى الحيوان البهيم - عليها) [١] .

وقال في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل : لوأني فعلت كذا ، كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدرالله وماشاء فعل ، فان " لو " تفتح عمل الشيطان) [٢] .

(وقع جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين الايمان بالقضاء والقدر والعمل بالأسباب النافعه ، وهذان الأصلان دل عليهما الكتاب والسنه في مواضع كثيرة ، ولا يتم الدين الا بهما بل لا تتم الأمور المقصودة كلها الا بهما ، لأن قوله : " احرص على ماينفعك " أمر بكل سبب ديني ودنيوى بل أمر بالجد والاجتهاد فيه ، والحرص عليه نية وهمة وفعلا وتدبيرا . وقوله : " واستعن بالله " ايمان بالقضاء والقدر . وأمر بالتوكل على الله الذى الاعتماد التام على حوله وقوته تعالى في جلب المصالح ودفع المضار مع الثقة التامة بالله في نجاح ذلك .

فالمتبع للرسول صلى الله عليه وسلم يتعين أن يتوكل على الله في أمر دينه ودنياه وأن يقوم بكل سبب نافع بحسب قدرته وعلمه ومعرفته) [٣] .

---

(١) الرياض الناضره/١٦٤ - ١٦٧ .
(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠٥٢ .
(٣) بهجة قلوب الأبرار/٤١ ، وانظرالدره البهيه /٣٨ .

ثانيا : بيانه لمراتب القدر :

ان الايمان بالقضاء والقدر لا يتم الا بمعرفة مراتبه الواردة في الكتاب والسنه ، وقد دل الكتاب والسنه على أن للقدر أربع مراتب .

وهي :

١) علم الله المحيط بكل شيء .

٢) كتابه الذى اشتمل على كل ماسيكون .

٣) ومشيئته وقدرته العامه على كل شيء .

٤) ايجاده لجميع المخلوقات .

وقد اعتنى ابن سعدى في مؤلفاته ببيان هذه المراتب وتوضيحها وذكر أدلتها .

قال رحمه الله : (مراتب القضاء والقدر أربعة لا يتم الايمان بالقدر الا بتكميلها ، الايمان بأنه بكل شيء عليم وأن علمه محيط بالحوادث دقيقها وجليلها ، وأنه كتب ذلك باللوح المحفوظ ، وأن جميعها واقعه بمشيئته وقدرته ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه مع ذلك مكن العباد من أفعالهم فيفعلونها اختيارا منهم بمشيئتهم وقدرتهم كما قال تعالى :

(ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والأرض ان ذلك في كتاب)[1] .

وقال : (لمن شاء منكم أن يستقيم ، وماتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين)[2])[3]

(١) سورة الحج / الآيه ٧٠ .

(٢) سورة التكوير /الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) سؤال وجواب / ١٥ .

وقال في تفسيره لقوله تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء)[1] .

(... وفي هذه الآية دليل على أن الكتاب الأول قد حوى جميع الكائنات وهذا أحد مراتب القضاء والقدر فانها أربع :

علم الله الشامل لجميع الأشياء ، وكتابه المحيط بجميع الموجودات ومشيئته وقدرته العامة النافذة في كل شيء ، وخلقه لجميع المخلوقات حتى أفعال العباد)[2] .

ثالثا : تقسيمه للطوائف المنحرفه في القدر ورده عليهم :-

قسم ابن سعدى الطوائف المنحرفه في القضاء والقدر الى ثلاثة أقسام :

١ - قدريه نفاة .

٢ - وقدريه مجبرة .

٣ - وقدريه مشركون .

قال رحمه الله : (القدريه ثلاث طوائف : قدريه نفاه ، وقدريه مجبره ، وقدريه مشركون .

فأما القدريه النفاه : فهم الذين يطلق عليهم أكثر العلماء اسم " القدريه " وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون :

" ان أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله

---

(١) سورة الأنعام / ٣٨ .

(٢) التفسير ٢/٣٩٦ .

وقدره " فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها ، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين .

وأما الطائفة الثانية : فهم الجبريه الذين يقال لهم " القدرية المجبرة " فزعم هؤلاء : " أن عموم مشيئة الله وعموم ارادته يقتضي أن العبد مجبور على أفعاله لا قدره له على شيء من الطاعات ولا على ترك المعاصي ، ومع أنه لا قدره له على ذلك عندهم ، فهو مثاب معاقب على مالا قدره له عليه .

وأما الطائفه الثالثه : فهم القدريه المشركون الذين اعتذروا عن شركهم وتحريمهم ماأباح الله بالمشيئة)[1] .

وقد بين ابن سعدى ضلال هؤلاء وشناعة أقوالهم المتقدمه ، قال : " فهذه الطوائف الثلاث هم خصماء الله في قضائه وقدره ، منهم من نفاه ومنهم من غلا فيه غلواأوقعه في الباطل "[2] .

وتناول ابن سعدى جميع أقوال هذه الطوائف بالرد ، وفند شبههم وردعليها وبين ضلالهم وبعدهم عن الصراط المستقيم .

فقال في رده على الطائفة الأولى وهم القدريه النفاه القائلون : " بأن أفعال العباد غيرداخله تحت مشيئة الله وقدرته " .

: (وهم بهذا القول الباطل ردوا نصوصا كثيرة من الكتاب والسنة تثبت وتصرح أن جميع أعمال العباد من خيروشر وطاعه ومعصية بقضاء الله وقدره كماأجمع المسلمون أنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن)[3] .

(١) الدره البهيه /١٦ - ٢٤ بتصرف .
(٢) الدره البهيه / ٢٤ .
(٣) الدره البهيه / ١٧ بتصرف يسير .

وهذه النصوص المبطله لقول هؤلاء التي أشار ابن سعدى لكثرتها . قد تعرض لأكثرها في تفسيره للقرآن وبين وجه دلالتها على بطلان قول هؤلاء وفيما يلي أسوق بعض هذه النصوص مع تفسيره لها .

قال تعالى في غير موضع من كتابه الكريم : (ان الله على كل شيء قدير)[١] .

قال ابن سعدى : (وفي هذه الآيه وماأشبهها رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى ، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله : (ان الله على كل شيء قدير))[٢]

وقال تعالى (فمن شاء ذكره ، ومايذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفره)[٣] .

قال ابن سعدى : (فان مشيئة الله نافذه عامة لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير .

ففيها رد على القدريه الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله ...)[٤] .

وقال تعالى : (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ، وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله)[٥] .

---

(١) في عدة آيات منها سورة البقرة /الآيه ٢٠ ، وسورة آل عمران/الآية ١٦٥ وغيرها .
(٢) التفسير ١/٥٧ .
(٣) سورة المدثر / الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .
(٤) التفسير ٧/٥٨١ .
(٥) سورة البقره / الآية /١٠٢ .

قال ابن سعدى : (في هذه الآيه وماأشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير فانها تابعه للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير . ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمه غير القدريه في أفعال العباد زعموا أنها مستقله غير تابعه للمشيئة فأخرجوها عن قدرة الله فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة والتابعين)[1] .

وقال أيضا في رده عليهم مبينا أهمية مناظرة القدرية بالعلم أى اثبات علم الله وأن ذلك فيه بيان لتناقضهم وتهافت أقوالهم .

قال : " وكان الأئمة كالامام أحمد وغيره يقولون" ناظروا القدرية بالعلم ، فان انكروا العلم كفروا ، وان اعترفوا به خصموا " .

يعني : أن القدريه النافين لعلم الله بأفعال عبادة ، جاحدون لنصوص الكتاب والسنه المصرحه باحاطة علم الله بما كان ومايكون من أعيان وأوصاف وأفعال ،مما دق وجل ، فمن أنكر ذلك فقد كذب الكتاب والسنة صريحا وذلك هو الكفر ، وان اعترفوا باحاطة علم الله بكل شئ ، وبأفعال العباد قبل وقوعها كما هو القول الذى استقر عليه مذهبهم خصموا .

ووجه ذلك أنهم يقولون : " ان أفعالهم لا تتعلق بها مشيئة الله وارادته وانما هم مستقلون بها من كل وجه" .

اذا كان هذا قولهم في مشيئة الله مع قولهم " ان الله يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها " فهذا تناقض محض : كيف يعلمها وهو لم يقدرها ولم يردها ؟ هذا محال : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

---

(١) التفسير ١/ ١١٩ .

الخبير) (١) .

فيلزمهم أحد أمرين :

اما أن لا يتناقضوا فينفوا الأمرين : علم الله بأفعالهم ، ومشيئته لها فيتضح كفرهم واما أن يرجعوا الى الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة ، وأجمع عليه المسلمون وهو : أنه تعالى كما أنه بكل شىء عليم وبكل شىء محيط فانه على كل شىء قدير ومن جملة الأشياء أفعال العباد : طاعتهم ومعاصيهم ، فهو تعالى يعلمها اجمالا وتفصيلا قبل أن يعملوها ، وأعمالهم وأفعالهم داخله تحت مشيئة الله وارادته فقد شاءها منهم وأرادها ، ولم يجبرهم لا على الطاعات ، ولا على المعاصي ، بل هم الذين فعلوها باختيارهم كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين) (٢) .

فهذه الآيه فيها رد على القدريه النفاه وعلى القدريه المجبره واثبات للحق الذى عليه أهل السنه والجماعة .

ففي قوله تعالى : (وماتشاءون الا أن يشاء الله) أخبر أن مشيئتهم تابعه لمشيئته ، وأنها لا توجد بدونها فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وفي هذا رد على القدريه القائلين " ان مشيئة العباد مستقلة ، ليست تابعه لمشيئة الله " بل عندهم : يشاء العباد ويفعلون مالا يشاؤه الله ولا يقدره " (٣) .

---

(١) سورة الملك / الآيه ١٤ .
(٢) سورة التكوير / الآيتان ١٨ ، ١٩ .
(٣) الدره البهيه / ٢٠ ، ٢١ بتصرف يسير .

وبهذا يظهر لنا أن قول القدريه في أفعال العباد أنها ليست داخلة تحت مشيئة الله و قدرته ، قول باطل ، مخالف لما تقرر في الكتاب و السنة من عموم قدرة الله و مشيئته ، ولا يمكن أن يكون شيء في ملك الله الا اذا شاءه الله و قدره . (ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير) [1] .

و قال رحمه الله في ردوده على الطائفة الثانية و هم القدرية المجبرة القائلون "بأن العباد مجبورون على أفعالهم كالشجرة في مهب الريح" .

(وهذا القول من أشنع البدع وأنكرها وهو مخالف للكتاب والسنة واجماع الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين لهم باحسان و مخالف للمعقول والفطر و مخالف للمحسوس .

وكل قول يمكن صاحبه ان يطرده الا هذا القول الشنيع فانه لا يمكن أن يعمل به و يطرده ولو ظلم أحدهم واعتذر اليه من ظلمه بالقدر فانه لا يقبل بل يرى اعتذاره بالقدر زيادة ظلم و تهكما به ، فكيف يسلك هذا المسلك مع ربه و هو لا يرتضيه لنفسه من غيره .

والمقصود : أن هذه الطائفة خالفت المنقول والمعقول ، ونصوص الكتاب والسنه تبطل قولهم ، فان الله نسب أعمال العباد اليهم من الطاعات المتنوعة والمعاصي الكثيرة كلها يضيفها الى الفاعلين و يخبر أنهم هم الفاعلون لها ويستحقون جزاءها من خير و شر .

فلو كانوا مجبورين عليها لم ينسبها لهم و لم يضفها اليهم بل ينسب

---

(١) سورة آل عمران / الآيه ١٨٩ .

الأفعال الى نفسه حاشاه وتعالى عن ذلك ، فلايقال " الله الذى فعل الايمان والكفر والطاعة والمعصية " بل يقول كل أحد العبد هو الذى فعلها ، والله هو الذى قدرها من غيرأن يجبره عليها)[١] .

وبين رحمه الله أن قولهم هذا يلزمهم عليه عدة لوازم فاسدة فقال في توضيح الكافية الشافيـة :

(فلزمهم على تقريرهم هذا أمران باطلان : أحدهما أن تنفي عن العباد قدرتهم على أفعالهم . ثانيا : أن ينفي صدورها منهم .

فيقال على قولهم :لم يقدروا على الاسلام والايمان ولا الصلاة والصيام ونحوها . واذا فعلوها يصح أن يقال : لم تصدرمنهم وانما يقال ذلك على وجه المجازلا الحقيقة ، ولافرق عندهم أن يوصفوا بهذه الأفعال أويوصفوا بالبياض والسواد وبقية الألوان ، لأن الجميع قامت بهم .

فتصور قولهم بلوازمه المذكوره تعرف به فساده وبطلانه)[٢] .

وعدد أيضا في الدر البهيـة جملة من اللوازم التى تلزم هذا القول الفاسد فقال :

(ويلزم على قول الجبريه اسقاط الأمر والنهي لأنه كيف يؤمر وينهى من لا قدرة له على امتثال الأمر والنهي ؟

ويلزم أيضا على قولهم اسقاط الحدود عن جميع أهل الجرائم اذ كيف يعاقبون وتقام عليهم الحدود وهم غير قادرين بل مجبورين ؟

---

(١) الدره البهيـة / ٢٢ ، ٢٣ ، بتصرف يسير .

(٢) توضيح الكافيه الشافيـة / ١٢ .

فهذا القول الباطل مخالف لجميع أصول الدين وفروعه .

ويلزم أيضا على قول الجبريه تعطيل الأسباب الدينية والدنيوية وذلك أن الله تعالى جعل الأسباب موصلة الى مسبباتها وأمر العباد بسلوك كل سبب نافع لهم في دينهم ودنياهم فكيف يؤمرون وهم مجبورون غير قادرين ؟ فالقول بالجبر فيه فساد الدين والدنيا)[1] .

أما الطائفة الثالثة وهم القدرية المشركون فكلامهم ظاهر البطلان وقد بين الله بطلانه في آيات متعدده .

قال تعالى :(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون)[2] .

وقال تعالى : (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ، ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلاله فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)[3] .

وقال تعالى :(وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون)[4] .

---

(١) الدرة البهية / ٢٣ .
(٢) سورة الأنعام / الآيه ١٤٨ .
(٣) سورة النحل / الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) سورة الزخرف / الآيه ٢٠ .

قال ابن سعدى في بيان بطلان احتجاج المشركين على شركهم بمشيئة الله وأن الله لو شاء ما أشركوا .

(وهذه حجة باطلة فانها لو كانت حقا ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به فعاقبهم أشد العقاب فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم وليس قصدهم بذلك الا رد الحق الذى جاءت به الرسل والا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله ، فان الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلفهم وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل .

هذا وكل أحد يعلم بالحس قدرة الانسان على كل فعل يريده من غير أن ينازعه منازع ، فجمعوا بين تكذيب الله وتكذيب رسله وتكذيب الأمور العقلية والحسيه)[1] .

وقال في موضع آخر : (وهي حجة باطلة في نفسها عقلا وشرعا . فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه .

وأما شرعا فان الله تعالى أبطل الاحتجاج به ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله فان الله تعالى قد أقام الحجة على العباد فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا)[2] .

---

(١) التفسير ٤/٢٠١ .

(٢) التفسير ٦/٦٣٩ ، وانظر ايضا التفسير ٢/٤٩٥ ففيه بيان لبطلان هذه الشبه من سبعة أوجه .

رابعا : بيانه لمذهب أهل السنة والجماعة في القدر وتأييده له بالأدلة :

وكما بين ابن سعدى بطلان الأقوال المتقدمة في القضاء والقدر وفي أفعال العباد وبعدها عن الصواب وانحرافها عن الصراط المستقيم .

فقد بين أن القول الصواب في ذلك والحق الذى لا مرية فيه هو قول أهل السنه والجماعة وذلك لتضافر أدلة الكتاب والسنة على صحته فبعد أن ذكر الأقوال السابقه وبين بطلانها قال :

(فهذه الطوائف الثلاث هم خصماء الله في قضائه وقدره منهم من نفاه ومنهم من غلا فيه غلوا أوقعه في الباطل .

وهدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلفوا فيه باذنه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) [١] .

فأثبتوا عموم قضاء الله ونفوذ مشيئته في كل شيء ، وأثبتوا مع ذلك أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وقالوا انها واقعه باختيارهم ولا حجة للعاصين على الله اذا احتجوا على معاصيهم بقدره بل حجتهم داحضه باطلة ، وقالوا ان مشيئة الله غير محبته فمشيئته تعلقت بكل شيء موجود من خير وشر وطاعة ومعصية ، ومحبته خاصة للطاعات وأهلها كما أخبر بذلك في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم) [٢] .

وقال في موضع آخر شارحا ومبينا عقيدة السلف في ذلك وهي أنهم

---

(١) سورة البقره / ٢١٣ .

(٢) الدره البهيه / ٢٤ ، ٢٥ .

: (يقولون بماجاء به الكتاب والسنه من اثبات الأصلين .

أحدهما : الاعتراف بأن جميع الأشياء كلها أعيانها وأوصافها بقضاء وقدر، لاتخرج عن مشيئة الله وارادته بل ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

والأصل الثاني : أن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وغيرها واقعه بارادتهم وقدرتهم وأنهم لم يجبروا عليها ، بل هم الذين فعلوها بما خلق الله لهم من القدرة والارادة ويقولون لا منافاه بين الأمرين فالحوادث كلها التى من جملتها أفعال العباد بمشيئة الله وارادته والعباد هم الفاعلون لأفعالهم المختارون لها ، فهم الذين اختاروا فعل الخيرات وفعلوها ، واختاروا ترك المعاصي فتركوها ، والآخرون اختاروا فعل المعاصي وفعلوها واختاروا ترك الأوامر فتركوها ، فاستحق الأولون المدح والثواب ، واستحق الآخرون الذم والعقاب ، ولم يجبر الله أحدا منهم على خلاف مراده واختياره ، فلا عذر للعاصين اذا عصوا وقالوا ان الله قدرها علينا فلنا بذلك العذر. فيقال لهم : ان الله قد أعطاكم المكنه والقدره على كل ماتريدون وأنتم بزيغكم وانحرافكم أردتم الشر ففعلتموه والله قد حذركم ، وهيأ لكم كل سبب يصرف عن معاصيه ، وأراكم سبيل الرشد فتركتموه وسبيل الغي فسلكتموه .

واذا أردت زيادة ايضاح لهذا المقام : فانه من المعلوم لكل أحد : أن كل فعل يفعله العبد وكل كلام يتكلم به فلابد فيه من أمرين : قدرة منه على ذلك الفعل والقول ، وارادة منه ، فمتى اجتمعا : وجدت منه الأقوال والأفعال والله تعالى هو الذى خلق قدرة العبد وخالق السبب التام ، خالق للمسبب، فالله تعالى خالق أفعال العباد ، والعباد هم الفاعلون لها حقيقة ... وقد دلت أدلة الكتاب والسنة الكثيرة على أن الله خالق كل شيء وعلى كل شيء

قدير وأن كل شيء بقضاء وقدر الأعيان والأوصاف والأفعال .

ودلت أيضا أدلة الكتاب والسنة أن العباد هم الفاعلون لفعلهم حقيقة بقدرتهم واختيارهم ، فانه تعالى نسب اليهم وأضاف اليهم كل مافعلوه من ايمان وكفر وطاعة ومعصية ، وانه تعالى مكنهم من هذا ومن هذا ، ولكنه حبب الايمان الى المؤمنين وزينه في قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وولى الآخرين ماتولوا لأنفسهم حيث اختاروا الشر على الخير وأسباب العقاب على أسباب الثواب ، وهذا كما أنه معلوم بالضرورة فهو معلوم بالحس الذى لا يمكن أحدا المكابرة فيه فان العبد يفرق بين أفعاله التى يقسر ويجبر ويقهر عليها ، وبين أفعاله التى يختارها ويريدها ويحب حصولها) [1] .

وقال رحمه الله في بيان حكم أفعال العباد : (أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخله في خلق الله وقضائه وقدره ولكنهم هم الفاعلون لها لم يجبرهم الله عليها مع أنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم فهي فعلهم حقيقة فهم الموصوفون بها المثابون والمعاقبون عليها وهي خلق الله حقيقة فان الله خلقهم وخلق مشيئتهم وقدرتهم وجميع مايقع بذلك ، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله وقدرته لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقة للخير والشر وأنهم مختارون لأفعالهم فان الله خالق قدرتهم وارادتهم وهما السبب في وجود أفعالهم وأقوالهم وخالق السبب التام خالق

---

(١) الدره البهيه / ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، وانظر أيضا الخلاصة / ١٧٩ ، والحق الواضح المبين / ٨ و ٢٠ .

للمسبب ، والله أعظم وأعدل من أن يجبرهم عليها)[1] .

وهذا آخر الحديث عن القضاء والقدر ، وبه نصل الى نهاية البحث الأول المتعلق بتوحيد الربوبية ، ويجدر أن أشير الى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الأسماء والصفات ، وذلك لأن الرب اسم من أسماء الله ، والربوبية صفة من صفاته ، والله أعلم .

---

(١) سؤال وجواب / ١٠ ، وانظر أيضا :توضيح الكافيه الشافية / ١٣، ١٤ .

المبحث الثاني

توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثاني

توحيد الاسماء والصفات

تمهيد :

ان تدبر اسماء الله وصفاته وفهمها على مراد الله منها من أهم الامور واجلها ، وذلك لما في هذا العمل من الفوائد العظيمة ،والثمار النافعة .

لذلك فقد اشتغل علماء الاسلام قديما وحديثا في بيان أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وشرحها وأيضاحها ، والرد على من انكرها أو انكر بعضها ، وألفوا في ذلك مؤلفات عديدة .

وكان الشيخ ابن سعدى رحمه الله ممن أسهم حديثا في بيان الاسماء الحسنى والصفات العلى لما يرى في ذلك من الفوائد ولكونها من أجل العلوم وانفعها .

وقد عدد رحمه الله فوائد عظيمة يحصل عليها المشتغل بهذا العلم النافع اذكر منها ما يلي : -

أولا : ان هذا العلم أشرف العلوم وأجلها على الاطلاق ،فالاشتغال بفهمه والبحث عنه أشتغال بأعلى المطالب ، وحصوله للعبد من أشرف المواهب .

ثانيا : ان معرفة الله تدعو الى محبته وخشيته وخوفه ورجائه واخلاص العمل له ، وهذا عين سعادة العبد ،ولا سبيل الى معرفة الله الا بمعرفة اسمائه وصفاته والتفقه في فهم معانيها .

ثالثـا : ان الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه وهذا هو الغايـة المطلوبة منهم فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق لـه العبد وتركه وتضييعه اهمال لما خلق له ، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة ، وفضله عليه عظيم من كل وجه ان يكون جاهلا بربه معرضا عن معرفته .

رابعـا : ان أحد أركان الايمان بل افضلها واصلها الايمان بالله وليس الايمان مجرد قوله آمنت بالله من غير معرفته بربه ، بل حقيقة الايمان أن يعرف الذى يؤمن به ويبذل جهده في معرفة اسمائه وصفاته حتى يبلغ درجة اليقين ، وبحسب معرفته بربه يكون ايمانه فكلما ازداد معرفة بربه ازداد ايمانه وكلما نقص نقص ،واقرب طريق يوصله الى ذلك تدبر صفاته واسمائه من القرآن ، والطريق فى ذلك اذا مر به اسم من اسماء الله أن يثبت له ذلك المعنى وكماله وعمومه وينزهه عما يضاد ذلك .

خامسا : ان العلم به تعالى أصل الاشياء كلها ، حتى ان العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما عرف من صفاته وافعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الاحكام لأنه لا يفعل الا ما هو مقتضى اسمائه وصفاته ، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة ،ولذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام الا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله ، فأخباره كلها حق وصدق وأوامره ونواهيه عدل وحكمة.

وهذا العلم أعظم وأشهر من أن ينبه عليه لوضوحه .[1]

---

(١) التفسير ١/ ٢٤، ٢٥، ٢٦ والخلاصة / ١٥ بتصرف يسير.

ولهذه الفوائد العظيمة وغيرها من الفوائد التي يحصل عليها من أشتغل بفهم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، فان الشيخ ابن سعدي يحث على تعلمها ويبين أن الناس بأحوج ما يكونوا اليها اذ هي اعظم الضروريات .

فيقول : "ولهذا فانه لا اعظم حاجة وضرورة من معرفة النفوس بربها ومليكها الذي لا غنى لها عنه طرفة عين ولا صلاح لها ولا زكاء الا بمعرفته وعبادته وكلما كان العبد اعرف باسماء ربه وما يستحقه من صفات الكمال وما يتنزه عنه مما يضاد ذلك ، كان اعظم ايمانا بالغيب واستحق من الثناء والمدح بحسب معرفته وموضع هذا تدبر اسمائه الحسنى التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله فيتأملها العبد اسما اسما ويعرف معنى ذلك وأن له تعالى من ذلك الاسم اكمله واعظمه وان هذا الكمال والعظمه ليس له منتهى ، ويعرف ان ما ناقض هذا الكمال بوجه من الوجوه فان الله تعالى منزه مقدس عنه . . ." [١]

---

(١) المواهب الربانيه / ٦١ ، ٦٢ .

أقسام الناس في الاسماء والصفات وبيان منهج السلف فيها :

بعد أن عرفنا أهمية الاشتغال بفهم الاسماء والصفات على مراد الله منها .

فلنعلم أن الناس في ذلك ثلاثة أقسام طرفان ووسط .

فأما الطرفان فهم : النفاة المعطلون ، والمشبه المجسمون ، وأما الوسط فهم أهل السنه والجماعة المؤمنون الموحدون .

وهذا ما فصله الشيخ ابن سعدى في كتبه في أكثر من موضع حيث يقول :

(الناس في هذا المقام ثلاثة أقسام : مؤمن موحد ، ومشبه ، ومعطل .
فالمؤمن الموحد : يصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الكمال على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه ومن غير تحريف ولا تعطيل لشيء من أوصاف الله .

والمشبه : هو الذى يشبه صفات الخالق بصفات المخلوقين أو يتعرض لمعرفة كنهها وحقيقتها التي لا يعلمها غير الله .

والمعطل : هو من نفى شيئا من صفات الله) . (١)

وقد بين ابن سعدى أن كلا من التشبيه ، والتعطيل بعيدان عن الصواب وأن الطريق النافع والذى يجب أن يسلكه كل مسلم هو طريق أهل أهل السنه والجماعة .

فقال : (وكل من المعطل والمشبه قد حرم الوصول الى معرفة الله على وجهها المطلوب ، وابتلى بالتكلف والتحريف لنصوص الوحي ، وكما أنه

---

(١) الحق الواضح المبين ص ١٢ .

مناقض للوحي فهو مناقض لما دلت عليه العقول والفطره التي لم يطرأ عليها التغير ، فلا معقول لديهم ولا منقول ، وهدى الله أهل السنه والجماعه لاتباع الحق المنقول عن الله وعن رسله ، والمعقول لذوى الالباب ، وذلك يظهر بتدبر ما عليه هذه الطوائف في المسائل والدلائل وتحقيقها ونسأل الله الهداية لأقوام الطرق) .(١)

(١) الحق الواضح المبين ص ١٢ .

منهج السلف في الاسماء والصفات :

عرفنا أن أهدى الطرق وأعدلها في الاسماء والصفات هو ما سلكه أهل السنة والجماعة من فهم لها على مراد الله منها ، ولذلك أصبح منهجهم هو الذي يجب أن يحتذى ويسار عليه .

ويتلخص منهج السلف في الاسماء والصفات في النقاط التاليه :

- أنهم يقرون ويعتقدون بجميع ما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله .
- فيثبتون لله جميع ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ونعوت الجلال .
- وينفون عنه جميع ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب .
- من غير تحريف (١) ولا تعطيل (٢) ، ومن غير تكييف (٣) ولا تمثيل (٤) .

وهذا هو المنهج الحق الذي لا مريه فيه ، وقد سلك ابن سعدى هذا المنهج الحق في بيان توحيد الاسماء والصفات وسار عليه ، وأطال رحمة الله في موٴلفاته في تقرير هذا المنهج والرد على من خالفه من سائر طوائف الضلال ، ولاسيما في كتابيه الحق الواضح المبين وتوضيح الكافية الشافية .

---

(١) التحريف : هو تغيير ألفاظ الاسماء والصفات أو تغيير معانيها . كقوله " استوى " بمعنى استولى ، وقوله " الرحمه " اراده الانعام .

(٢) التعطيل : هو نفي الصفات وهو مأخوذ من قولهم جيد معطل اى خالى .

(٣) التكييف : معناه بيان الهيئةو الكيفيه التي تكون عليها الصفات مثل أن يقال كيف يده وكيف وجهه .. الخ .

(٤) التمثيل : هو التشبيه بأن يقال وجه الله كوجه المخلوق وما أشبه ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وما قاله في تقرير هذا المسلك أنه عرف توحيد الاسماء والصفات بأنه (اعتقاد أنفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمه والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك .... وذلك باثبات ما أُثبته الله لنفسه ،أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الاسماء والصفات ، ومعانيها واحكامها ، الوارده في الكتاب والسنه على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائض والعيوب وعن كل ما ينافي كماله).(١)

لذلك كان في تفسيره للقرآن اذا مر بآيات تدل على ذلك ،أشار اليها وبين وجة دلالتها على صحة هذا المنهج في اسماء الله وصفاته .

فمن ذلك ما قاله عند قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٢)
قال : (وهذه الآيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من أثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات ،وفيها رد على المشبه في قوله (ليس كمثله شيء) وعلى المعطله في قوله : (وهو السميع البصير)(٣)

وقال في نهاية تفسير سورة الاخلاص : (فهذه السورة مشتملة على توحيد الاسماء والصفات)(٤)

كما أشار الى ذلك في غير التفسير من كتبه .

فقال في المواهب الربانية : (قوله تعالى : (هل تعلم له سميا)

---

(١) القول السديد ص ١٥ .
(٢) سورة الشورى / آية ١١ .
(٣) التفسير ٦/٥٩٨.
(٤) التفسير ٧/٦٨٦ وانظر الخلاصة ص ١٨ .

اشتملت على أن الله تعالى كامل الاسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر وليس له فى ذلك شبيه ولا نظير ولا سمى بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات)(١).

وقال فى خلاصة التفسير بعد أن ذكر قصة آدم وأخذ يعدد ما يستنبط منها من فوائد ،قال : ومنها (أى الفوائد) أن فيها دلالة لمذهب أهل السنه والجماعة المثبتين لله ما أثبته لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات كلها ،لا فرق بين صفات الذات ولا بين صفات الأفعال)(٢).

وقد بين رحمه الله أن هذا المنهج فى الاسماء والصفات هو المنهج الذى يقرره الله فى كتابه ، وهو المنهج الذى أتفقت عليه الرسل اجمعون.

حيث يقول (انظر الى توحيد الله وتفرده بالوحدانيه ،وتوحده بصفات الكمال ،كيف كانت الكتب السماويه مشحونه بها ،بل هى المقصد الاعظم ، وخصوصا القرآن الذى هو ،من أوله إلى آخره يقرر هذا الأصل الذى هو أكبر الأصول وأعظمها.

وانظر كيف اتفقت جميع الرسل والانبياء وخصوصا خاتمهم وامامهم محمد صلى الله عليه وسلم ،على توحيد الله وأنه متفرد بالوحدانيه وعظمة الصفات : من سعة العلم ، وشمول القدره والاراده وعموم الحجه والحكمة والملك والمجد والسلطان والجلال والجمال والحسن والاحسان فى اسمائه وصفاته وأفعاله)(٣)

---

(١) المواهب الربانيه ص ٤٥ وانظر التفسير ايضا ٥/١٢٦.
(٢) الخلاصه ص ١٠٧.
(٣) الفتاوى ص ٤٤ ،٤٥.

ومعلوم أن المنهج الذى انزلت به الكتب واتفقت عليه الرسل هو المنهج الحق الذى لا يجوز العدول عنه ، بل أن العدول عنه الى غيره بعد وضلال واستبدال للذى هو أدنى بالذى هو خير ، وكلما ازداد الانسان رغبة فى غيره من المناهج ازداد بعدا عن الطريق المستقيم ، وكلما بعد عن الطريق المستقيم ازداد الحاده فى اسماء الله وصفاته .

والله يقول : (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) .[1]

وان أول من عدل عن هذا الطريق من طوائف الضلال هم الجهميه المنسبون الى الجهم بن صفوان ، فهم أول الطوائف انكارا للاسماء والصفات .

قال ابن سعدى فى بيان ذلك :

(وكان الجهم بن صفوان معروفا بين الامه بهذه البدعه الشنعاء الجامعه لشرور كثيره أعظمها وأطمها نفى صفات الله التى تواترت فى الكتاب والسنه واتفق عليها جميع سلف الامه) .[2]

ثم أوضح رحمه الله أن جميع من جاء بعده من طوائف الضلال من معتزلة وأشعرية وكلابية وغيرهم - أخذوا عنه فهو رأسهم وشيخهم وسلفهم فى هذا المنهج .

أما أهل السنة والجماعة فقد سلمهم الله من هذا الضلال بأن وفقهم لسلوك الصراط المستقيم والمنهج القويم .

---

(١) سورة الاعراف /آيه ١٨٠ .

(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ٥ .

قال رحمه الله فى ايضاح ذلك : (فأخذت طوائف من أقوال جهم بحسب بعدهم عن مذهب السلف .

- فطائفة أثبت الاسماء ونفت الصفات ، وهم جمهور الجهميه والمعتزلة
- وطائفة غلت فنفت الاسماء الحسنى .
- وطائفة وافقت الجهميه بنفي الافعال الاختياريه ووافقوا السلف فى أثبات الصفات السبع وهى الحياة والعلم والقدرة والاراده والسمع والبصر والكلام . وهم الاشعريه الماتريديه [(١)]
- وطائفة أخذت بقوله أن العباد مجبورون على أفعالهم وهم الملقبون بالجبريه .
- وطائفة وافقته فى أن القرآن الموجود المحفوظ فى الصدور المكتوب فى المصاحف مخلوق ،والمعنى القديم النفسى غير مخلوق ،كالكلابيه والاشعريه .

ثم قال رحمه الله :

(ونجى الله أهل السنه والجماعه من جميع أقواله الباطله فأثبتوا جميع أسماء الله الحسنى وما دلت عليه من الصفات العليا لا فرق بين الصفات الذاتيه المتعلقه بذاته التى لا ينفك عنها كالحياه والعلم والقدره والاراده ونحوها ،ولا بين صفات الافعال القائمه بذاته المتصف بها المتعلقه بمشيئته وقدرته . . .)[(٢)]

ومذاهب هؤلاء جميعهم مبنية على التقول على الله بغير علم وتأويل

---

(١) اثبات الاشاعره للصفات السبع ليس موافقا للسلف تماما بل بينهم تفاوت كبير وبون شاسع . وسيأتى مثال ذلك عند التحدث عن صفة الكلام.

(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ١٣

الصفات على غير المراد منها ، وقد بين رحمه الله خطورة التقول على الله بغير علم ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) .[1]

فقال رحمه الله : (يدخل في ذلك القول على الله بلا علم في شرعه وقدره فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو نفى عنه ما أثبته لنفسه أو أثبت له ما نفاه عن نفسه فقد قال على الله بلا علم .

الى أن قال : ومن أعظم القول على الله بلا علم أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معاني أصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال ثم يقول ان الله ارادها .

فالقول على الله أكبر المحرمات وأشملها وأكبر طرق الشيطان التي يدعوا اليها .)[2]

وقال عند قوله تعالى (ومن أظلم ممن أفترى على كذبا)[3] : (ويدخل في هذا كل من كذب على الله بنسبه شريك له أو وصفه بما لا يليق بجلاله أو الاخبار عنه بما لم يقل) .[4]

وبين رحمه الله أنه لا يتم ايمان أحد بتوحيد الاسماء والصفات حتى يترك التأويل ويؤمن بجميع الصفات على مراد الله منها فقال :

(ولا يتم توحيد الاسماء والصفات حتى يعترف ويؤمن بكل ما جاء في

---

(١) سورة البقره /آيه ١٦٩ .

(٢) التفسير ١/ ٢٠٠، ٢٠١ .

(٣) سورة هود / الآيه ١٨ .

(٤) التفسير / ٣/ ٤١٣ .

الكتاب والسنه من الاسماء والصفات والافعال ، واحكامها وعلى وجه يليق بعظمة البارى ، ويعلم أنه كما لا يماثله أحد فى ذاته فلا يماثله احد فى صفاته ، ومن ظن أن فى بعض النقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير المعروف فقد ضل ضلالا مبينا) .[1]

هذا وان المتكلمين جميعهم قد جعلوا التأويل مطية لهم ، فمتى رأوا النصوص تخالف قولتهم أولوها ، وقالوا ظاهرها غير مراد ، فحرفوا بذلك معانى نصوص الكتاب والسنه .

قال ابن سعدى مقررا هذا الواقع : (ان المتكلمين بالكلام الباطل من جهمية ومعتزلة وقدريه وكلابيه وأشعريه ، قد أشتركوا فى نفى صفات البارى ، وقد تفاوتوا فى كثرة ما ينفونه منها ، وكل فريق منهم فيما ينفيه من الصفات اذا وردت عليه النصوص من الكتاب والسنه فى اثباتها تأولها تأويلات تنفى ما تدل عليه من المعانى الصريحه الظاهره الحقة ، وصرفها لمعان باطله لا تدل عليها .

ثم بين الذى شجعهم على ذلك فقال :

وجرأهم على ذلك التأويل أنهم سموا المعانى الفلسفيه والاصول اليونانيه قواطع عقليه وبراهين يقينيه وأدلة الكتاب والسنه ظواهر لفظيه قابلة للتأويل فسطوا عليها بالتأويلات الباطله التى يجزم كل ذى بصيرة أنها خلاف مراد الله ورسوله منها) .[2]

---

(١) الفتاوى ١٢/

(٢) توضيح الكافيه الشافيه ص ٥٩ ، ٦٠ .

موقفه من التأويـــل :

إن التأويل يعد من أخطر معاول الهدم للأسلام ، إذ بـــه استطاعت جميع طوائف الضلال أن تروج باطلها ،فالجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم لا يجدون من نصوص الكتاب والسنه ما يدل على باطلهم بل إن نصوص الكتاب والسنه صريحة فى الرد عليهم ، ولذلك لجوا إلـى التأويل فجعلوه مطية لهم ،فأولوا النصوص المخالفة لهم وقالوا إن ظاهرها غير مراد ، وهكذا استطاعوا افساد عقائد كثير من الناس بهذه التأويلات الفاسدة.

مما جعل علماء الاسلام قديما وحديثا يقومون بالتصدى لهذا النوع من التأويل وبيان فساده وضرره على الاسلام والمسلمين . وان من ابرز من قام بذلك شيخ الاسلام ابن تيميه فى أكثر مؤلفاته ولا سيما كتابه العظيم درء تعارض العقل والنقل ورسالة الاكليل فى المتشابه والتأويل وغيرهما لهذا يقول الدكتور محمد الجليند فى كتابه الامام ابن تيميه وقضية التأويل عن أبن تيميه انه (ابرز مفكر اسلامى عالج هذه القضية)[١].

ومن علمائنا المعاصرين الذين قاموا بمعالجة هذه القضيه الشيخ ابن سعدى فقد تناول رحمه الله هذه القضية فى مواضع متعددة من مؤلفاته وبين فساد التأويل وأنه جر وبالا على الاسلام .

قال رحمه الله : (ولا يرتاب عارف أن جميع المصائب التى جرت فى صدر الاسلام وبعد ذلك ،ووقوع الفتن والاقتتال والتحزبات كلها متفرعه عن التأويل الباطل الذى لا ينتج الا شرا)[٢]

---

(١) الامام ابن تيميه وقضية التأويل / ٥٩.
(٢) توضيح الكافيه الشافيه ص ٩٤.

ثم عدد جملة من أضراره فقال (التأويل الباطل سبب فتن الاقوال والبدع والاعتقاد به والفتن الفعليه ، فلم يزل التأويل يتوسع وكل بدعة متأخرة تحدث من التأويلات الباطلة غير ما أحدثته التي قبلها ...)[١]

وقال عند تفسيره لقوله : (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) ،(وفيه رد على المتكلمين من الجهميه ونحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص القرآن محموله على غير ظاهرها ولها معان غير ما يفهم منها فاذا على قولهم لا يكون القرآن احسن تفسيرا من غيره ، وانما التفسير الأحسن على زعمهم تفسيرهم الذى حرفوا له المعانى تحريفا .)[٢]

أنواع التأويل :

قد صار للتأويل بسبب تعدد الاصطلاحات ثلاثة معان فصلها شيخ الاسلام فى أكثر من موضع من كتبه :

أحدها : أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين فى التفسير واختلف علماء التأويل ، ومجاهد امام المفسرين اذا ذكر انه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره .

والثانى : أن التأويل هو الحقيقة التى يؤول اليها الكلام كما قال الله تعالى هل ينظرون الا تأويله ؟ يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) .[٣] فتأويل ما فى القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء، والجنة والنار ونحو ذلك ، كما قال الله تعالى فى قصة يوسف لما سجد

---

(١) توضيح الكفايه الشافيه ص ٩٤ .
(٢) التفسير ٥/٤٧٨ .
(٣) سورة الاعراف / آيه ٥٣

أبواه واخوته (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) [1] فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا .

والثالث : أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله .

وهذا التأويل في كثير من المواضع أو أكثرها وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه . [2]

وجميع هذه الانواع تناولها الشيخ ابن سعدى في مؤلفاته ، وقد تقدم معنا ذمه للنوع الاخير ، وأما النوع الاول والثاني ،فقد قال عنهما : (وأما التأويل الذى يراد به تفسير مراد الله ومراد رسوله بالطرق الموصله إلى ذلك فهذه طريقه الصحابه والتابعين لهم باحسان وهي التي أمر الله ورسوله بها ومدح أهلها .

وكذلك التأويل الذى هو بمعنى ما يؤول إليه الأمر من العمل بأمر الله ومن فهمه ما يؤول اليه الخبر فلفظ التأويل في الكتاب والسنه الغالب عليه هذان الامران ... إلى أن قال : فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود الى فهم مراد الله ورسوله والى العمل بالخبر وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ويراد به صرف النصوص عن معناها الذى أراده الله ورسوله إلى بدعهم وضلالهم وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم .) [3]

---

(١) سورة يوسف / آيه ٥٣ .
(٢) الرسالة التدمريه / ٢٩ ، الفتاوى / ١ ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) توضيح الكافيه الشافيه / ٥٤ ، ٥٥ ، وانظر الفتاوى السعديه / ١١٩ ، ١٢٠ .

وهذا النوع الاخير تقدم معنا في كلام شيخ الاسلام أن عامته باطل ، لذلك فان هناك شروطا لمن ادعى هذا النوع من التأويل ان توفرت في تأويله كان صحيحا والا فهو من التأويل الباطل .

وهي أربعة شروط ذكرها الشيخ ابن سعدي في توضيح الكافيه الشافيه :

(أحدها : أن يأتي بدليل يدل على قوله لأنه خلاف الأصل ،فان الاصل حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته فمن أدعى خلاف ذلك فعليه البرهان ،فاذا أتى بدليل طولب بأمر (ثاني) وهو أن ذلك الذي تأوله الى ذلك المعنى يحتمله لأنه لا بد أن يكون بين الألفاظ والمعاني ارتباط وتناسب لأنه باللسان العربي أنزله الله ليعقله العباد اذا تدبروا ألفاظه فهل يمكن أن يعقلوا أو يفهموا ما ليس له أرتباط ودلاله على المعاني من ذات اللفظ ونفس العبارة بحيث لا يحتاجون الى أمور خارجيه فاذا أتى بما يدل ويحتمل ذلك الذي عينه وهيهات له ذلك طولب بأمر (ثالث) وهو تعيينه المعنى الذي تأول اللفظ له فهب أن ظاهره غير مراد فلا بد من دليل يعين المعنى الذي صرفه اليه ويخصصه به فان التخصيص من دون دليل من باب التكهن والتخرص لأن اللفظ لا يدل عليه بخصوصه ، فقد يكون القصد به معنى غير الذي عينوه ، وقد يكون اللفظ متعبدا بتلاوته ولفظه مجردا عن المعاني وهو أولى من تحريفهم أو اتيانهم بمعان ما أنزل الله بها من سلطان ، وان كان الامران ينافيان حكمة الباري لكن التعبد أهون من التحريف .

فان فرض أنه تأول على غير ظاهره وأتى بدليل على الاحتمال وعلى التعين طولب بأمر (رابع) وهو الجواب عن المعارض لأن الدعوى لا تتم الا بذلك

والمعارض للنفي هو جميع الادلة النقليه من الكتاب والسنه والأدلـــة العقلية والفطره).[١]

ويلاحظ أن هذه الشروط عسيره ولا يمكن توفرها في تأويلاتهم الباطله وبهذا يفهم قول شيخ الاسلام المتقدم عن هذه التأويلات أن عامتها باطله .

والمقصود أن الشيخ ابن سعدى كغيره من علماء أهل السنه يرى فساد هذا النوع من التأويل وبطلانه ، وأما النوعان الأولان فقد بين أنهما صحيحان وأنهما متعارف عليهما عند السلف الصالح .

لذلك قال عند تفسيره لقوله تعالى :

(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه أبتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ،وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) .[٢]

(التأويل يطلق بمعنى التفسير والعلم به ، ويطلق بمعنى بيان الحقيقة التى يؤول اليها الأمر ، فان كان الأول فيكون قوله (والراسخون) معطوفا على قوله (الا الله) وعلى هذا فان معناه أن المتشابه هو ضد المحكم .
وهو الذى فيه احتمالات ،فالراسخون في العلم يفهمونه ويرجعونه الى المحكم ،فالنص الصريح يقضى على النص الذى فيه عدة احتمالات .

وان كان الثاني : فالتأويل الذى هو بمعنى نفس حقيقة المخبر عنه من

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٥٥ .
(٢) سورة آل عمران / آيه ٧ .

صفات اليوم الآخر لا يعلم كنه ذلك وكيفيته إلا الله تعالى ، فيكون الوقوف على (إلا الله) ويكون معنى قوله (والراسخون في العلم) بمعنى أنهم يفوضون معرفة الكنه والكيفية إلى الله ، ويقولون (آمنا به كل من عند ربنا) أي : وماكان من عند ربنا فهو حق ، سواء عرفنا كنهه أم لا .

وكلا القولين صحيح ، وقد قال بكل منهما طائفة من السلف ، والجمع بينهما على ماذكرنا من اختلاف معنى التأويل أولى وأحسن)[١] .

كلامه في ذم الالحاد في أسماء الله :-

إن النوع الباطل من التأويل يعد من الإلحاد في أسماء الله ومن الميل والعدول بها عن مرادها ، وقد حذر الله عز وجل في كتابه من الالحاد في أسمائه بعد أن بين أن له الأسماء الحسنى فقال سبحانه .

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون)[٢] .

فالواجب على كل مسلم أن يقر ويعترف بجميع ماأثبته الله لنفسه وماأثبته له رسوله من صفات الكمال وأن ينفي عنه مانفاه عن نفسه ومانفاه عنه رسوله من صفات النقص من غير إلحاد فيها وذلك بأن يحرفها أو يعطلها عن معانيها أو يشبهها بأوصاف المخلوقين أو يكيفها أو غير ذلك من أنواع الالحاد .

بل الواجب أن يثبتها على مرادِ الله وأن يحذرَ غايةَ الحذرِ من الإلحاد

---

(١) الفتاوى /١١٩ ، ١٢٠ ، وانظر التفسير ٣٥٨/١ ، الخلاصة ١٧٤.

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٨٠.

فيهـا .

والالحاد في أسماء الله له أنواع متعددة :

أ - أن يسمى بها من لا يستحقها مثل تسمية المشركين أصنامهم بأسماء الله فسموا العزى من العزيز واللات من اله وهكذا .

ب - أن تعطل عن معانيها كقول المعتزلة سميع بلا سمع بصير بلا بصر .

جـ - أن يشبه بها غيره كقول المشبهه يد كأيدينا .

د - أن يحاول تكييفها ومعرفة كنهها .

وكل هذه الأنواع ترجع الى الميل بها عن مراد الله منها ، وقد ذم الشيخ ابن سعدى الالحاد في أسماء الله وصفاته وحذر منه بجميع أنواعه ، وبين أن نفي الالحاد عن أسماء الله وصفاته من تمام الايمان بها .

فقال رحمه الله و (نفي الالحاد في أسماء الله وصفاته من تمام اثبات صفات الكمال وتفرد الرب بنعوت العظمه والجلال ، فعلى العبد المؤمن أن يحققها علما وتعبدا لله بها ونفيا للالحاد فيها)[1] .

وقال (فالواجب أن يحذر الالحاد فيها ويحذر الملحدون فيها)[2] .

وقال في بيان حقيقة الالحاد وأنواعه (وحقيقة الالحاد في أسماء الله وصفاته الميل بها عما جعلت له .

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٩٧ .

(٢) التفسير ٣ / ١٢٢ ، الحق الواضح المبين / ٥٥ ، ٥٦ .

اما بأن يسمى بها من لا يستحقها ، كتسمية المشركين لآلهتهم .
واما بنفي معانيها وتحريفها ، وأن يجعل لها معنى ماأراده الله ولا رسوله
واما أن يشبه بها غيرها)[١] .

ومن سلك في أسماء الله وصفات مثل هذه الطرق فقد انحرف عن صراط الله المستقيم .

فالواجب اذا على المسلم أن يسلك في أسماء الله وصفاته ماسلكه السلف الصالح من صحابة وتابعين من فهم لها على مراد الله منها ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد وضع لهذا المنهج قواعد مبينة له وبها يسهل معرفته .

قواعد في الأسماء والصفات :-

بيان أهمية القواعد واهتمام السعدى بها :

ان معرفة القواعد واتقانها من أهم العلوم وأعظمها فائدة وذلك أن القواعد يسهل حفظها فاذا حفظت وفهمت يمكن التفريع عليها لذلك اعتنى العلماء بوضع القواعد في جميع الفنون وليس هناك فن الا وتجد له قواعد وأصولا يسار عليه .

وقد اعتنى ابن سعدى بتدوين القواعد الكلية وأشار الى أهميتها وفوائدها في غير موضع ومن ذلك قوله (ومعلوم أن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان والأصول للأشجار لا ثبات لها الا بها ، والأصول

---

(١) التفسير ٣/١٢٢ .

تبنى عليها الفروع ، والفروع تثبت وتقوى بالأصول ، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نماء مطردا ، وبها تعرف مآخذ الأصول ، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرا كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها ولها من الفوائد الكثيرة غير ما ذكرنا)[1] .

وما يؤكد اهتمام الشيخ واعتناءه بها أنه أفراد ثلاثة كتب من مؤلفاته خصها بذكر القواعد الكلية الجامعة .

وهي : كتاب طريق الوصول الى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول وكتاب القواعد والأصول الجامعة والفروع والتقاسيم البديعة النافعة ، وكتاب القواعد الحسان لتفسير القرآن ، وله منظومة في القواعد الفقهية.

لهذا سأذكر جملة من القواعد في الأسماء والصفات التي اختارها ابن سعدى وتعرض لها في مؤلفاته .

وهي جملة من القواعد انتقاها الشيخ واختارها من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية . واذكر بيانه لها وذلك لأن تقرير القواعد وتأصيلها من منهجه كاتبين ولا سيما في مجال العقيدة.

وهذه القواعد الآتية وان كانت ليست من استنتاج الشيخ الا أن ذكره لها وعنايته بشرحها وتوضيحها يدل على شده اهتمامه بالقواعد .

القاعدة الأولى :

(أسماء الله كلها حسنى) .

هذه القاعدة من القواعد الثابتة المتقررة في الشريعة المتفق عليها عند السلف الصالح .

---

(١) طريق الوصول / ٤ .

وقد بين الله ذلك في أكثر من آية من كتابه العزيز :

قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون)[١] .

وقال : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى)[٢] .

وقال : (الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى)[٣]

وهذه القاعدة ، من القواعد التى اهتم بها ابن سعدى وتناولها بالشرح والايضاح .

قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)[٤] .

قال :(هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه بأن له الأسماء الحسنى)[٥] .

وقال عند قوله تعالى : (له الأسماء الحسنى)[٦] (أى له الأسماء الكثيرة جدا ، التى لايحصيها ولايعلمها أحد الا هو ومع ذلك فكلها حسنى)[٧] .

---

(١) سورة الأعراف / الآيه ١٨٠.

(٢) سورة الاسراء / الآيه ١١٠.

(٣) سورة طه / الآيه ٨ .

(٤) سورة الأعراف / الآيه ١٨٠.

(٥) التفسير ٣/١٢٠.

(٦) سورة طه / ١١٠ ، وسورة الحشر / الآيه ٢٤.

(٧) التفسير ٧/٣٤٦ ، و٥/١٤٥.

وقال في بيان وجه كونها حسنى هو (أن كل اسم دال على صفه كمال عظيمه ، وبذلك كانت حسنى .

فانها لو دلت على غير صفة ، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى ، وكذلك لو دلت على صفة ، ليست بصفة كمال بل اما صفه نقص أو صفه منقسمة الى المدح والقدح لم تكن حسنى .

فكل اسم من اسمائه دال على جميع الصفه التي اشتق منها مستغرق لجميع معناها ، وذلك نحو "العليم" الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الأشياء ، فلا يخرج عن علمه مثقال ذره في الأرض ولا في السماء)[1] .

وقال : (ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها لأنها وسيلة مقربه اليه يحبها ويحب من يحبها ويحب من يحفظها ، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها)[2] .

القاعدة الثانية : -

(أسماء الله كلها توقيفية) .

ومعنى ذلك أنه ليس هناك وسيلة لمعرفة أسماء الله وصفاته الا عن طريق الرسل الذين يبلغون عن الله .

وذلك أن الايمان بالله وصفاته من الايمان بالغيب ، ولا يمكن معرفة الغيب الا عن طريق الوحي وقد اثنى الله عزوجل على المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب وبين أن الايمان بالغيب من صفات المتقين ، فقال سبحانه:

---

(١) التفسير ٣/١٢٠ ، ١٢١ ، وانظر الحق الواضح المبين/٥٥ .
(٢) التفسير ٥/١٤٥ .

(الــم ذلك الكـتاب لا ريـب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنـــون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقــون)[(١)] ٠

ومن هنا يعلم أن أسماء الله وصفاته لا مجال للعقل فيها ، فلا يجــوز أن يوصف الله عز وجل الا بما ورد في الكتاب والسنه ٠

ولو وصف أحد الله عز وجل بصفه لم ترد في الكتاب والسنه فقد تقــول على الله بلا علم ، وافترى على الله الكذب قال تعالى :(ولا تتبعوا خطــوات الشيطان انه لكم عدو مبين ، انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا علـــى الله مالا تعلمون)[(٢)] ٠

وقال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كـــذبا)[(٣)] ٠

يقول الشيخ ابن سعدي في بيان هذه القاعدة : (فمن وصف اللـــه بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو نفى عنه ماأثبته لنفسه أو اثبـــت له مانفاه عن نفسه فقد قال على الله بــلا علم)[(٤)] ٠

قال تعالى : (ولا تقف ماليس لك بـه علم ان السمع والبصر والفـــؤاد كل أولـــئك كان عنه مسؤولا) ٠[(٥)]

---

(١) ســورة البقرة / الآيــات ١ ، ٢ ، ٣ ٠

(٢) ســورة البقره / الآيه ١٦٩ ٠

(٣) ســورة هــود / الآيه ١٨ ٠

(٤) التفســير ١ / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، وانظر ايضا التفسير ٣ / ٤١٣ ، والمواهــب الربانية / ٦١ ٠

(٥) الاســراء / ٣٦ ٠

القاعدة الثالثة :

(أسماء الله الحسنى كلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها وكلها أوصاف مدح وحمد وثناء) .

ومعنى ذلك أن أسماء الله ليست اعلام محضه لاتدل على معاني كما يقول ذلك المعتزلة ، فالمعتزلة اثبتوا لله الأسماء دون ماتتضمنه من الصفات فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالاعلام المحضة المترادفه ، ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدره سميع بلا سمع بصير بلا بصر فأثبتوا الاسم دون ماتضمنه من الصفات.[1]

بل هي أعلام وأوصاف . ولوكانت اسماؤه تعالى أعلاما محضة بدون معاني لم تكن حسنى ، ومن قال بذلك فقد عطل اسماء الله عن معانيها . ولايتم الايمان بالأسماء والصفات الا بترك التعطيل .

قال ابن سعدى في بيان هذه القاعدة (ان أسماء الله الحسنى كلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها وكلها أوصاف مدح وحمد وثناء ولذلك كانت حسنى فلوكانت أعلاما محضه لم تكن حسنى ... الى أن قال : فصفاته كلها صفات كمال محض فهو موصوف بأكمل الصفات ، وله أيضا من كل صفه كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه)[2] .

القاعدة الرابعة :-

(يجب الايمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات) .

فهذه ثلاثة أركان للايمان بأسماء الله وصفاته :-

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٨ ، والرسالة التدمريه له / ١٣ .
(٢) الحق الواضح المبين / ٥٥ ، وانظر توضيح الكافيه الشافيه / ٩٦ .

١ - أن يؤمن بالأسماء الحسنى .

٢ - وأن يؤمن بما دلت عليه من صفات .

٣ - وأن يؤمن بأحكام تلك الصفات ومتعلقاتها .

وبيان ذلك يظهر بالأمثلة :-

فمثلا الرحمن اسم من أسماء الله والرحمه صفة من صفاته وأنه يرحم من يشاء.

والقدير اسم من أسماء الله والقدرة صفة من صفاته وأنه يقدر بها على فعل كل شيء .

وهكذا في بقية أسماء الله الدالة على أوصاف متعديه .

أما ان كانت تدل على وصف غير متعد فانها تتضمن أمرين :

- اثبات الاسم لله .
- واثبات الصفه التي تضمنها .

ومثاله الحي والقيوم .

وهذه القاعده أشار اليها ابن سعدي في أكثر من موضع من مؤلفاته قال رحمه الله :

(ان من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها مادل عليه الكتاب والسنه من الايمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم ذو الرحمه العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم فالنعم كلها من آثار رحمته .

وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى فيقال عليم ذو علم عظيم يعلم به كل شيء قدير ذو قدره يقدر على كل شيء .

فان الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العليا وأحكام تلك الصفات .

فمن أثبت شيئا منها ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضا مبطلا)[١] .

القاعدة الخامسة :-

(دلالة الأسماء على الذات والصفات تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام) .

قال ابن سعدى رحمه الله : (وهذه القاعدة من أجل القواعد وأنفعها وتستدعي قوة فكر ، وحسن تدبر وصحة قصد .. إلى أن قال :

والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع أن تفهم مادل عليه اللفظ من المعاني فاذا فهمتها فهما جيدا ، ففكر في الأمور التى تتوقف عليها ولا تحصل بدونها ومايشترط لها ، وكذلك فكر فيما يترتب عليها ومايتفرع عنها وينبغى عليها وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه حتى يصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة فان القرآن حق ولازم الحق حق ومايتوقف على الحق حق ، ومايتفرع عن الحق حق ذلك كله حق ولابد)[٢] .

---

(١) الخلاصة / ٧ ، وانظر ، الفتاوى السعديه / ١١ ، وسؤال وجواب / ٦ ، والتفسير ١ / ٣٣ ، ٣٤ ، والقواعد الحسان / ١١٠ ، والتنبيهات اللطيفة / ٢٠ .

(٢) القواعد الحسان / ٣١ بتصرف يسير .

وضرب لذلك مثالا فقال : -

(الرحمن الرحيم تدل بلفظها على وصفه بالرحمن ، وسعة رحمته فاذا فهمت أن الرحمة التى لايشبهها رحمه : هي وصفه الثابت وأنه أوصل رحمته الى كل مخلوق ، ولم يخل أحد من رحمته طرفة عين ، عرفت أن هذا الوصف يدل على كمال حياته ، وكمال قدرته واحاطة علمه ، ونفوذ مشيئته ، وكمال حكمته لتوقف الرحمه على ذلك كله ، ثم استدللت بسعة رحمته على أن شرعه نور ورحمه ولهذا يعلل الله تعالى كثيرا من الأحكام الشرعية برحمته واحسانه لأنها من مقتضاها وأثرها) [1] .

وقال في كتابه الحق الواضح المبين بعد أن ذكر هذه القاعده (وهذا يجرى في جميع الأسماء الحسنى . كل واحد منها يدل على الذات وتلك الصفه دلاله مطابقة ، ويدل على الذات وحدها أوعلى الصفه وحدها دلاله تضمن ،ويدل على الصفه الأخرى اللازمه لتلك المعاني دلاله التزام. مثال ذلك :

الرحمن : يدل على الذات وحدها وعلى الرحمه دلاله تضمن ، وعلى الأمرين دلالة مطابقة ويدل على الحياة الكاملة والعلم المحيط والقدرة التامة ونحوها دلاله التزام لأنه لاتوجد الرحمه من دون حياة الراحم وقدرته الموصله لرحمته للمرحوم وعلمه به وبحاجته) . [2]

وقال في موضع آخر مشيرا الى أهمية هذه القاعده (وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعيه فدلالاتها الثلاث كلها حجه لأنها معصومة محكمه) [3] .

---

(١) القواعد الحسان / ٣٢ .
(٢) الحق الواضح المبين / ٥٤ ، ٥٥ ، وانظر التفسير ٢ / ١٧٤ .
(٣) توضيح الكافيه الشافيه / ٩٧ .

القاعدة السادسة :-

(أسماء الله غير محصورة في عدد معين)

وهذه القاعدة دلت عليها نصوص كثيرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم منها :-

ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان وهو يقول " اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك "[(١)] .

ووجه الدلالة في هذا الحديث (أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه لا يحصي ثناء عليه ، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها فكان يحصي الثناء عليه ، لأن صفاته انما يعبر عنها بأسمائه)[(٢)] .

ومنها : ما ورد في حديث الشفاعة الطويل أنه صلى الله عليه وسلم ، قال (ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي)[(٣)] .

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن هناك محامد من أسماء الله وصفاته يفتح الله بها على رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت ، وهي بلا شك غير المحامد المأثورة في الكتاب والسنه .

---

(١) مسلم ١/٣٥٢ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٣/٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٣) أخرجه البخارى ٥/٢٢٦ ، والترمذى ٤/٦٢٤ . من حديث أبى هريرة .

ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال : اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضي في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابه أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحا) [(١)] .

والشاهد من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) حيث (دل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين ، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره) [(٢)] .

وبهذا يتبين أن أسماء الله غير محصوره في عدد معين ، وهذا هو قول جمهور العلماء ، ولم يخالف في ذلك إلا ابن حزم [(٣)] .

فهو يرى أنها محصوره بتسعة وتسعين اسما . واستدل على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة) [(٤)] . فهو يرى أن هذا الحديث أفاد الحصر [(٥)] .

---

(١) أخرجه أحمد ١ / ٣٩١ ، والحاكم ١ / ٥٠٩ وغيرهما . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ١٣٦ . : (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار إلا أنه قال وذهاب غمي مكان همي ، والطبراني ، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير الجهني وقد وثقه ابن حبان) أ . هـ .

(٢) شفاء العليل لابن القيم / ٢٧٧ .

(٣) شفاء العليل لابن القيم / ٢٧٧ ، والتلخيص الحبير لابن حجر ٣ / ١٧٤ .

(٤) أخرجه البخاري ٨ / ١٦٩ ، ومسلم ٢ / ٢٠٦٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) الفصل لابن حزم ٢ / ٣٤٥ .

ولا دلالة في الحديث لما ذهب اليه لأن الحديث لا يفيد الحصر.

يقول ابن القيم رحمه الله : (فقوله ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، لا ينفى أن يكون له غيره ، والكلام جملة واحدة أى له أسماء موصوفة بهذه الصفة ، كما يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة وله مائة فرس أعدها للجهاد) [1] وأيضا فان الاحاديث المتقدمة أفادت عدم الحصر

هذا وقد تناول ابن سعدى رحمه الله هذه القاعدة فى مواطن متعددة وبين أن معنى الاحصاء للاسماء الحسنى الوارده فى الحديث المتقدم هو فهمها وحفظها والاعتراف بها ودعاء الله بها . [2]

كما أهتم رحمه الله بشرح الأسماء الحسنى وتوضيحها ، وعقد لذلك فصلا خاصا فى تفسيره ، بين فى مقدمته أن الحاجة داعية الى التنبيه الى معانى الأسماء الحسنى ، ثم أخذ يذكرها أسما أسما ويشرحها بايجاز. [3]

والمقصود أن من أهم القواعد الثابته فى الاسماء والصفات ، أن أسماء الله الحسنى غير محصورة فى عدد معين .

القاعدة السابعة :

(المضافات إلى الله إذا كانت أعياناً فهى من جملة المخلوقات وإذا كانت أوصافاً فهى من صفات الله) .

وبيان ذلك أن المضافات إلى الله تكون على نوعين :-

---

(١) شفاء العليل لابن القيم / ٢٧٧ - وانظر أيضا فى ذلك درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ٣ / ٣٣٢ - والفتاوى لابن تيميه ٢٢ / ٤٨٦ .

(٢) انظر طريق الوصول / ٣٠٨ ، والمواهب الربانية / ٦٢ ، والحق الواضح المبين / ١٣ - والخلاصة / ١٨ ، والتفسير ٧ / ٣٤٦ .

(٣) التفسير ٥ / ٦٢٠ ، وما بعدها .

الأول : أعيان مثل عبد الله ، بيت الله ، ناقة الله فهذه أعيان قائمة بأنفسها . فهي اذا من جملة المخلوقات واضافتها الى الله تقتضي تفضيلها وتشريفها على غيرها من المخلوقات .

الثاني : أوصاف مثل سمع الله بصر الله قدرة الله علم الله .

فهذه الاضافة تقتضي أن هذه الصفة قائمة بالله ، وأن الله متصف بها .

وقد أشار ابن سعدى الى هذه القاعدة وأوضحها فقال :

(والذى يضيفه الله الى نفسه ، اما أعيان يخصها بهذه الاضافة المقتضيه للاختصاص والتشريف مثل عبد الله وناقة الله وبيت الله ، ومثله (وعباد الرحمن)[1] فهذه أعيان قائمة بأنفسها وهى من جملة المخلوقات لكنه أضافها لنفسه تفضيلا لها على غيرها وتعظيما .

واما اضافة أوصاف كعلم الله وقدرته وارادته ، وكذلك كلامه وحياته . فهذه الاضافة تقتضي قيامها بالله وأنه موصوف بها . وكذلك ما أخبر أنه منه :

فان كان أعيانا كروح منه (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه)[2] . فهذه منه خلقا وتقديرا .

وان كان ذلك أوصافا كقوله (تنزيل الكتاب من الله)[3] دل على أن ذلك من صفاته لامتناع قيام الصفة بنفسها)[4]

ثم أشار رحمه الله الى أهمية هذه القاعدة فقال (ولهذا لما أهتدى السلف لهذا الفرق الذى يحصل به الفرقان بين الحق والباطل هدوا الى الصراط المستقيم ، ولما ضل عنه الجهميه ونحوهم وقعوا فى الأقوال الباطلة)[5]

(١) سورة الفرقان / آية ٦٣ .
(٢) سورة الجاثيه / آية ١٣ .
(٣) سورة الزمر / آية ١ وفى غيرها .
(٤) توضيح الكافيه الشافيه / ٣١ .
(٥) نفس المرجع .

القاعدة الثامنة :

(الايمان بالأسماء والصفات يدور على أصلين : النفى المجمل ، والاثبات المفصل)

وبيان ذلك : أن المؤمن بأسماء الله وصفاته لا بد أن يكون ايمانه مبنيا على هذين الأصلين :

الأول : الاثبات المفصل :

وهو أن يثبت لله جميع ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ، على وجه التفصيل أى أن كل ما ورد فى الكتاب والسنة من الصفات الثبوتيه كالسمع والبصر والحياة والقدرة والارادة وغيرها فانه يثبتها لله عز وجل على الوجه اللائق به .

الثانى : النفى المجمل :

وهو أن ينفى عن الله كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص ، وأن يثبت له ضد هذه الصفة المنفيه ، لأن النفى المحض لا يكون كمالا . ومثال ذلك اذا نفى الشريك عن الله فانه يثبت له التوحد بالكمال واذا نفى الولد والمكافىء عن الله فانه يثبت له الكمال المطلق وهكذا .

والمنفى عن الله نوعان : متصل ، ومنفصل :

فنفى المتصل : هو أن ينفى عن الله ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من كل ما يضاد الصفات الكمالية .

مثل تنزيه الله : عن السنه والنوم واللغوب والنعاس .

ونفي المنفصل : هو أن ينفي عن الله الشريك في خصائصه التي لا تكون لغيره من التوحد والتفرد بالكمال مثل : تنزيه الله عن أن يكون لله صاحبه أو ولد وأو شريك في الملك.

وهذه قاعدة جليلة نافعة شاملة لجميع الأسماء والصفات وقد بين ابن سعدي هذه القاعدة بأنواعها ،وأطال في شرحها في مواضع متعددة ونوه بأهميتها .

فقال : (وهذا النوع - توحيد الأسماء والصفات - مبني على أصلين عظيمين :

أحدهما : تنزيه الباري وتقديسه عما لا يليق بجلاله ،وما ينافي كماله وحاصله يعود الى تنزيه الله عن مشاركة أحد من المخلوقين في شيء من صفات كماله عن أمور ثلاثه : عن تشبيهها بصفات المخلوقين أو نفيها عن الله ، أو نفي بعض معانيها . فيعلم أن له الكمال المطلق غايته ومنتهاه وأكمله فهو المنزه عن الشريك والظهير والعوين والشفيع بلا اذنه ، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ،وهو المنزه عن السنه والنوم والموت والتعب واللغوب ،وأن يغيب عن سمعه أو بصره أو علمه شيء ،وهو المنزه عن كل ما ينافي كماله وعظمته وجلاله .

والثاني : وهو المقصود الأعظم ،وما مضى وسيله وتتميم له ،فان جميع ما ينزه الله عنه فانما ذلك لأجل ثبوت ضده ،وهذا النوع مبناه على اثبات جميع صفات الله الموجوده في الكتاب والسنه والاسماء الحسنى ومعانيها على وجهها والتفقه في معرفة معانيها والتحقق بها تصديقا ومعرفه وتعبدا لله بها) .(١)

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٨٤، ٨٥ ،وانظر التنبيهات اللطيفه / ١٢ ،والحق الواضح المبين / ٥ وما بعدها .

وبين رحمه الله أن النفي نوعان فقال (ما ينزه الله عنه من النقائض نوعان : سلب المتصل : وضابطه نفي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من كل ما يضاد الصفات الكاملة .

وسلب المنفصل : وضابطه تنزيه رب العالمين عن أن يشاركه أحد من الخلق في خصائصه التي لا تكون لغيره من التوحد والتفرد بالكمال وأن يفرد بالعبودية)(١)

وبين أن النفي اذا كان محضا لا يكون من صفات الكمال : فقال :

(النفي المحض لا يكون كمالا ولهذا في مقامات المدح كل نفي في القرآن فانه يفيد فائدتين نفي ذلك النقص المصرح به وأثبات ضده ونقيضه)(٢)

والمقصود أن هذه قاعدة هامة ، وقد أشار ابن سعدى رحمه الله الى أهميتها فقال : بعد أن ذكر هذه القاعدة :

(وهذا ضابط نافع في كيفية الايمان بالله وبأسمائه وصفاته)(٣)

وقال في موضع آخر :

(وهذه فائدة عظيمة فاحفظها في خزانة قلبك فانها خير الكنوز وأنفعها)(٤)

وأليك جملة من الامثلة في أمور ينزه الله عنها مع بيان ابن سعدى لها :

- الله منزه عن النسيان والغفلة ، قال ابن سعدى رحمه الله :

(وينزه عن الغفلة والنسيان بوجه من الوجوه لأنه عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط لا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خفاء بعض المعلومات أو نسيانها

---

(١) الحق الواضح المبين / ٦٠
(٢) الخلاصة / ١٧٧.
(٣) التنبيهات اللطيفه / ١٢.
(٤) الخلاصه / ١٧٧.

والذهول عنها) .[1]

قال تعالى : (قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى)[2]

- ومنزه عن الاحتياج الى الرزق والطعام قال رحمه الله : (ومنزه عن احتياجه الى الطعام والرزق فانه تعالى هو الرزاق لجميع الخلق الغنى عنهم وكلهم فقراء اليه قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[3] ، (وهو يطعم ولا يطعم)[4])[5] .

- ومنزه عن الظلم : قال رحمه الله : (ومنزه البارى عن الظلم للعباد بأن يزيد فى سيئاتهم أو ينقص من حسناتهم أو يعاقبهم على مالم يفعلوا فان الظلم لا يفعله الا من هو محتاج اليه أو من هو موصوف بالجور وأما الله الغنى عن خلقه من جميع الوجوه الحكم العدل الحميد ، فما له وظلم العباد .

قال الله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد)[6] .)[7]

- ومنزه عن العبث : قال رحمه الله (ويجب تنزيه الله عن العبث فى الخلق والامر فلم يخلق شيئا عبثا ولا باطلا ولا شرع شيئا الا لحكمة عظيمة لأنه حكيم حميد فمن تمام حكمته وحمده اتقان المصنوعات واحكامها واحكام الشرائع على أكمل وجه وأتمه)[8]

---

(١) الحق الواضح المبين / ١٠ .
(٢) سورة طه / آيه ٥٢ .
(٣) سورة الذاريات / الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .
(٤) سورة الأنعام / آية ١٤ .
(٥) الحق الواضح المبين / ١٠ ، ١١ ، والتفسير ٧ / ١٨٢ .
(٦) سورة فصلت / آيه ٤٦ .
(٧) الحق الواضح المبين / ١٠ .
(٨) الحق الواضح المبين / ١٠ .

القاعدة التاسعة :

(القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض)

وهى قاعدة يرد بها على من فرق بين الصفات فأثبت بعضها ونفى البعض أو أثبت الأسماء دون الصفات .

فمثلا الذى ينازع فى محبة الله ورضاه فيجعلها مجازا ويفسرها بالاراده يقال له : لا فرق بين ما نفيته وما أثبته بل القول فى أحدهما كالقول فى الآخر ،فان قال ارادته مثل ارادة المخلوق قيل وكذلك محبته ورضاه وهذا هو التمثيل ،وان قال : له ارادة تليق به كما أن للمخلوق اراده تليق به يقال له : وكذلك له محبه تليق به وللمخلوق محبه تليق به .

وهكذا يقال فى سائر الصفات لمن فرق بينها وهؤلاء الذين فرقوا بين الصفات فأثبتوا بعضها ونفوا الآخر فروا من شئ ووقع فى شر منه .

ولو أنهم ساروا فى الصفات على منهج واحد فأثبتوها جميعها على الوجه اللائق بالله لسلموا .[1]

وقد أشار ابن سعدى الى هذه القاعدة فقال : (يقال لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضا ،أو أثبت الاسماء دون الصفات ، اما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله ،واما أن تنفى الجميع وتكون منكرا لرب العالمين . واما أثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض ،ففرق بين ما أثبته وبين مانفيته ولن تجد الى الفرق سبيلا ،فان قلت ما أثبته لا يقتضى تشبيها ،قال لك أهل السنه والاثبات : لما نفيته لا يقتضى تشبيها فان قلت لا أعقل من الذى نفيته الا التشبيه قال لك النفاه : ونحن لا نعقل من الذى أثبته الا التشبيه فما أجبت به النفاه أجابك به أهل السنه

---

(١) الرسالة التدمريه / ١١ وما بعدها .

لما نفيته)[1]

ثم بين تناقض من فرق بين الصفات وأنه ليس معه حجه فقال :
(والحاصل أن من نفى شيئا مما دل الكتاب والسنه على أثباته فهو متناقض لا يثبت له دليل شرعى ولا عقلى بل خالف المعقول والمنقول)[2]

القاعدة العاشرة :

(القول فى الصفات كالقول فى الذات)

وذلك أن الله سبحانه ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ،فاذا كان له ذات حقيقيه لا تماثل الذوات ، فالذات متصفه بصفات حقيقيه لا تماثل الصفات .[3]

وهذه القاعدة من القواعد التى نبه ابن سعدى عليها :
قال رحمه الله :

(فان زعموا ان اثباتها يدل على التشبيه بخلقه ، قيل الكلام على الصفات ، يتبع الكلام على الذات فكما ان لله ذاتا لا تشبه الذوات ، فلله صفات لا تشبهها الصفات فصفاته تبع لذاته ، وصفات خلقه تبع لذواتهم فليس فى اثباتها مايقتضى التشبيه بوجه)[4]

---

(١) التفسير ١/ ٢٥٨ وانظر طريق الوصول /٧ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) التدمريه لابن تيميه / ١٥ .
(٤) التفسير ١/ ٢٥٧ وانظر طريق الوصول / ٦ .

القاعدة الحادية عشرة :

(معاني الصفات معلومة وكيفيتها مجهولة ، والايمان بها واجب والسؤال عن كيفيتها بدعة)

سئل الامام مالك رحمه الله وغيره من السلف عن قوله تعالى :

(الرحمن على العرش استوى) كيف أستوى ؟

فقال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه .

فبين رحمه الله أن الاستواء معلوم وأن كيفية ذلك مجهولة وجميع صفات الله يقال فيها هذه القاعدة فمن سئل عن العلو يقال علو الله على خلقه معلوم وكيفيته مجهوله والسؤال عنه بدعه والايمان به واجب . وهكذا بقية الصفات .

وقد نبه ابن سعدى الى هذه القاعدة وبين أن من سأل عن كيفية صفات البارى عز وجل يقال له :

(ان الامر فى الصفات كلها كما قال الامام مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش :

" الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه"

فمن سأل عن كيفية علم الله أو كيفية خلقه وتدبيره قيل له فكما أن ذات الله تعالى لا تشبهها الذوات فصفاته لا تشبهها الصفات ، فالخلق يعرفون الله ويعرفون ما تعرف لهم به من صفاته وأفعاله ، وأما كيفية ذلك فلا يعلم تأويله الا الله) (١)

---

(١) بهجة قلوب الابرار/ ٢١٩ وانظر طريق الوصول /٠٨

كلامه في تقسيم الصفات :

بعد ذكر هذه القواعد الهامه في أسماء الله وصفاته وتوضيح ابن سعدي لها ، أرى من المناسب أن أذكر المنهج الذى سار عليه في تقسيم صفات الباري ، فأقول :

يرى ابن سعدي ما يراه السلف من أن صفات الله تنقسم الى قسمين ذاتيه وفعليه ، وقد بين أن هذا أصل متفق عليه بين السلف كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنه .

قال : (ومن الاصول المتفق عليها بين السلف التي دلت عليها النصوص أن صفات الباري قسمان :

- صفات ذاتيه لا تنفك عنها الذات كصفة الحياة والعلم ، والقدره والقوة والعزة ، والملك ، والعظمة ، والكبرياء ، ونحوهما كالعلو المطلق .

- وصفات فعليه : تتعلق بها أفعاله في كل وقت وآن وزمان ولها آثارها في الخلق والأمر فيؤمنون بأنه تعالى فعال لما يريد وأنه لم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الامور وأن أفعاله تقع شيئا فشيئا تبعا لحكمته وارادته ، فان شرائعه وأوامره ونواهيه الشرعيه لا تزال تقع شيئا فشيئا . . الى أن قال : فعلى المؤمن الايمان بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقه بذاته كالاستواء على العرش والمجيء والاتيان والنزول الى السماء الدنيا والقول ونحوها ، والمتعلقه بخلقه كالخلق والرزق وأنواع التدبير)[1]

وبين أن صفات الأفعال قائمة بذات الله ومتعلقه بما ينشأ عنها من الأقوال والافعال .[2]

---

(١) التنبيهات اللطيفه / ٢٠ ، ٢١ .

(٢) الحق الواضح المبين / ٥٢ . والفتاوى السعديه / ١١ .

وذم من خالف هذا التقسيم من أهل الكلام فقال : (أما تقسيم[١] بعض أهل الكلام الباطل أن صفات الأفعال لا تقوم بذات الله بل الفعل عندهم عين المفعول ، فهذا قول باطل بالكتاب والسنه والاجماع من السلف .....)[٢]

وقول أهل الكلام هذا مخالف لما ذهب إليه أهل السنه والجماعه من عدم التفريق بين الصفات الذاتيه والصفات الفعليه المتعلقه بمشيئة الله وقدرته.

لذا يقول ابن سعدى رحمه الله : (أما أهل السنه والجماعه فانهم اثبتوا كل ما جاء به الكتاب والسنه من صفات الله واعترفوا بها لا فرق عندهم بين الصفات الذاتيه والصفات الفعليه المتعلقه بمشيئته وقدرته وكلها قائمه بالله ، والله موصوف بها ، وهو القول الذى دل عليه النقل والعقل)[٣]

وقسم رحمه الله صفات الافعال الى قسمين : قسم متعلق بذات الله والآخر متعلق بخلقه فقال :

(جميع صفات الافعال المتعلقه بذاته كالاستواء على العرش ونزوله الى سماء الدنيا على ماوردت به النصوص والمجيء والأتيان والقول ونحو ذلك والمتعلقه بخلقه كالاحياء والاماته والخلق وانواع التدبيرات كلها تصدر عن القدره والاراده)[٤]

وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض الصفات ، قد تكون ذاتيه باعتبار وفعليه باعتبار آخر.

---

(١) كذا قال ولم يورد تقسيما فالأولى أن يقال أما قول ..... الخ
(٢) الحق الواضح المبين / ٥٢ وتوضيح الكافيه الشافيه / ٣٠.
(٣) الحق الواضح المبين / ٥٣ ، وانظر توضيح الكافيه الشافيه / ١٣ والتفسير ١ / ٢٥٦.
(٤) الحق الواضح المبين / ١٤.

كصفة الكلام مثلا :

فانها بأعتبار أصلها صفه ذاتيه لأن الله لم يزل ولا يزال متكلما ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعليه لأن الكلام متعلق بمشيئة الله يتكلم بما شاء متى شاء .[١]

وفيما يلي سأذكر جملة من الصفات الذاتيه ، وجملة أخرى من الصفات الفعليه وأذكر كلام ابن سعدى عنها :

وقد نهج رحمه الله فى أثبات الصفات منهج السلف الصالح من فهم النصوص على مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم منها ، وهذا هو المنهج الحق والمسلك المستقيم .

أولا : ذكر جملة من الصفات الذاتيه وكلام الشيخ عنها :

أ - من الصفات الذاتيه الحياه ، قال ابن سعدى فى أثبات هذه الصفه (الحي الذى له جميع معانى الحياه الكامله من السمع والبصر والقدره وغيرها من الصفات الذاتيه)[٢] ، (والحي يتضمن جميع الصفات الذاتيه)[٣]

ب - ومنها السمع قال رحمه الله : (فالسميع الذى أحاط سمعه بجميع المسموعات ، فكل ما فى العالم العلوى والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات والقريب والبعيد والسر والعلانيه عنده سواء)[٤]

---

(١) انظر الحق الواضح المبين / ٢٣ .

(٢) التفسير ١ / ٣١٣ ، توضيح الكافيه الشافيه / ١٢١ ، وغيرهما .

(٣) الخلاصه / ١٣ . وانظر توضيح الكافيه الشافيه / ٤٦ .

(٤) الحق الواضح المبين / ١٩ ، وانظر التفسير ٥ / ٦٢٢ .

ج - ومنها البصير قال رحمه الله (البصير الذى يبصر كل شئ وان دق وصغر فيبصر دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع) [1]

وقال : (فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء وجميع أعضائها الباطنه والظاهرة وسريان القوت فى أعضائها الدقيقة ، ويرى سريان الماء فى أغصان الاشجار وعروقها وجميع النباتات على أختلاف أنواعها وصغرها ودقتها ، ويرى نياط عروق النمله والنحله والبعوضه وأصغر من ذلك) [2]

د - ومنها العلم قال رحمه الله : (فيعلم تعالى الامور المتقدمه والامور المتأخره ازلا وأبدا ويعلم جليل الامور وحقيرها وصغيرها وكبيرها ويعلم تعالى ظواهر الاشياء وبواطنها غيبها وشهادتها ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون ، ويعلم تعالى الواجبات والمستحيلات والجائزات ، ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى كما يعلم ما فوق السموات العلى ويعلم تعالى جزئيات الامور وخبايا الصدور وخفايا ما وقع ويقع فى أرجاء العالم وانحاء الملك فهو الذى احاط علمه بجميع الاشياء فى كل الأوقات ولا يعرض لعلمه خفاء ولا نسيان) [3]

هـ - ومنها القدرة قال رحمه الله (فالله كامل القدرة بقدرته أوجد الموجودات وبقدرته دبرها ، وبقدرته سواها واحكمها وبقدرته يحى ويميت ويبعث العباد للجزاء ويجازى المحسن باحسانه والمسئ

---

(١) التفسير ٥/ ٦٢٢.
(٢) الحق الواضح المبين / ٢٠.
(٣) المواهب الربانيه / ٦٣. والتفسير ٥/ ١٤٥ ، وتوضيح الكافيه الشافيه / ٢١.

باساحه اذا اراد شيئا قال له " كن فيكون " وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد)[1]

و - ومنها الاراده قال رحمه الله في بيان أعتقاد أهل السنه والجماعه في الاراده : (ويعتقدون أن له الاراده النافذه في جميع الموجودات ، وبها خصص ما شاء من المخلوقات بالصفات المتباينه والنعوت المتنوعه)[2]

ز - ومنها اليدان قال رحمه الله : (فله يدان حقيقة ،كما أن ذاته لا تشبهها الذوات ،فصفاته لا تشبهها الصفات)[3]

ح - ومنها الوجه قال رحمه الله (عند تفسيره لقوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)[4] قال : (فيه أثبات الوجه لله تعالى على الوجه اللائق به تعالى ،وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه)[5]

ط - ومنها القدم قال رحمه الله : عند قوله تعالى : (وتقول هل هل من مزيد)[6] ... (وقد وعدها الله ملأها كما قال تعالى : (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)[7] حتى يضع رب العزه عليها قدمه الكريمه المنزهه عن التشبيه فينزوى بعضها على بعض وتقول قط قط قد اكتفيت وأمتلأت)[8]

---

(١) التفسير ٥/ ٦٢٤ ، ٦٢٥ .
(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ٢١ .
(٣) الخلاصه / ١٠٧ .
(٤) سورة البقرة /آيه ١١٥ .
(٥) التفسير ١/ ١٢٩ .
(٦) سورة ق /آيه ٣٠ .
(٧) سورة هود / آيه ١١٩ .
(٨) التفسير ٧/ ١٥٥ .

ى - ومنها الساق قال رحمه الله : (اذا كان يوم القيامه وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم ، وأتى البارى لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمه التى لا يشبهها شئ ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه ....) (١)

ثانيا : ذكر جملة من الصفات الفعليه "الاختياريه" وكلام الشيخ عنها :

أ - من صفات الافعال القيوميه قال رحمه الله فى أثبات هذه الصفه : (القيوم تدخل فيه جميع صفات الافعال لأنه القيوم الذى قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته ، وقام بجميع الموجودات ، فأوجدها وأبقاها ، وامدها بجميع ما تحتاج اليه فى وجودها وبقائها) (٢) وهذا من الصفات التى تكون ذاتيه باعتبار وفعليه باعتبار فهو قائم بنفسه ومقيم لغيره .

ب - ومنها الرحمه قال رحمه الله : (الرحمن الرحيم اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمه الواسعه العظيمه التى وسعت كل شئ وعمت كل مخلوق) (٣)

ج - ومنها الرزق قال رحمه الله : (الرزاق لجميع عباده فما من دابة فى الارض الا وعلى الله رزقها ورزقه لعباده نوعان : رزق عام شمل البر والفاجر والاولين والآخرين وهو رزق الابدان .

---

(١) التفسير ٧ / ٤٥٢ .

(٢) التفسير ١ / ٣١٣ ، والخلاصه / ١٣ .

(٣) الخلاصه / ٩ ، والمواهب الربانيه / ٦٤ .

ورزق خاص وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والايمان ، والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم معه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته) [١]

د - ومنها الاتيان والنزول والاستواء قال ابن سعدي عند قوله تعالى : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ...) [٢]

قال : (وفي هذه الآيه دليل لمذهب أهل السنه والجماعه في اثبات الأفعال الاختياريه لله تعالى كالاستواء والنزول والاتيان لله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقين) [٣]

وقال عند قوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) [٤] : (هذه الآيه وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنه والجماعه المثبتين للصفات الاختياريه كالاستواء والنزول والمجيء ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل) [٥]

هـ - ومنها الرضى والغضب والسخط قال رحمه الله عند قوله تعالى : (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) [٦]

---

(١) التفسير ٥/٦٢٦، ٦٢٧ ، والحق الواضح المبين / ٤٥.
(٢) سورة الانعام / آيه ١٥٨.
(٣) التفسير ٢/٩٠٥.
(٤) سورة البقرة / آيه ٢١٠.
(٥) التفسير ١/٢٥٦. وانظر سؤال وجواب / ٧.
(٦) سورة التوبه / آيه ٩٦.

قال : (وفيها اثبات الرضا لله عن المحسنين والغضب والسخط على الفاسقين)[(١)]

ز - ومنها الصبر قال رحمه الله (الكمال المطلق التام من جميع الوجوه ثابت لله تعالى نقلا وعقلا في جميع الاسماء والصفات والنعوت ومن أنواع الكمال الصبر ...)[(٢)]

ح - منها الحياء قال رحمه الله (هذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم " ان الله يستحي من عبده اذا مد يداه اليه أن يردها صفرا "[(٣)] وهذا من رحمته وكرمه وكماله وحلمه أن العبد يجاهر بالمعاصي مع فقره الشديد اليه حتى أنه لا يمكنه أن يعصي الا أن يتقوى عليها بنعم ربه والرب مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحيي من هتكه وفضيحته واحلال العقوبة به)[(٤)]

ط - ومنها المعيه قال رحمه الله : (اخبار الله أنه مع عباده يرد في القرآن على أحد نوعين :

أحدهما : المعيه العامه كقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسه الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم)[(٥)] أي هو معهم بعلمه واحاطته .

الثاني : المعيه الخاصه وهي أكثر ورودا في القرآن وعلامتها

---

(١) التفسير ٣/ ٢٨٥.
(٢) الفتاوى السعديه / ٢٩ ،وانظر الحق الواضح المبين / ٣١.
(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٨ ، ٦٢/ ٣١٤ ،وابن ماجه ٢/ ١٢٧٠ ، والترمذى ٥/ ٥٥٦ وقال حديث حسن غريب . والحاكم ١/ ٤٩٧ وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .
(٤) الحق الواضح المبين ٢٩ ، ٣٠ .
(٥) سورة المجادلة / آية ٧ .

أن يقرنها الله بالاتصاف بالأوصاف التى يحبها والأعمال التى يرتضيها مثل قوله (واعلموا أن الله مع المتقين)[١] وقوله : (لا تحزن ان الله معنا)[٢] وقوله (لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى)[٣] وهذه المعيه تقتضى العنايه من الله والنصر والتأييد والتسديد بحسب قيام العبد بذلك الوصف الذى رتبت عليه المعيه)[٤]

هذا وبعد ذكر هذه الجملة من صفات الله الثبوتيه الذاتيه منها والفعليه ، يجد القارئ أن ابن سعدى رحمه الله قد سار فى أثبات الصفات فى جميع مؤلفاته ومن أهمها التفسير على منهج السلف الصالح ، وذلك باثبات جميع ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله من صفات الكمال من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وهذا هو المنهج الحق بخلاف غيره من المناهج الباطله كمذهب الجهميه والمعتزلة والأشاعره وغيرهم .

وكما أنه رحمه الله سار على هذا المنهج فى التأصيل والتقرير ، فانه كذلك سار عليه فى الرفض والرد ، وأعنى بذلك أنه رحمه الله دافع عن هذا المنهج على طريقة السلف من رفض كل ما يخالف هذه العقيده فى الاسماء والصفات .

فنتناول بالرد من ينكر الصفات أو ينكر بعضها أو يتأولها ، أو يشبهها

---

(١) سورة البقرة /آيه ١٩٤ .
(٢) سورة التوبه / آيه ٤٠ .
(٣) سورة طه /آيه ٤٦ .
(٤) الخلاصة / ١٧٤ والتفسير ٦١٧/٥ . والمواهب الربانيه / ١٤ ، ٥١

بصفات المخلوقين أو غير ذلك من أنواع الالحاد فى أسماء الله وصفاته وقد تقدم معنا فى القواعد التى قررها رحمه الله قاعدة القول فى الصفات كالقول فى الذات وقاعدة القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض وقاعدة الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والايمان به واجب وتقدم معنا شرحه لها وكيف يرد بها على المعطله والمؤوله وغيرهم ، وهى قواعد هامه تبين تهافت أقوالهم وتناقض آرائهم التى ليس عليها برهان من كتاب ولا سنه ولا عقل بل هى مخالفة لما تقرر فى الكتاب والسنه من أثبات الصفات ومخالفة للعقل السليم الذى لم ينحرف .

وكما قرر رحمه الله هذه القواعد العامه التى يرد بها على هؤلاء المؤوله فقد ناقشهم فى ما ينكرونه من الصفات ، وبين أنه ليس معهم حجة ولا برهان وذكر الادلة الداله على بطلان مذاهبهم.

فناقشهم فى صفة الاستواء والكلام والعلو ، والنزول والاتيان وغيرها من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنه .

ولكى نتعرف على منهجه فى الرد على هؤلاء أرى من المناسب أن أذكر مناقشاته معهم فى بعض الصفات وأكتفى بذكر صفتين فقط وهما :
صفة الكلام ، وصفة الاستواء ، ليكونا كنموذج لمناقشاته معهم فى بقية الصفات .

أولا : صفة الكلام أدلتها ، وردود ابن سعدى على من أنكرها :

إن هذه المسألة قد طال الكلام فيها وتنازع الناس فيها نزاعا كبيرا [1]

---

(١) شرح العقيدة الواسطيه للهراس / ٨٨ .

وكثرت أقوال المتكلمين فيها ، حتى أنه يقال انما سمي علم الكلام لكثرة التكلم في هذه الصفة.

وسيتركز حديثنا في هذه المسألة في ثلاث نقاط :

أولا : ذكر أقوال الناس في هذه المسألة .

ثانيا : بيان نصرة الشيخ لمذهب السلف وأدلته على ذلك .

ثالثا : ردوده على المخالفين .

أولا : ذكر أقوال الناس في هذه المسألة :

ان من المناسب أن أذكر أقوال الناس في هذه المسألة ، قبل بيان المذهب الحق ، وقبل الرد على مخالفيه ، وذلك ليكون عند القارئ تصورلها .

وتتلخص أقوال الناس في هذه الصفة في تسعة أقوال :

أحدها : أن كلام الله هو مايفيض على النفوس من معاني ، اما من العقل الفعال عند بعضهم ، أو من غيره وهذا قول الصابئه والمتفلسفه .

وثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه ، وهذا قول المعتزلة .

وثالثها : أنه معنى واحد قائم بذات الله ، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار وان عبر عنه بالعربيه كان قرآنا ، وان عبرعنه بالعبرانيه كان توراة ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري[1] وغيره .

ورابعها : أنه حروف وأصوات أزليه مجتمعة في الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث .

وخامسها : أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما

---

(١) تجدر الاشارة هنا الى أن أبا الحسن الأشعري قد رجع عن عقيدة الكلابية وألف رسائل على عقيدة السلف وان كان فيها بعض الشوائب العالقة أثر تركه لعقيدة المعتزلة و من ثم تركه لعقيدة الكلابيه .
ومن هذه المؤلفات التي سار فيها الأشعري على نهج السلف كتابه الابانه و كتابه رسالة الى أهل الثغر وكتابه مقالات الاسلاميين .
ولمزيد من الايضاح راجع رسالة أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس في الذب عن أبي الحسن الأشعري بتحقيق الدكتور علي ناصرفقيهي . ورسالة الشيخ حماد الأنصاري في أبي الحسن الأشعري ، طبع مؤسسة النور ١٣٨٢ هـ .

وهذا قول الكرامية وغيرهم .

وسادسها : أن كلامه يرجع الى مايحدثه من علمه وارادته القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتبر ، ويميل اليه الرازي في " المطالب العالية".

وسابعها : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول ابي منصور الماتريدي.

وثامنها : أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين مايخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه .

وتاسعها : أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن كلامه قديم النوع حادث الآحاد ، وأنه لا نهاية له لأنه لا نهاية للمتكلم به وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة .[1]

ثانيا : بيان نصرة الشيخ لمذهب السلف وأدلته على ذلك :

لا ريب أن المذهب الحق من هذه المذاهب ، هو مذهب أهل السنة والجماعة الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة ،[2] لذا فان ابن سعدى قد أيد هذا المذهب ونصره وبين أنه المذهب الحق وأطال في ذكر أدلته .

قال رحمه الله (القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود والله المتكلم به حقا لفظه ومعانيه ولم يزل ولا يزال متكلما

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية /١١٩ ، ١٢٠ ، ومختصر الصواعق لمحمد بن الموصلي /٤٢٣ ومابعدها .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ١٣٢/١٢ .

بما شاء اذا شاء وكلامه لا ينفذ ولا له منتهى)[١]

وبين رحمه الله أن هذا هو قول أهل السنه والجماعه فقال :

(ومن قول أهل السنه والجماعه قولهم في الكلام وان الله لم يزل ولا يزال له الكمال المطلق فكلامه القرآن هو المقروء بالالسنه المحفوظ في الصدور المسموع بالآذان ، وكلامه من جملة صفاته الفعليه فهو متصف به ، وهو متعلق بمشيئة وقدرته ، وليس مخلوقا لأن الكلام صفه المتكلم)[٢]

أدلة ابن سعدى على هذا المذهب :

تقدم معنا أنه رحمه الله أكثر من ذكر الادله على صحة هذا المذهب لهذا ساكتفي بذكر جمله منها :

١ - قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا)[٣] (وفي هذا اثبات صفة الكلام لله تعالى وانواعه من النداء والنجاء كما هو مذهب أهل السنه والجماعه خلافا لمن أنكر ذلك من الجهميه والمعتزله ومن نحا نحوهم)[٤]

٢ - ومن الادله قوله تعالى : (سلام قولا من رب رحيم)[٥] قال رحمه الله (ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنه وسلامه عليهم

---

(١) سؤال وجواب/٨ ، وانظر الفتاوى / ١٢ ، والخطب المنبريه / ٧٥ ، والحق الواضح المبين / ٢٣٠
(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٢٠
(٣) سورة مريم /آيه ٥٢٠
(٤) التفسير ٥/١١٧٠
(٥) سورة يس / آيه ٥٨٠

وأكده بقوله قولا)[1]

٣ - ومنها قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما)[2] قال رحمه الله : (أى مشافهة منه اليه بلا واسطه حتى أشتهر بهذا عند العالمين فيقال " موسى كليم الرحمن ".[3]

٤ - ومنها قوله تعالى : (وان أحد من المشركين أستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[4] قال رحمه الله : (وفى هذا حجة صريحه لمذهب أهل السنه والجماعه القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، لأنه تعالى هو المتكلم به وأضافه الى نفسه أضافه الصفة الى موصوفها)[5]

٥ - ومنها قوله تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)[6] وقوله : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)[7]

قال رحمه الله : (هذا من باب تقريب المعنى الى الأذهان لأن هذه الاشياء مخلوقه وصفاته غير مخلوقه ولا لها حد ولا منتهى ، فأى سعه وعظمه تصورتها القلوب فالله فوق ذلك وهكذا سائر صفات الله تعالى كعلمه وحكمته وقدرته ورحمته).[8]

---

(١) التفسير ٦/٣٥٤.
(٢) سورة النساء / آيه ١٦٤.
(٣) التفسير ٢/٢١٨.
(٤) سورة التوبه /آيه ٦.
(٥) التفسير ٣/٢٠١.
(٦) سورة الكهف / ١٠٩.
(٧) سورة لقمان /آيه ٢٧.
(٨) التفسير ٥/٨٦ ، وانظر التفسير ٦/١٦٨ ، ١٦٩.

٦ - ومنها قوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[(١)]
قال رحمه الله : (اشتملت على فوائد عديده الاولى والثانيه
أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله تعالى على خلقه وهذا
مأخوذ من قوله (نزلنا الذكر) فانه نزل به جبريل من الله العزيز
العليم فكونه نازلا من عند الله يدل على علو الله ، وكونه من عنده
يدل على أنه كلام الله فان الكلام صفه للمتكلم ونعت من نعوته)[(٢)]

٧ - ومنها قوله تعالى : (الله خالق كل شىء)[(٣)] قال رحمه الله
: (هذه العباره وما أشبهها مما هو كثير فى القرآن تدل على أن جميع
الاشياء غير الله واسمائه وصفاته مخلوقه .... وليس كلام الله من
الاشياء المخلوقه لأن الكلام صفة المتكلم والله تعالى بأسمائه
وصفاته أول ليس قبله شىء.

فأخذُ أهل الاعتزال من هذه الآيه ونحوها أن كلام الله
مخلوق من أعظم الجهل ،فانه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته ، ولم
يحدث صفه من صفاته ، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات)[(٤)]

٨ - ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى : (فيقول الله
تعالى : يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك
أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار)[(٥)]

---

(١) سورة الحجر/ آيه ٩.
(٢) المواهب الربانيه /٣٦.
(٣) سورة الزمر / آيه ٦٢.
(٤) التفسير ٦/ ٤٨٩.
(٥) أخرجه البخارى ٨/ ١٩٥.

قال رحمه الله : (ففي هذا الحديث أثبات القول من الله والنداء لآدم وأنه نداء والقول حقيقة بصوت ، وهذا من فضل الله لا يشكل على المؤمن فان النداء والقول من أنواع الكلام وكلام الله صفه من صفاته والصفه تتبع الموصوف)[1]

٩ - ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)[2]

قال رحمه الله : (وهذا ايضا أثبات لتكليمه لجميع العباد بلا واسطه)[3]

واكتفى بهذا القدر من الادله وهى فى الحقيقة كثيرة جدا ولا تحصر الا بكلفه .

ثالثا : ردوده على المخالفين :

واعنى بالمخالفين من خالف هذا المنهج الواضح الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنه ، كما تقدم وذكر هذه الجمله من الأدله على صحه هذا المذهب يعد ردا على غيره من المذاهب ، وذلك لأنه اذا تعين أن هذا المذهب هو الحق فان ما سواه يعد باطلا لا يلتفت اليه .

ومع ذلك فقد تناول السعدى رحمه الله الرد على هؤلاء ، ونقض شبههم وبين ضعفها وأنها ليس فيها حجه ، وأنها مخالفه لمراد الله

---

(١) التنبيهات اللطيفه /٢٦ .
(٢) أخرجه البخارى ٨/١٨٥ ، ومسلم ٢/٧٠٣ ، والترمذى ٤/٦١١ ، وفى المسند ٤٠/٢٥٦ .
(٣) التنبيهات اللطيفه .

ورسوله ، ومن وجوب أثبات هذه الصفه العظيمة لله عز وجل على الوجه اللائق به . كغيرها من صفاته عز وجل .

فناقش الفلاسفه الجهميه والمعتزله والأشاعره والكلابيه والكراميه وغيرها من الطوائف التي ضلت في هذه الصفه وبين أنهم كلهم عدلوا عن الصراط المستقيم والحدوا في هذه الصفه اذ لم يثبتوها لله عز وجل .

وقد تقدم معنا أقوال هذه الطوائف في هذه الصفه والآن سنتناول ردوده عليهم ، كل طائفه على حده باختصار.

ذكر قول الفلاسفه في صفة الكلام والرد عليه :

قال الشيخ ابن سعدى رحمه الله مبينا قول الفلاسفه ومن أيمن أخذوه : (فلما كان من أصولهم القول بقدم العالم وأن العقل الفعال هو المحدث لكل ما تحته وأن هذا العقل دائم الفيض على ما تحته على المحال المستعده بحسب قابليتها ،فيفيض الوجودات وأوصافها وأفعالها وأقولها وآثارها ،فيفسرون كلام الله على هذا الاصل الباطل فيقولون لما كان محمد قد أجتمعت فيه القوى الكامله من الزكاء والذكاء والقوه العطيه ،فاض عليه من هذا العقل ما يناسب حاله وهو الكلام الراقي فتلقاه وأتى به للعباد ألفاظا وخطابه ومواعظ خاليه من البراهين لم تصرح به بل رمزت اليه وأشارت من بعيد)(1)

ومقصود قولهم أن القرآن ليس كلام الله وانما هو معاني تخيلها

(1) توضيح الكافيه الشافيه / ٣٣، ٣٤ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ونظمها في عبارات من عنده ، وهذا قول باطل لا مريه في بطلانه وهو ناتج أولا وقبل كل شيء عن عدم ايمانهم بالله عز وجل .

لذا يقول ابن سعدى رحمه الله في بيان بطلان هذا المذهب : (ومن تصور أقوالهم جزم بأنهم لا يؤمنون بالله ولا يثبتون وجوده ولا يثبتون الرساله ولا المعاد الأخروى ، وعلم أن ما قالوه مع مخالفته لجميع ما جاءت به الرسل فانه مخالف لما دلت عليه العقول الصحيحه ،وأن ما أدعوه من العقليات هو في الحقيقه جهليات وخيالات . وبسط الكلام على مذهبهم يستدعي أكثر من ذلك ، وانما راج مذهبهم على كثير من الناس لما فيه من التمويهات والتلبيس والنفاق ويصادف مع هذا قلة بصيرة والله المستعان)(١)

ولا شك أن قول هؤلاء الفلاسفه ساقط ومخالف لما جاءت به الرسل ومخالف للعقول السليمه كما أوضح ذلك ابن سعدى رحمه الله الا أنه مع ذلك فانه يوجد من أبناء المسلمين من أغتر بهذا القول وأخذ به مصار يدعوا اليه .

ومن هؤلاء الذى أغتروا بهذا المعتقد الفاسد القصيمى صاحب الأغلال الذى تقدمت ردود ابن سعدى عليه في مسألة أنكار وجود البارى عز وجل ،فهو في هذه المسأله أيضا أخذ بقول الفلاسفه واعتقده كما أنه أخذ بجميع ما يدعون اليه .

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٣٢٠ .

وفي رد ابن سعدى على كتاب القصيمي " هذى هي الأغلال " تناول هذه المسألة وبين ضلاله فيها وبين قصده من وراء ذلك هو افساد الدين والدعايه الى نبذه ومحاربته بكل طريقه .(١)

ومن أقوال القصيمي الباطله في هذه المسأله والتي تناولها ابن سعدى بالرد قوله في بيان مأخذ الرسول صلى الله عليه لنصوص الوحي من أي طريق ؟ أنه (كان يعبد الطبيعه وأخذت قلبه وقالبه ولبه وكان يناجي الليل والنهار والضياء والظلمه والنسيم ونحوها مما يشاهد ، وافتتح رسالته بمناجاة الطبيعه والخلوه بها في غار حراء ، وختم رسالته وحياته بشده النزع اليها وقت السياق حيث كان يقول في الرفيق الأعلى)(٢)

فهو يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن من عند نفسه ، وهذا القول كفر ليس وراءه كفر ، لأنه انكر بذلك الوحي والرساله.

لذا يقول ابن سعدى : (فهو بهذا التحليل انكر الوحي والرساله ورمى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه طبيعي لا يعرف الله ولا يعرف الوحي فلم ينزل عليه جبريل من عند الله ولا كان يناجي الله ولا يعبده ، ولا كان عند السياق الا مشتاقا الى الطبيعه فقط لأنه لا يعرف الله ويريده ، ولا يحبه ولا يطلبه(٣) ، وظهر بهذا غرض القصيمي الوحيد ، وهو الدعايه الى نبذ الدين ومحاربته)(٤)

---

(١) انظر تنزيه الدين / ١٩ ، ٢٠ .
(٢) هذى الاغلال للقصيمي / ٥٦ ، ١٥٧ .
(٣) هذه المسأله قد أستوفى ابن تيميه الرد فيها على أسلاف القصيمي من الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم في أكثر كتبه ولا سيما كتابه النبوات انظر ص ٢٤٨ وما بعدها من كتاب النبوات فقد ذكر أقوال المتكلمين ورد عليها .
(٤) تنزيه الدين / ١٨ ، ١٩ بتصرف يسير.

وهذا من قلة بصيرة هذا الشخص بدين الله لأن هذا الكلام لا يقوله عاقل مؤمن بالله مصدق برسوله صلى الله عليه وسلم .

والمقصود أن قول الفلاسفه المتقدم ذكره والذى أيده هذا القصيمى ، لا يلتفت اليه لمخالفته جميع ما جاءت به الرسل ولمخالفته للعقول السليمه .

قول الجهميه والمعتزله ورد ابن سعدى عليه :

تقدم أن قول الجهميه والمعتزله فى صفة الكلام ، هو أنهم يرون أن الكلام ليس صفه لله عز وجل ، وانما هو مخلوق من مخلوقاته خلقه كما خلق السموات والارض خارجاً عن ذات الله لا يقوم بذاته كلام ولا قول ، قال ابن سعدى رحمه الله فى بيان بطلان هذا القول وأنه أمر مستنكر عند الناس غير مستساغ : (فلما قال الناس لهم هذا أمر معلوم بطلانه فان الكلام صفة للمتكلم ، والله قد أضافه الى نفسه اضافه الصفه الى موصوفها فزعموا أن اضافته اليه اضافة تشريف كاضافة ناقة الله وعبد الله .

فأجابهم الناس بما هو معروف ومتقرر عند كل أحد مع دلالة الكتاب والسنه اليه ، فقالوا أن الاضافه نوعان :

أحدهما : ما يضيفه الله الى نفسه من الأعيان كبيت الله وناقة الله ونحوهما ، فهذه الاضافه لبعض مخلوقاته تفيد تشريفه وتكريمه بما امتاز به ذلك المضاف من الاوصاف الفاضله .

والثانى : اضافة معانى وأوصاف تقوم بغيرها كعلم الله وقدرته وارادته وكلامه فهذه الاضافه من باب اضافة الاوصاف الى موصوفها

تقتضي قيامها به واتصافه بها .

ومن خالف هذا الفرق فهو منكر للمحسوسات)[١]

ويستدل الجهميه والمعتزله لقولهم هذا بقوله تعالى (والله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)[٢]

فهم يجعلون لذلك مقدمه وهي أن القرآن شيء وكل شيء مخلوق اذا فالقرآن مخلوق . وهذا كلام باطل لأن الآيه لم تدل على ذلك ، وانما دلت على أن كل شيء غير أسماء الله وصفاته مخلوق ، لذا يقول ابن سعدي رحمه الله : (وليس كلام الله من الاشياء المخلوقه لأن الكلام صفة المتكلم والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء)[٣]

ثم بين أنه لا دلاله في هذه الآيه لما ذهب اليه المعتزلة فقال :

(فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآيه ونحوها أن كلام الله مخلوق من أعظم الجهل ، فانه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته ولم يحدث صفه من صفاته ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات)[٤]

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٥ ، وانظر القاعدة السابعة من قواعد الاسماء والصفات المتقدمه .

(٢) سورة الرعد / آيه ١٦ .

(٣) التفسير ٦ / ٤٨٩ .

(٤) نفس المرجع والصفحه .

قول الكلابيه والاشعريه ورد ابن سعدى عليه :

وهم القائلون (بأن القرآن نوعان ألفاظ ومعان ، فالالفاظ مخلوقه وهي هذه الالفاظ الموجوده والمعاني قديمه قائمه في النفس وهي معنى واحد لا تبعض فيه ولا تعدد ، ان عبر عنه بالعربيه كان قرآنا وان عبر عنه العبرانيه كان توراه ، أو بالسرانيه كان أنجيلا)[1]

ولا شك أن هذا القول معلوم البطلان ، ولا دلاله عليه من كتاب أو سنه ولا مستند من لغه العرب .

قال ابن سعدى رحمه الله في معرض رده على هذا القول : (وهذا القول تصوره كاف بمعرفة بطلانه وليس لهم دليل ولا شبهة على هذا القول الذى لم يقله أحد غيرهم)[2]

أما عن أستشهادهم على هذا القول بقول الشاعر ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا .

فأجاب عنه بقوله : (هذا البيت معروف معناه ، وأن الكلام يخرج من القلب ويعبر عنه اللسان ،وأما الكلام الذى في اللسان فقط فهذا يشبه كلام النائم والهاذى ونحوهما .

وهب أنه دل على القول الذى قالوه فكيف يتركون لأجله أدلة الكتاب والسنه والذى يعقله العقلاء بعقولهم أن الكلام صفه للمتكلم ، وأنـــه

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٣ .

(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٣ .

الكلام المسموع منه ، وأن ما في النفس لا يسمى كلاما بوجه من الوجوه)[١]

ثم أنه من المعلوم أن هذا البيت للأخطل النصراني فكيف يجوز أن يترك الكتاب والسنه لأقوال النصارى مع العلم بكثرة أخطائهم في العقيده والفروع .

لذا يقول ابن سعدى : (وأيضا فان غلطهم في الاصول والفروع معروف)[٢] ومقصوده أنه كيف يؤخذ بقولهم وهذه حالهم .

وقول الكلابيه والاشعريه قريب من قول المعتزلة ، لأن مؤداه ومعناه أن القرآن مخلوق . كما أعترف بذلك بعضهم قال ابن سعدى رحمه الله : (وهذا القول كما قال من أعترف منهم أنه لا فرق بينه وبين قول المعتزله الا في اللفظ)[٣]

والمقصود أن هذا القول ظاهر البطلان من أوجه متعدده قال رحمه الله : (وقد رد شيخ الاسلام ابن تيميه هذا القول وبين بطلانه في رسالته التسعينيه فبين من تسعين وجها كل واحد منها يدل على بطلانه أدلة نقليه وأدلة عقليه)[٤]

قول الاقترانيه ورد أبن سعدى عليهم :

الاقترانيه هم القائلون بأن كلام الله حروف وأصوات ازليه مجتمعه في الازل .

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحه .

(٣) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٤ .

(٤) نفس المرجع والصفحه .

وأما عن سبب تسميتهم بذلك يقول ابن سعدى رحمه الله (لما قيل لهم هذا مخالف للمحسوس المعلوم بالبديهه أن حروف الكلام طبعا لا بد أن يسبق بعضها بعضا ، قالوا انما ترتيبها بالنسبه الى سمع الانسان ، والا فهى ما زالت مقترنه)[١]

وقال فى رده عليهم : (ولا شك أن هذا القول الى التخليط والهذيان أقرب منه الى التحقيق والبرهان)[٢]

وقال : (وهو مخالف لأصل الأئمه وموافق لبعض قول الكلابية)[٣]
وقد تقدم رده على الكلابيه .

وبعد ذكر هذه الجمله من ردود ابن سعدى رحمه الله على المخالفين لمذهب السلف الصالح فى صفة الكلام أنتقل الى الصفه الأخرى وهى صفة الاستواء لنرى كيفية مناقشة ابن سعدى للمخالفين فى هذه الصفة.

---

(١) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٤ .

(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٤ .

(٣) توضيح الكافيه الشافيه / ٢٥ .

ثانيا : صفة الاستواء وأدلتها ودحض ابن سعدى شبه من أنكرها :

الاستواء من الصفات الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، واتفاق سلف الأمة ، وهو من الصفات التي تدل على عظمة الله وعلوه على عباده وأنه القاهر فوقهم ، وأنه سبحانه بذاته وأسمائه وصفاته وأن له العلو المطلق من جميع الوجوه .

وكلامي عن هذه الصفة سيكون مقتصرا على مايلي :

أولا : ذكر معاني الاستواء الواردة في القرآن مع بيان السعدى لها .

ثانيا : اثبات الشيخ للاستواء على طريقة السلف وأدلته على ذلك .

ثالثا : دحض شبه من انكر هذه الصفة .

أولا : ذكر معاني الاستواء الواردة في القرآن :

ذكر ابن سعدى في مؤلفاته أن لفظة استوى ترد في القرآن الكريم على ثلاثة أحوال :

فتارة تكون متعدية بنفسها ، وتارة تكون متعدية بـ "على" وتارة تكون متعدية بـ "الى" . وذكر ايضا أن لها في كل موضع من هذه المواضع معنى خاص : فان كانت متعديه بنفسها فمعناها التمام والكمال ، وان كانت متعدية بـ "على" فمعناها العلو والارتفاع وان كانت متعدية بـ "الى" فمعناها القصد ، ومن ذلك قوله رحمه الله :

(استوى ترد في القرآن على ثلاثة معان :

فتارة لا تعدى بالحرف فيكون معناها الكمال والتمام كما في قوله عن موسى :
(ولما بلغ أشده واستوى) [1] ، وتارة تكون بمعنى "علا" و "ارتفع" وذلك
اذا عديت بـ "على" كقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [2]
وقوله : (لتستووا على ظهوره) [3] .

وتارة تكون بمعنى قصد [4] كما اذا عديت بـ "الى" كما في قوله تعالى
: (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) [5] أى لما خلق تعالى الأرض
قصد الى خلق السماء واتخسواهن سبع سموات فخلقها واحكمها واتقنها وهو
بكل شيء عليم) [6] .

ثانيا : اثبات الشيخ للاستواء على طريقة السلف وأدلته على ذلك :

قال رحمه الله في بيان عقيدة السلف الصالح في هذه الصفة العظيمة :
(.. ويقرون ويعتقدون بجميع ماثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله
وصفاته وأفعاله ، ويقولون أنه على خلقه مستو على عرشه ..) [7]

وقال (نعرف ربنا بأنه على بكل معنى واعتبار علو الذات وعلو القدر وعلو
القهر ، وأنه بائن من خلقه مستو على عرشه كما وصف لنا نفسه بذلك ،
والاستواء معلوم والكيف مجهول ، فقد اخبرنا أنه استوى ولم يخبرنا عن الكيفية
، وكذلك نقول في جميع صفات البارى أنه أخبرنابها ولم يخبرنا عن
كيفيتها فعلينا أن نؤمن بكل ما أخبرنا في كتابه وعلى لسان

---

(١) سورة القصص / آية ١٤ .
(٢) سورة طه / آية ٥ وغيرها .
(٣) سورة الزخرف / آية ١٣ .
(٤) تنبيه : الصواب ان استوى وان عديت بـ "الى" فهي بمعنى على وارتفع ، كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وقد نقلا عن جمع من السلف هذا التفسير ، كما حكى ابن القيم اجماع السلف على ذلك . انظر الفتاوى ٥/٥١٨ ومابعدها . ومختصر الصواعق المرسلة / ٣٢٠ .
(٥) سورة البقرة / آية ٢٩
(٦) التفسير ١/٦٩ ، وانظره / ٦١٨ ، ٦١٩ والخلاصة / ١٧٤ .
(٧) توضيح الكافية الشافية / ٢٠ .

رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تزيد على ذلك ولا ننقص منه)[1]

وقال رحمه الله (وأما استواؤه على العرش العظيم فيستفاد من النقل الكتاب والسنة)[2]

أدلته على أثبات هذه الصفه :

لقد ورد في القرآن والسنه ادلة كثيرة تبين أن الله سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه ،وهي كثيرة جدا .

وقد أشار ابن سعدى رحمه الله في توضيحه للكافيه الشافيه الى كثرة الادله في ذلك وتنوعها فقال :

(ذكر المصنف - يعني ابن القيم - واحداً وعشرين نوعاً من الأدلة على هذه المسأله العظيمه كل نوع منها تحته من الافراد ما لا يعد ولا يحصى)[3]

ثم أخذ رحمه الله يعدد هذه الانواع من الادله ، ومن اجل عدم الاطاله سأختصر جملة هذه الأدله فيما يلي :

١ - اخبر الله سبحانه بأنه مستو على عرشه في سبعة مواضع من القرآن وكلها جاءت بلفظ على العرش ، وعلى تدل على العلو والارتفاع .

٢ - تكرر في الكتاب وصف الله العلي الاعلى ، وهذا يدل على علوه من جميع الوجوه .

---

(١) سؤال وجواب / ٥٧ .

(٢) الحق الواضح المبين / ٥١٣ .

(٣) توضيح الكافيه الشافيه / ٥٤٥ .

٣ - ورد في القرآن التصريح بالفوقيه مثل قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم)[1] ، والفوقيه وصف ثابت لله ، دال على علوه .

٤ - اخبار الله أن القرآن نزل منه ، ومن المعلوم أن النزول لا يكون الا من علو .

٥ - ورد في القرآن أن بعض المخلوقات والأعمال تصعد اليه وهذا تصريح بعلوه .

٦ - اخبار الله انه في السماء كقوله : (أأمنتم من في السماء)[2] ومعناه عند جميع المفسرين أنه في العلو .

٧ - اجماع الكتب السماويه والرسل عليهم الصلاة والسلام على التصريح بعلو الله على خلقه وفوقيته .

٨ - اجماع أهل السنه والجماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أئمة المسلمين المعتبرين ، على ذلك .[3]

هذه جملة من الأدلة التي ذكرها الشيخ ابن سعدى رحمه الله على علو الله تعالى على جميع خلقه ، ثم أحال رحمه الله من أراد الاستزاده من هذه الأدلة الى كتاب ابن القيم " اجتماع الجيوش الاسلامية " .[4]

وكان الشيخ ابن سعدى في تفسيره للقرآن اذا مر على الآيات الدالة

---

(١) سورة النحل / الآيه ٥٠ .

(٢) سورة الملك / الآيه ١٦ .

(٣) انظر توضيح الكافية الشافية / ٤٥ وما بعدها .

(٤) انظر هذه الأدلة في ص ٤٩ وما بعدها من كتاب " الجيوش الاسلامية " لابن القيم .

على استواء الله على عرشه ينبه عليها و يشير إلى دلالته على علو الله على جميع خلقه .

و من ذلك قوله رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : (ثم استوى على العرش)[1] : " استواء يليق بجلاله فوق جميع خلقه "[2] .

ثالثا : دحضه لشبه المنكرين :

سأورد هنا بعض الشبه التي يطرحها من ينكر هذه الصفة من الجهمية وغيرهم ، ثم اذكر أجوبة الشيخ عن هذه الشبه .

الشبهه الأولى : " قولهم ان للاستواء عدة معان "

فاذا قال الجهمي لأتباعه : ان قال لكم المجسم (الرحمن على العرش استوى)[3] . فقولوا له هذه لفظه فان العرش له عدة محامل فأى المعاني تريد وعلى أيضا تأتي في العربيه لعدة معاني .

وقد أجاب ابن سعدى على هذه الشبهه فقال :

: " اذا سمع الجاهل هذا التلبيس و التمويه استعظم ذلك ورآه اشكالا يعسر الانحلال عنه ، وأما المتبصر الذى نور الله قلبه فانه يعرف أن هذا ليس محل اشكال ولا لبس بل هو من أوضح الأشيا' وأبينها .

فان الألف واللام في العرش للعهد الذى يفهمه كل مسلم أنه عرش الرب العظيم لا غيره من عروش الكرم ونحوها ، ولو قيل له يحتمل واحدا غير هذا

---

(١) سورة الحديد / الآيه ٤ .

(٢) التفسير ٧ / ٢٨٣ ، وانظر في ذلك التفسير ٣ / ٣٨ ، ٥ / ٤٨٩ ، ٦ / ١٧٧ ، ٥ / ١٤٤ وغيرها .

(٣) سورة طـه / ٥ وغيرها .

لبادر لانكاره .

هذا مع اتفاق جميع الرسل وشهاداتهم أنه استوى على العرش العظيم فكل مؤمن يفهم المعنى من قوله (الرحمن على العرش استوى)[١] .

وكذلك لفظ الاستواء المعدى بعلى فانه واضح جدا دال على العلو والظهور فان الاستواء حيث عدى بعلي فانه يدل على العلو والظهور ، واما اذا عدى بالى نحو (استوى الى السماء)[٢] فانه يدل على القصد[٣] ، واذا قيل استوى كذا وكذا دل على معنيه الأول للثاني كقوله (ولما بلغ أشده واستوى)[٤] فهذه المعاني المتباينه بحسب تعديته كما ذكرنا .

فعلم علما يقينا أن قوله (الرحمن على العرش استوى) لا اشكال فيه ولا اجمال خصوصا وقد طرد اتيانه بهذا السياق في جميع موارده ومصادره ولم يأت هذا المعنى بلفظ فيه اجمال ، فلو كان المراد ما قصده الجهمي لأتى به ولو في موضع واحد ليستبين المراد)[٥]

الشبهه الثانية : " قولهم ان اثبات الاستواء يقتضي التجسيم " .

فالأشاعره وغيرهم من الذين يثبتون بعض الصفات وينكرون البعض الآخر ، يقولون ان اثبات الاستواء وغيره من الصفات الاختياريه يقتضي التجسيم .

وأجاب ابن سعدى عن هذه الشبهه ، بأن جميع الصفات وردت في الكتاب والسنه فكيف جاز لكم تأويل بعضها وترك البعض ، فان قالوا بأن ما يقتضي التجسيم تأولناه لأن الجسم من خصائص المحدثات المخلوقه فهذا

---

(١) سورة طه / الآيه ٥ وغيرها .
(٢) سورة البقرة / الآيه ٢٩ .
(٣) تقدم معنا ص ٢٠٩ أن هذا القول مخالف لأقوال السلف ، وان استوى ... وان عديت بـ " الى " فمعناها علا وارتفع ، فليراجع .
(٤) سورة القصص / الآية ١٤ .
(٥) توضيح الكافية الشافيه / ٥٧ ، ٥٨

الذى تأولناه مانعقل منه الا التجسيم فتعين تأويله .

يقال لهم بأن تفريقكم بين الأمرين تفريق بين متماثلين ، إذ أنكم إذا تأولتم صفة و قعتم في مثل مافررتم منه ، فأثبتوا جميع الصفات فالباب واحد ، والا فبينوا فرقا بين مانفيتم وبين ماأثبتم ، ومن المعلوم أنهم لا يهتدون الى فرق بين الصفات باثبات بعضها ونفي بعضها فالواجب اذا هو اتباع السلف الصالح وذلك باثبات ماأثبته الله لنفسه وماأثبته له رسوله من صفات الكمال .(١)

الشبهه الثالثة : " قولهم استوى بمعنى استولى "

وهذا قول الجهميه وغيرهم فهم يقولون ان المراد بقوله تعالى (ثم استوى على العرش) أى استولى على العرش.

واستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف أو دم مهراق .

وأجاب ابن سعدى عن هذه الشبهه بأن الله أخبر أنه مستو على العرش في سبعة مواضع من القرآن وكلها جاءت بلفظ (على العرش) وعلى تدل على العلو والارتفاع ، وهذا نص لا يقبل الاحتمال ولا الاشتباه في معناه. ولو كان استوى بمعنى استولى كما يقول الجهميه وأتباعهم لأتت اللام في موضع واحد أو أكثر لأجل أن يحمل الباقي عليها فلما لم ترد في موضع واحد بذلك كانت نصا صريحا في العلو والفوقيه .

لأن العرب جرت عادتهم في كلامهم الفصيح أن يضمروا بعض القيود

---

(١) انظر توضيح الكافيه الشافيه / ٦١ .

في بعض كلامهم ويذكروه في كلام ولفظ آخر فيحمل مطلق الكلام على مقيده، وأما هذا الموضع فالحمل متعذر.

وهم بعملهم هذا مشابهين لليهود لأن اليهود لما قيل لهم (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة).

دخلوا على آستاتهم وقالوا حبة في حنطة تهكما وجرأة على الله فاليهود زادوا النون في قولهم حنطة بدل حطة والجهمية زادوا اللام في قولهم استولى بدل استوى.

وهذا قول باطل قد بين الأئمة بطلانه من وجوة كثيرة.[(١)]

هذا آخر ما رأيت ايراده في هذا البحث المتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، ويمكن أن نصل الى خلاصة لما تقدم، وهي: أن الواجب على كل مسلم أن يكون منهجه في توحيد الأسماء والصفات منهج السلف الصالح.

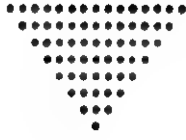
وذلك باثبات جميع ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال، وان ينفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النقص من غير تكييف ولا تمثيل ومن غيره تحريف ولا تعطيل.

هذا وليعلم أن الانسان لو أتى بهذا التوحيد وسابقه توحيد الربوبية على الوجه المطلوب، ولم يأت مع ذلك بتوحيد الألوهية، فان توحيده هذا لا ينفعه.

---

(١) انظر توضيح الكافية / ٥٤، و ٥٦.

لأنه لازم على من أقر بربوبية الله وأقر بأسمائه وصفاته أن يوحده بجميع أنواع العباده ، فكما أن الله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته ، فالواجب أن يوحد ويفرد بجميع أنواع العباده ، وهذا هو موضوع المبحث التالي .



المبحث الثالث

توحيد الألوهية

المبحث الثالث

توحيد الألوهية

تقدم معنا في المبحثين الماضيين الاشارة الى أهمية هذا المبحث ، وتقدم أيضا أن الإتيان بتوحيدى الربوبيه والأسماء والصفات لا يكفي ولا ينجي بل لابد من الاتيان مع ذلك بتوحيد الألوهية .

وذلك لأن هذا النوع من التوحيد يعد أهم المطالب على الاطلاق ، اذ من أجل تحقيقه خلق الله الخلق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، كما سيأتي بيان ذلك .

وهذا ما جعل علماء الاسلام من السلف الصالح الذين هم ورثة الأنبياء ، يهتمون بهذا النوع اهتماما كبيرا ، فبينوه وحذروا من الوقوع في ضده وأكثروا في ذلك التأليف والكتابة .

وقد اعتنى الشيخ ابن سعدى في مؤلفاته بهذا النوع من التوحيد عناية بالغة وأولاه اهتماما كبيرا ، فلقد لمست من خلال قراءاتي لكتبه اهتمامه البالغ به ، فهو في أكثر مؤلفاته يتحدث عن هذا التوحيد ، ويحذر من الوقوع في مخالفته ، ويبدى ويعيد في ذلك بعبارات متنوعة وأساليب مختلفة .

ولا ريب أن هذا النوع من التوحيد جدير بالعنايه والاهتمام ، بل هو أهم الأمور التى يجب العنايه والاهتمام بها .

ولهذا فقد أشار رحمه الله في مواطن متعددة من مؤلفاته الى أهميته ،

وأنه الغايه من خلق الانس والجن ، وأن الايمان به يوصل الى كل خير وصلاح .

قال : (وهذا الأصل أعظم الأصول على الاطلاق وأكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصلاح الانسانيه ، وهو الذى خلق الله الجن والانس لأجله وخلق المخلوقات. وشرع الشرائع لقيامه وبوجوده يكون الصلاح وبفقده يكون الشر والفساد ، وجميع الآيات القرآنيه اما أمر به أوبحق من حقوقه أونهي عن ضده ، أواقامة حجة عليه ، أوبيان جزاء أهله في الدنيا والآخره ، أوبيان الفرق بينهم وبين المشركين .

ويقال له توحيد الالوهيه ، فان الألوهيه وصفه تعالى الذى ينبغي أن يؤمن به كل بني آدم ، ويوقنوا أنه الوصف الملازم له سبحانه ، الدال عليها الاسم العظيم وهو الله ، وهو مستلزم جميع صفات الكمال .

ويقال له : توحيد العباده باعتبار وجوب ملازمة وصف العبوديه بكل معانيها للعبد بصفته الملازمه له من مقتضيات العبوديه للربوبيه باخلاص العبادة لله تعالى، وتحقيقها في العبد أن يكون عارفا بربه مخلصا له جميع عباداته محققا ذلك بترك الشرك صغيره وكبيره .

وباتباع النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ، والبراءه من كل بدعة وضلاله ، والحب في الله والبغض في الله)[1] ثم قال :-

(وهذا الأصل الذى هو أكبر الأصول وأعظمها قد قرره شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في رسائل لا تحصى وبالأخص في كتاب التوحيد ،

---

(١) القواعد الحسان /١٩٢ ، ١٩٣ .

وذكر من تقريره وتفاصيله وتحقيقه ونفي كل مايضاده مالم يوجد في كتاب غيره)[1] .

وقال في موضع آخر : (وهذان الأمران وهما معرفة الله وعبادته هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما ، وهي الغاية المقصودة منه تعالى لعباده ، وهما الموصلان الى كل خير وفلاح وصلاح وسعادة دنيويه وأخرويه ، وهما أشرف عطايا الكريم لعباده وهما أشرف اللذات على الاطلاق وهما اللذان ان فاتا فات كل خير وحضر كل شر)[2] .

وبين رحمه الله أن الأعمال جميعها متوقفه في قبولها على توفره فقال : (ولا يكون العمل صالحا الا اذا كان مع العبد أصل التوحيد والايمان المخرج عن الكفر والشرك الذى هو شرط لكل عمل صالح)[3] .

وبين أيضا ان هذا النوع هو خلاصة دعوة الرسل ، وانهم انما قاتلوا أقوامهم من أجل تحقيقه .

فقال : (وهذا النوع زبده رسالة الله لرسله ، فكل نبي يبعثه الله يدعو قومه ، يقول : (اعبدوا الله مالكم من اله غيره)[4] ، (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[5] وهو الذى خلق الله الخلق لأجله ، وشرع الجهاد لأقامته ، وجعل الثواب الدنيوى

---

(١) القواعد الحسان / ١٩٣ .

(٢) التفسير ١/ ٥٤١ ، وانظر ٧/ ١٨١ .

(٣) التفسير ٣/ ٢٩١ .

(٤) سورة الأعراف / ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ وغيرها .

(٥) سورة النحل / الآيه ٣٦ .

والأخروي لمن قام به وحققه والعقاب لمن تركه .

وبه يحصل الفرق بين أهل السعادة القائمين به ، وأهل الشقاوة التاركين له)[١] .

وقال رحمه الله : (فجميع الكتب السماويه وجميع الرسل دعوا الى هذا التوحيد ، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد ، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا القرآن الكريم فانه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير ، وبينه أعظم بيان ، وأخبر أنه لا نجاه ولا فلاح ولا سعاده الا بهذا التوحيد ، وان جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسيه أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه .

فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد ، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها ، وأساس الأعمال)[٢] .

وقال رحمه الله (وبالجملة : فكل خير عاجل وآجل ، فانه من ثمرات التوحيد وكل شر عاجل وآجل فانه من ثمرات الشرك)[٣] .

وكما أنه رحمه الله بين هذا التوحيد هذا البيان ونبه عليه هذا التنبيه ، فقد حث على تعلمه ومعرفته والعمل به والحذر من مخالفته .

فقال : (فعلى العبد أن يبذل جهده في معرفته وتحقيقه والتحقق به ويعرف حده وتفسيره ، ويعرف حكمه ومرتبته ، ويعرف آثاره ومقتضياته وشواهده وأدلته ومايقويه وينميه ، وماينقضه ، وشروطه ومكملاته ،

---

(١) الحق الواضح المبين/٥٦ .

(٢) القول السديد / ١٨ .

(٣) القواعد الحسان /١٨ .

ويعرف نواقضه ومفسداته لأنه الأصل الأصيل الذى لا تصح الأصول الا بـه فكيف بالفروع)[1] .

تعريف ابن سعدى لهذا التوحيد :

عرف ابن سعدى توحيد الألوهيه بتعريف جامع ، ذكر فيه حد هذا التوحيد وتفسيره وأركانه فقال :

(فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجوده بأحد من المخلوقات ولا يستحقها الا الله تعالى .
فاذا عرف ذلك واعترف به حقا أفرده بالعباده كلها الظاهرة والباطنة فيقوم بشرائع الاسلام الظاهره كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه ، ويقوم بأصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ويقوم بحقائق الاحسان وروح الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضله مخلصا ذلك كله لله ، لا يقصد به غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه ، متابعا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعقيدته مادل عليه الكتاب والسنة وأعماله وأفعاله ماشرعه الله ورسوله وأخلاقه وآدابه الاقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكل أحواله ولهذا فان كمال هذا التوحيد وقوامه بثلاثة أشياء :

- (توحيد الاخلاص لله وحده) فلايكون للعبد مراد غير مراد واحد وهو العمل لله وحده .

---

(١) الحق الواضح المبين /٥٧ .

- (وتوحيد الصدق) وهو توحيد ارادة العبد في ارادته وقوة انباتـــه لربه وكمال عبوديته .

- (وتوحيد الطريق) وهو المتابعة .

... فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح ولا ينقص من كمال العبد الا بنقص واحد من هذه الأشياء)(١) .

<u>أدلة هذا النوع من التوحيد</u> :

تقدم معنا أن هذا التوحيد هو المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل ، فلذا كانت الأدلة عليه في الكتاب والسنة كثيرة ، لأنه كلما كان الأمر مهما كلما كثر ايضاحه وبيانه والحث على العمل بـــه .

ولقد تضافرت الأدله في الكتاب والسنه على وجوب افراد الله بالعبادة بجميع أنواعها ، وتنوعــت فتارة تأتي النصوص لبيان أن هذا الأمر هـــو المقصود من خلق الانس والجن وتارة تأتي لبيـــان أنه المقصود من ارســال الرسل وانزال الكتب ، وتارة تأتي للأمر به ، والحث عليه ، والتحذير مـــن مخالفته ، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به وعقاب من تركه ، وعلى هـــذا فان النصوص الواردة في الكتاب والسنه جميعـها لا تخلو من ذكر هذا النـوع أو الاشارة اليه .

وسأورد الآن جملــة من الآيات القرآنية الدالة على ذلك . ثم أذكر كلام ابن سعدى عنها اجمالا .

---

(١) الحق الواضح المبين / ٥٨ ، وانظر الفتاوى السعديه / ٨ ، ٩ ، والقول السديد / ١٦ ، ١٧ .

قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) [١] .

وقال : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) [٢] .

وقال : (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) [٣] .

وقال : (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) [٤] .

وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) [٥] .

وقال : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [٦] .

وقال (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ...) [٧] .

قال ابن سعدى رحمه الله بعد ذكر جملة من هذه الأدلة .

(هذه الآيات الكريمه فيها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والدخول تحت رق عبوديته التى هي غاية شرف العبد والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه محبه له وذلـه واخلاصا لله وانابه له في جميع الحالات وفي جميع العبادات الظاهره والباطنه وفيها النهي عن الشرك به شيئا .

الى أن قال: بل الواجب المتعين اخلاص العباده لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه والتدبير الكامل الشامل الذى لا يشركه ولا يعينه عليه أحد) [٨] .

---

(١) سورة الذاريات / الآيه ٥٦ .
(٢) سورة النساء / الآيه ٣٦ .
(٣) سورة الاسراء / الآيه ٢٣ .
(٤) سورة الاسراء / الآيه / ٣٩ .
(٥) سورة الأنبياء / الآيه ٢٥ .
(٦) سورة النحل / الآيه ٣٦ .
(٧) سورة الانعام/ الآيه /١٥١ .
(٨) الخلاصه / ٣٤ ، ٣٥ .

وقال في موضع آخر : (يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له ، وهو الدخول تحت رق عبوديته والانقياد لأوامره ونواهيه محبه وذلا واخلاصا له في جميع العبادات الظاهره والباطنه وينهي عن الشرك به شيئا ...) [1]

وقال في كتابه " القول السديد في مقاصد التوحيد " بعد ذكره للأدلة التي ساقها الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدلاله على هذا التوحيد قال : (ذكر المصنف في هذه الترجمه من النصوص مايدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والاخلاص له ، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم) [2] .

أدلة استحقاق الله للعبادة :

هناك أمور كثيرة جدا تدل على أن الله وحده هو المستحق للعباده دون من سواه فبما أنه المتفرد بالخلق والرزق والاحياء والاماته والتدبير فيجب أن يفرد بجميع أنواع العباده وهذه تسمى دلالات التوحيد .

وقد اهتم ابن سعدى بهذه الدلالات وبايضاحها والتنبيه عليها ، وذلك عند تفسيره للآيات التي اشتملت على هذه الدلالات فعند ذكره للآيه يبين مااشتملت عليه من دلالات وماتضمنته من براهين على وجوب افراد الله بالعباده .

وفيما يلي ذكر بعض الأمثله على ذلك :-

١ - " دقة صنع الله " .

فمن أدلة استحقاق الله للعباده ، دقة صنعه لمخلوقاته : -

قال ابن سعدى : (كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل

(١) التفسير ٢ / ٦٣ .
(٢) القول السديد / ١٧ .

فكره في بدائع المبتدعات ، وازداد تأمله للصنعه وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق وانها صحائف آيات وكتب دلالات على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها .

فتعرف أن العالم العلوى والسفلي كلهم اليه مفتقرون واليه صامدون وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات فلا اله الا الله ولا رب سواه)[1] .

٢ - " تعدد النعم " .

وهذه من أدلة استحقاق الله للعباده ، قال ابن سعدى رحمه الله : (اذا علم أن ما بالعباد من نعمه فمن الله ، وأن أحدا من المخلوقين لا ينفع أحدا ، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العباده ، وان يفرد بالمحبه والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل وغير ذلك من أنواع الطاعات وأن من أظلم الظلم واقبح القبح أن يعدل عن عبادته الى عبادة العبيد ، وان يشرك المخلوقين من تراب برب الأرباب ، أو يعبد المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه مع الخالق المدبر القادر القوى الذى قهر كل شئ ودان له كل شئ)[2] .

٣ - " تفرد الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى " .

فيستدل بتفرد الله وحده بالأسماء الحسنى والصفات العلى على وجوب افراده بالعباده :-

---

(١) التفسير ١/١٩٤ .

(٢) التفسير ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، وانظر الخطب المنبريه / ٧٤ ، ٧٥ .

قال ابن سعدى رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الا هو)[1] : (يخبر تعالى وهو أصدق القائلين أنه (اله واحد) أى متوحد متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فليس له شريك في ذاته ولا سمي له ولا كفو له ولا مثل ولا نظير ولا خالق ولا مدبر غيره .

فاذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة ولا يشرك به أحد من خلقه)[2] .

وقال : (ومن الأدلة على ذلك معرفة تفرد الرب بالكمال المطلق وان له كل صفه كمال ، وأن المخلوقات كلها كل وصف حميد فيها فانه من الله تعالى ، ليس بها وليس منها وهذا من أعظم البراهين على أنه هو المخصوص بالتأله والعبودية)[3] .

٤ - " نعمة انزال المطر " .

وهذه النعمة العظيمة من جملة الأدلة الداله على وجوب افراد الله بالعباده .

قال عند تفسيره لقوله تعالى : (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون)[4] قال : (يذكر الله تعالى في هذه الآيه نعمة من أعظم النعم ليعقلوا عن الله

---

(١) سورة البقره / الآيه ١٦٣ .

(٢) التفسير ١/١٨٨ .

(٣) الحق الواضح المبين /٥٨ .

(٤) سورة النحل / الآيه ٦٥ .

مواعظه وتذكير، فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود الذى لا تنبغي العبادة الا له وحده)[1] .

٥ - " تفرد الله بالربوبيه " .

وهذه من أعظم أدلة وجوب افراد الله بالعباده :-

قال رحمه الله : (اذا كان الله تعالى هو الذى خلقك ورزقك وأنعم عليك بالنعم الظاهرة والباطنه لم يشاركه فى ذلك مشارك فعليك أن لا تتأله لغيره ولا تتعبد لغيره ، وعليك أن تخصه بالتوحيد والسؤال واللجأ والفزع في أمورك كلها ، وهذا من أعظم الأدلة على توحيد الالوهيه ، وهو الاستدلال بربوبية الله الذى لا يستحق الألوهية ولا شيئا من العبودية غيره)[2] .

٦ - " كونه النافع الضار المعطي المانع " .

فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه وهذا دليل عظيم على وجوب افراد الله بالعباده .

قال رحمه الله عند قوله تعالى : (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)[3] .

قال : (هذا من أعظم الأدله على أن الله وحده المستحق للعبادة ، فانه النافع الضار المعطي المانع الذى اذا مس بضر كفقر ومرض ونحوها فلا كاشف له الا هو لأن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشئ

---

(١) التفسير ٤/٢١٦ .
(٢) الحق الواضح المبين / ٥٨ .
(٣) سورة يونس / الآيه ١٠٧ .

لم ينفعوا الا بما كتبه الله ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا لم يقدروا على شيء من ضرره اذا لم يرده) [١] .

هذا وان هناك عدة أمور اذا تأملها الانسان وتبصر فيها هدته الى أن الله هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه. أجملها الشيخ ابن سعدى في تسعة أمور ذكرها عند تفسيره لقوله تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) [٢] .

قال : (العلم لابد فيه من اقرار القلب ومعرفته بمعنى ماطلب منه علمه وتمامه أن يعمل بمقتضاه .

وهذا العلم الذى أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل انسان لا يسقط عن أحد كائنا من كان ، بل كل مضطر الى ذلك .

والطريق الى العلم بأنه لا اله الا الله أمور :-

أحدها : بل أعظمها تدبر اسمائه وصفاته الدالة على كماله وعظمته وجلاله فانها توجب بذل الجهد في التأله والتعبد للرب الكامل الذى له كل حمد ومجد وجلال وجمال .

الثاني : العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهيه .

الثالث : العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهره والباطنه الدينية والدنيوية فان ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع : مانراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر

---

(١) التفسير ٣/٣٩٧ .
(٢) سورة محمد / الآيه ١٩ .

والنعم العاجله و من عقوبته لأعدائه المشركين به فان هذا داع الى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعباده كلها .

الخامس : معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهه وأنها ناقصه من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذره من جلب خير أو دفع شر . فان العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا اله الا الله وبطلان الهيه ماسواه .

السادس : اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه .

السابع : أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقه أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا وعلما وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون قد شهدوا لله بذلك .

الثامن : ماأقامه الله من الأدلة الأفقيه والنفسيه التي تدل على التوحيد أعظم دلاله تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه)[1] .

وذكر هذه الأمور الثمانيه في خلاصة التفسير وزاد عليها تاسعا وهو : ماأودعه الله في شرعه من الآيات المحكمة والأحكام الحسنه والحقوق العادله والخير الكثير وجلب المنافع كلها ودفع المضار ، ومن الاحسان المتنوع وذلك يدل أكبر دلاله أنه الله الذي لا يستحق العباده سواه وأن شريعته التي أنزلت رسالة شاهدة بذلك)[2] .

---

(١) التفسير ٧/ ٧٣/ ٧٤ ، ٧٥ ، وانظر التوضيح والبيان لشجرة الايمان / ٢٣ ومابعدها ، والقواعد الحسان/ ١٩٣ .
(٢) الخلاصه / ١٦ .

ثم قال رحمه الله في تفسيره بعد ذكره هذه الأمور التى يحصل بها العلم بوجوب افراد الله بالعباده : (فهذه الطرق التى أكثر الله من دعوة الخلق بها الى أنه لا اله الا الله وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها لابد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك فكيف اذا اجتمعت وتواطأت واتفقت وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب فهناك يرسخ الايمان والعلم بذلك في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه والخيالات ولا يزداد على تكرار الباطل والشبه الا نموا وكمالا هذا وان نظرت الى الدليل العظيم والأمر الكبير وهو تدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته فانه الباب الأعظم الى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجملة مالا يحصل في غيره)[1] .

كلامه في فضل التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله : -

ان الشهادة لله بالوحدانيه وافراده بجميع أنواع العبادة يترتب عليه حصول فوائد عظيمة وفضائل كثيرة لا تحصى لكثرتها . وقد عدد الشيخ ابن سعدى رحمه الله جملة من هذه الفوائد والفضائل التى لا تحصل الا لمن وحد الله بالعباده ولم يشرك به .

فقال رحمه الله :

١ - (من فضائل التوحيد انه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما .

٢ - ومن فضائله انه يكفر الذنوب .

---

(١) التفسير ١ / ٧٥ .

٣ - ومن أجل فوائده انه يمنع الخلود في النار اذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل .

٤ - وأنه اذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

٥ - ومنها : انه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.

٦ - ومنها : انه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه .

٧ - ومن أعظم فضائله ان جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد ، فكلما قوى التوحيد والاخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

٨ - ومن فضائله انه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات. فالمخلص لله في ايمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ماتهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه .

٩ - ومنها ان التوحيد اذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين .

١٠- ومنها انه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام ، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والايمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمه .

١١- ومن أعظم فضائله انه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي ، ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله لا يرجو سواه ولا يخشى الا اياه ولا ينيب

الا اليه ، وبذلك يتم فلاحه و يتحقق نجاحه .

١٢- ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء ان التوحيد اذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالاخلاص التام ، فانه يصير القليل من عمله كثيرا ، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب ، ورجحت كلمة الاخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض ، وعمارها من جميع خلق الله) .[1]

هذا قليل من كثير من فوائد التوحيد ، وفضائل لا اله الا الله . لا ينالها إلا من فهم معناها وعمل بمقتضاها .

كلامه في معنى كلمة التوحيد "لا اله الا الله" :

وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمة ، ولا ينال أحد ثوابها والفضل الذي فيها الا اذا فهم معناها وعمل بمقتضاها.منها حديث عباده بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) .[2]

ومنها : حديث عتبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله) .[3]

---

(١) القول السديد / ١٩ ومابعدها .
(٢) أخرجه البخارى ٤/١٣٩ ومسلم ١/٥٧ .
(٣) أخرجه البخارى ١/١١٠ ومسلم ١/٦١ .

ومنها حديث أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال لا اله الا الله صادقا بها دخل الجنة)[1].

وغيرها من الأحاديث التي تدل على فضل هذه الكلمة ، ولكن كما تقدم هذا الفضل مختص بمن فهم معناها وعمل بمقتضاها .

وهذه الأحاديث المتقدمة متضمنة لمعنى لا اله الا الله ، وهو أن يفرد الله وحده بجميع أنواع العبادة ولا يشرك معه غيره.[2]

وقد فسرت لا اله الا الله بتفسيرات باطلة وذلك لعدم فهم مراد الله منها .

من هذه التفسيرات :

أن معنى لا اله الا الله : أي لا موجود الا الله وهذا يفهم منه الاتحاد .

ومنها أن معناها أي لا معبود موجود الا الله وهذا باطل لأنه يلزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله .

ومنها أن معناها أي لا خالق الا الله ، وهذا تدل عليه هذه الكلمة ولكن ليس هو المراد منها .

وانما معنى هذه الكلمة باتفاق السلف الصالح .

أنه لا معبود بحق إلا الله ، لا إله نافية لجميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد غيره إلا الله مثبتة العبادة لله فهو الإله المستحق للعبادة[3] .

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند ٤/٤١١ ، والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ١/١٦ واسناده صحيح ، ورجاله رجال الشيخين .

(٢) فتح المجيد /٤١ .

(٣) معارج القبول للحكمي ١/٣٧٥ ، وتطهير الاعتقاد للصنعاني /١٩ .

وقد أوضح الشيخ ابن سعدى هذا المعنى الأخير وبين أنه المراد بهذه الكلمة في مواطن متعددة في تفسيره .

قال رحمه الله : (لا اله الا الله : أى لا معبود بحق الا الله وحده لا شريك له)[1] .

وقال عند تفسيره لآية الكرسي : (فأخبر أنه الله الذى له جميع معاني الألوهية وأنه لا يستحق الألوهيه والعبودية الا هو فألوهية غيره ، وعبادة غيره باطله)[2] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (هو الله الذى لا اله الا هو ...)[3] (فأخبر أنه الله المألوه المعبود ، الذى لا اله الا هو ، وذلك لكماله العظيم واحسانه الشامل وتدبيره العام .

وكل اله غيره فانه باطل ، لا يستحق من العبادة مثقال ذرة ، لأنه فقير عاجز ناقص لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا)[4] .

فمن شهد لله بالألوهية ونطق بهذه الكلمة لابد أن يفرده بالعبادة وان يحذر من الوقوع بالاشراك فيه .

وأما من قال هذه الكلمة ولم يعمل بمقتضاها فانها لا تنفعه ، ولهذا يقول ابن سعدى :

---

(١) التفسير ٣ / ١٠٢ .

(٢) التفسير ١ / ٣١٣ .

(٣) سورة الحشر / الآيه ٢٢ .

(٤) التفسير ٧ / ٣٤٥ .

(ان الشاهد لله بالوحدانية وعدم الشريك يقتضي كمال اعتقاده ذلك . وكمال الاخلاص لله ، والقيام بحقوق العبودية كلها ، فانها من التأله لله تعالى ، فاقام الصلاة ، وايتاء الزكاة والصيام والحج ونحوها داخلة في ألوهية الله تعالى ، كما تدخل أعمال القلوب فيها من الانابه لله خوفا ورجاء ومحبة وتعظيما ورغبة ورهبا)[1] .

ولهذا فان على من أراد أن يحقق معنى لا اله الا الله أن يفهم معنى العبوديه ليفرد الله بها .

كلامه في تعريف العبادة :-

اهتم الشيخ ابن سعدى رحمه الله بتعريف العبادة اذ هي المقصود من خلق الجن والانس كما تقدم بيان ذلك .

وتظهر أهمية معرفة معنى هذه الكلمة اذا عرفنا أن جميع من عبد غير الله أو أكثرهم انما عبدوهم لعدم فهمهم لمعنى العبادة ، وأنها حق لله لا يجوز صرفها لغيره .

كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : (وحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)[2] .

فاذا كانت العبودية بهذه المثابه ، فهي جديره بأن توضح وتبين ويظهر معناها .

---

(١) الفتاوى السعديه /٨٨ .
(٢) أخرجه البخارى ١٦٤/٨ ، ومسلم ٥٨/١ ، والترمذى ٢٧/٥ ، وابن ماجه ١٤٣٥/٢ ، وأحمد ٣٠٩/٢ .

وقد عرف شيخ الاسلام ابن تيميه العبادة بأنها اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنه .

فيدخل تحت هذا التعريف أمور كثيرة من الأعمال الظاهره كالصلاة والزكاة والحج والصوم والصدقة والاحسان وبرالوالدين واماطة الأذى عن الطريق وغيرها . وأمور من الأعمال الباطنه كالخشية والانابة والخوف والرجاء وغيرها .

وهذا يبين خطأ تصور كثير من الناس من أن العبادة مقتصره على المباني الخمسة للاسلام.

فقد دلت النصوص على أن كل أمر يحبه الله ويرضاه يجب أن يتعبد الله به ولا يجوز أن يتعبد به غيره .

وهذا التعريف الذى ذكره شيخ الاسلام للعباده يعد تعريفا جامعا للعبادة ولهذا فقد نقل الشيخ ابن سعدى رحمه الله هذا التعريف في عدة مواطن من مؤلفاته . [1]

قال عند تفسيره لقوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) [2] .

(أى نخصك وحدك بالعبادة والاستعانه لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وهو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه ، فكأنه يقول نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك . . . الى أن قال : والعباده اسم جامع لمايحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة) [3]

---

(١) انظر التفسير ١/٣٥ ، والخلاصه /١٠ وغيرهما .
(٢) سورة الفاتحه / الآيه ٥ .
(٣) التفسير١/٣٥ ، ٣٦ ، والخلاصه /١٠ .

وقال رحمه الله :(العبادة روحها وحقيقتها الحب والخضوع لله فالحب التام الخضوع الكامل لله وهو حقيقة العبادة ، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عباده ، فان حقيقتها الذل والانكسار لله ولا يكون ذلك الا مع المحبه التامة التي تتبعها المحاب كلها)[١].

وقال : (العبادة والعبودية لله : اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من العقائد وأعمال القلوب وأعمال الجوارح ، فكل مايقرب الى الله من الأفعال والتروك فهو عباده ولهذا كان تارك المعصيه لله متعبدا متقربا الى ربه بذلك)[٢].

وقول ابن سعدى إن تارك المعصية إذا تركها لأجل الله صارمتعبدا لله بها تشهد له نصوص كثيرة :

منها حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم " ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنه فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيره ، وان هم بسيئه فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كامله وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة " .[٣]

ومنها حديث الثلاثة الذين أووا الى غار في الجبل فانطبقت عليهم صخره وسدت فم الغار . فأخذ كل واحد منهم يتوسل الى الله بأعماله الصالحه فقال أحدهم : " اللهم انه كانت لي ابنه عم أحببتها كأشد مايحب الرجل النساء" وطلبت منها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فتعبت حتى

---

(١) الحق الواضح المبين /٥٩ ، ٦٠ .
(٢) الخلاصة /٢٠١ .
(٣) أخرجه البخارى ١٨٧/٧ ، ومسلم ١١٨/١ .

جمعت مائة دينار . فجئتها بها . فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه . فقمت عنها ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجه . ففرج لهم ... الحديث "[1] .

وهذه نعمة عظيمة ومنّة جسيمة من الله على خلقه ، فترك المعصية لأجل الله عبادة يثاب عليها صاحبها ، فلله الحمد والشكر.

بيانه وتوضيحه أن العبادة لا تقبل الا بشرطين هما الاخلاص والمتابعه :-

هذا وان العباده أيا كان نوعها وأيا كانت صفتها لا تقبل من فاعلها الا اذا توفر فيها شرطان .

فان عدما أو عدم أحدهما فلن تقبل من فاعلها ، بل يكون من الخاسرين الذين قال الله عنهم :

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)[2] .

ولأهمية هذين الشرطين ولتحتم معرفتهما على كل مسلم ، فقد اهتم بهما علماء الاسلام قديما وحديثا .

وأول هذين الشرطين : أن تكون العبادة خالصة لوجه الله ، فلا يشرك مع الله أحداً في العبادة .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى ٧/ ٦٩ ، ومسلم ٤/ ٢٠٩٩ ، عن أنس بن مالك .

(٢) سورة الكهف / الآية ١٠٣ .

وثانيهما : أن تكون العبادة مطابقة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا ولقد تضافرت الأدلة في الكتاب والسنه على هذين الشرطين ، فورد ت نصوص كثيرة في القرآن الكريم وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على وجوب افراد الله وحده بالعبادة وترك الشرك . ووردت نصوص كثيرة تدل على وجوب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته والسير على نهجه .

من أدلة الشرط الأول :

قوله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (١) .

وقوله تعالى : (ان أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين) (٢)

وقوله تعالى : (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) (٣) الى قوله : (قل الله أعبد مخلصا له ديني) (٤) .

وقوله : (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) (٥) .

وقوله : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (٦)

وقوله : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٧) .

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه " (٨) ، واللفظ للبخاري .

---

(١) سورة البينة / آية ٥ .
(٢) سورة الزمر / آية ٢ .
(٣) سورة الزمر / آيه ١١ .
(٤) سورة الزمر / آيه ١٤ .
(٥) سورة غافر / آية ١٤ .
(٦) سورة النساء / آية ٤٨ .
(٧) سورة المائدة / آيه ٧٢ .
(٨) البخاري ١/ ٢ ، ومسلم ٣/ ١٥١٥ .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريره رضى الله عنه مرفوعا قال الله تعالى :
(أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه) (١)

وغيرها من النصوص الداله على وجوب أخلاص العباده لله وحده ٠

من أدلة الشرط الثانى :

قوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذ وه وما نهاكم عنه فأنتهوا) (٢)

وقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذ نوبكم والله غفور رحيم ، قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) (٣)

وقوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمر أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذ اب أليم) (٤)

وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحد ث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (٥)

وفى روايـة لمسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (٦)

وعن العرباض بن ساريه رضى الله عنه قال " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول

---

(١) مسلم ٤/٢٢٨٩ ، وأخرجه ابن ماجه ٢/١٤٠٥ ٠
(٢) سورة الحشر/ آيه ٠٧
(٣) سورة آل عمران / آيه ٣١ ، ٠٣٢
(٤) سورة النور/ آيه ٠٦٣
(٥) البخارى ٣/١٦٧ ومسلم ٣/١٣٤٣ واخرجه ابن ماجه ١/٧ وابو داود ٤/٢٠٠ وفى المسند للامام أحمد ٦/٠٢٧٠
(٦) مسلم ٣/١٣٤٤ وفى المسند ٦/٠١٤٦

الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعه وان تأمر عليكم عبد فانه من يعش منكم فسيرى أختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة "(1)

وغيرها من النصوص الداله على هذا الاصل العظيم .

والمقصود أن اخلاص العمل لله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات على كل عبد ، ولا يستقيم دين عبد ولا تصلح حاله ولا يطيب مآله الا اذا تمسك بهما .

لذا صار التنبيه عليهما مهما فى جميع الاحوال ، ولهذا فقد أهتم الشيخ ابن سعدى ببيان هذين الاصلين اهتماما كبيرا ، ونبه عليهما وبين أنهما أصلان متفق عليهما بين سلف الأمة ، وبين أن الأعمال لا تقبل إلا بهما، وبين أنهما معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

قال رحمه الله : (مذهب أهل السنه والجماعه أنهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الله متفرد بالخلق والملك والسلطان والتدبير ، فليس له فى ذلك شريك ولا معين ، وأنه الاله الحق الذى لا معبود سواه ، وأن كل من عبد من دونه من ملك مقرب أو نبى مرسل أوغيرهما فعبادته من أبطل الباطل وأعظم الشرك ويقومون بعبودية ربهم بكل ما يحبه الله ويرضاه من الاعمال الظاهره والباطنه ، يخلصونها لله ويتابعون فيها رسول الله ، ويتقربون بها الى

---

(1) أخرجه أبوداود ٤/٢٠٠ وابن ماجه ١/١٥ والدارمى ١/٤٣ ، وأحمد في المسند ٤/١٢٦ ، والمروزى في السنة ٤/١٢٦ وابن ابي عاصم في السنة بتحقيق الألباني ١/٢٩ ، وقال الألباني :اسناده صحيح ورجاله ثقات .

ربهم على وجه المحبه التامه والذل الكامل ، فان عبادة الله مبنيه على هذين الأصلين : الأخلاص والتابعه ،الناشئين عن محبة الله وتعظيمه ، فعبودية الله الظاهره والباطنه تدور على هذا ، ولا نجله ولا فلاح الا بذلك ، ويرون أعظم التقربات الى الله الجد فى احسان الاعمال واكمالها وايقاعها على أكمل الوجوه مع أستحضار مقام المراقبه لله وقت تلبس العبد بها ،فيجتهدون فى اتقان العمل وتنقيته من جميع المنقصات ، ويعلمون أن هذا مراد الله من عباده كما قال تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا)[1] [2]

وقال رحمه الله فى تفسيره لهذه الآيه : (أى ليمتحنكم اذ خلق لكم ما فى السموات والارض بأمره ونهيه ، فينظر أيكم أحسن عملا .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : " دين الله أخلصه وأصوبه ".

قيل : يا أبا على " ما أخلصه وأصوبه " ؟

فقال : ان العمل اذا كان صوابا ، ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا .

والخالص : أن يكون لوجه الله والصواب : أن يكون متبعا فيه الشرع والسنه)[3]

ومن الآيات الجامعه لهذين الشرطين قوله تعالى فى آخر سورة الكهف :(قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ فمن كان يرجوا لقاء ربهِ فليعملْ عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربه أحداً)[4]

---

(١) سورة هود / آيه ٠٧ والملك / آيه ٠٢

(٢) توضيح الكافيه الشافيه / ٠٢٠

(٣) التفسير ٣/ ٤٠٤ وانظر التفسير ٧/ ٤٢٨ ، والنظر الخلاصه/ ٢٠١

(٤) سورة الكهف /آيه ١١٠٠

قال رحمه الله في تفسيرها : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو الموافق لشرع الله من واجب ومستحب ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يرائي بعمله بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى.

فهذا الذي جمع بين الاخلاص والمتابعة هو الذي ينال ما يرجو، ويطلب ، وأما من عدا ذلك فانه خاسر في دنياه وأخراه وقد فاته القرب من مولاه ونيل رضاه)[1]

(١) التفسير ٥ / ٨٨.

تقسيمه للعبوديه من حيث عموم الخلق :

ان الخلق كلهم عبيد الله وذلك باعتبار أنهم كلهم مخلوقون مربوبون له وأما باعتبار أداء الواجب الذى خلقوا من أجله وهو تحقيق العباده لله وحده وعدم الاشراك به فليسوا كلهم عبيد لله بل منهم العبيد ومنهم المشركون .

وعلى هذا فإن العبوديه بهذا الإعتبار تكون على قسمين ، عبودية لربوبية الله ، وعبودية لألوهيته .

وقد تناول الشيخ السعدى هذا التقسيم بالبيان فقال رحمه الله : (العبوديه لله نوعان :

عبوديه لربوبيته : فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم برهم وفاجرهم ،فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون " ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا "[(١)]

وعبوديه للألوهيته وعبادته ورحمته : وهى عبوديه أنبيائه وأوليائه وهى المراده بقوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا)[(٢)] ولهذا أضافها الى أسمه اشارة الى أنهم انما وصلوا الى هذه الحال بسبب رحمته)[(٣)]

---

(١) سورة مريم / آيه ٩٣ .
(٢) سورة الفرقان / آيه ٦٣ .
(٣) التفسير ٥/٤٩٣ والخلاصه /٣٩ .

ذكر بعض انواع العبادة مع بيان ابن سعدى لها :

تقدم معنا أن العبادة أنواع كثيرة ، اذ كل عمل يحبه الله ويرضاه وفيه تذلل وخضوع ومحبه ، فهو عبادة ، ولا يجوز أن يصرف لغير الله فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه .

وسأورد فيما يلى بعض أنواع العباده ، واذكر كلام ابن سعدى عنهما فانه رحمه الله كما أهتم ببيان العقيدة اجمالا فقد أهتم ببيانها على وجه التفصيل .

اذ أن القارئ فى كتابه التفسير وخلاصته وغيرها من كتبه يلمس هذا الاهتمام ويجد أنه رحمه الله يقف عند كثير من الآيات التى فيها ذكر نوع من أنواع العباده ويتكلم عن هذا النوع المذكور ويبين أنه حق من حقوق الله التى لا يجوز صرفها لغيره ويذكر ما يتعلق بهذا النوع من التفصيلات وما يندرج تحته من أقسام وغير ذلك من الامور التى تتعلق به على ما سيتبين من خلال كلامنا عن بعض أنواع العبادة .

وسأبدأ أولا بذكر الدعاء فالدعاء كما قال صلى الله عليه وسلم "هو العباده "[1]

- من العبادة الدعاء

إن الدعاء هو أعظم أنواع العبادة ، وهو لبها ومخها ، وقد وردت آيات كثيرة فى كتاب الله فى الحث عليه ، وعدم الاستكبار عنه ، والترغيب فيه .

---

(١) اخرجه الامام احمد فى المسند ٢٦٧/٤ ، وابن ماجه ١٢٥٨/٢ ، والترمذى ٢١١/٥ ، وقال حديث حسن صحيح . والبغوى في شرح السنة ١٨٤/٥ وابو نعيم في الحلية ١٢٠/٨ والحاكم في المستدرك ٤٩٠/١ وصححه ووافقه الذهبي .

بهذه المسألة ، حيث تناول بيانها وأشار الى أهميتها في العديد من مؤلفاته ، وفي مقدمتها التفسير.

قال رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[1] .

: " هذا من لطفه بعباده ونعمته العظيمة حيث دعاهم الى مافيه صلاح دينهم ودنياهم ، وأمرهم بدعائه ، دعاء العبادة ودعاء المسألة ، ووعدهم أن يستجيب لهم ، وتوعد من استكبر عنها فقال : (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أى ذليلين حقيرين ، يجتمع عليهم العذاب والاهانة جزاء على استكبارهم "[2].

وقال عند قوله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين)[3] : " فأمر بدعائه تضرعا اى الحاحا في المسألة ود ؤوبا في العبادة وخفيه أى لا جهر أوعلانية يخاف منه الرياء ، بل خفيه واخلاصا لله تعالى "[4] .

وقال في بيان أهمية الدعاء (... وكل القربات الظاهره والباطنة تدخل في دعاء العبادة ، لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والاثابة عليها)[5] .

---

(١) سورة غافر / الآيه ٦٠ .

(٢) التفسير ٦ / ٥٤٠ .

(٣) سورة الأعراف / الآيه ٥٥ .

(٤) التفسير ٣ / ٤٠ .

(٥) الخلاصة / ٥٧ .

وقال أيضا في بيان أهميته عند قوله تعالى : (فادعوا الله مخلصين له الدين) [1] .

(فوضع كلمة الدين موضع كلمة العبادة ، وهو في القرآن كثير جدا ، يدل على أن الدعاء هو لب الدين وروح العبادة) [2] .

كلامه عن أقسام الدعاء :

بين الشيخ رحمه الله في مؤلفاته ان الدعاء ينقسم الى قسمين دعاء مسأله ودعاء عبادة ، فكل أمر في القرآن أو السنه بالدعاء لا يخرج عن هذين القسمين ، قال رحمه الله في تفسيره (الدعاء نوعان : دعاء عباده ودعاء مسأله) [3] .

وقال في القاعدة الحادية والخمسين من كتابه القواعد الحسان :
(كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء ، والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين : يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة .

وهذه قاعدة نافعة فان أكثر الناس انما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوه دعاء المسألة فقط ، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء ، وهذا خطأ جرهم الى ما هو شر منه ، فان الآيات صريحة في شموله لدعاء المسأله والعبادة ، ويدل على ذلك عموم قوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) أى استجب طلبكم واتقبل عملكم) [4] .

---

(١) سورة غافر / الآيه ١٤ .
(٢) القواعد الحسان / ١٥٥ .
(٣) التفسير ١ / ٢٤٤ ، و ٣ / ٤٠ .
(٤) القواعد الحسان / ١٥٦ .

كلامه عن آداب الدعاء :

إن الإلتزامَ بآداب الدعاء أمرٌ مطلوب من كل مسلم ، وذلك لأن التزامَ آدابه سببٌ لقبولهِ .

وقد أشار رحمه الله إلى جملة من آداب الدعاء التي ينبغي على المسلم أن يلتزمها .

قال رحمه الله في تفسيره : (... من آداب الدعاء : الاخلاص فيه لله وحده واخفاؤه واسراره ، وأن يكون القلب خائفا طامعا لا غافلا ولا آمنا ولا غير مبال بالاجابه) [1] .

وقال : (من شروط الدعاء وآدابه حضور قلب الداعي واستحضاره لمعاني مايدعو به) [2] .

وهذا الشرط الأخير جعله يذكر في كتابه المواهب الربانيه جملة من الأدعية الواردة في الكتاب والسنة ويقوم بشرحها ليسهل استحضارها ، وهي في الحقيقة جملة من الأدعية الجامعة النافعة فلتراجع لأهميتها . [3]

وكذلك من آداب الدعاء أن لا يعتدى فيه ولا يتجاوز فيه الحد ، وقد نهى عن الاعتداء في جميع الأمور .

قال رحمه الله عند قوله تعالى : (انه لا يحب المعتدين) [4] .

---

(١) التفسير ٣ / ٤٠ ، ٤١ .

(٢) المواهب الربانيه / ٢٨ .

(٣) المواهب الربانيه / ٢٨ ومابعدها ، وانظر بهجة قلوب الأبرار / ٢٤٩ .

(٤) سورة الأعراف / الآيه ٤٠ .

: (ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل ، لا تصلح له ، أو ينقطع في السؤال ، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء ، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه)[1] .

فعلى العبد أن يكثر من دعاء الله سبحانه وأن يتأدب بآداب الدعاء وأن يحسن في دعائه والله قريب من المحسنين .

و من أنواع العبادة المحبة :

ان نصوص الكتاب والسنه الدالة على وجوب محبة الله سبحانه وتقديم محبته على سائر المحاب كثيرة جدا .

قال الله تعالى : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين)[2] .

وقال : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[3] .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب

---

(١) التفسير ٣ / ٤٠ .
(٢) سورة التوبة /الآيه ٢٤ .
(٣) سورة آل عمران/ الآيه ٣١ .

اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار". [1] .

وفيهما عنه رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم " متى الساعة "؟ فقال " ماأعددت لها" ؟ قال ماأعددت لها من كثيرصلاة ولا صيام ولا صدقه ، ولكني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنت مع من أحببت ". [2]

وقد تناول ابن سعدى هذا النوع من العبادة وبين أهميته وشدة الحاجه اليه ، وبين معناه وأنواعه ومايتعلق به .

قال في بيان أهميته : (أصل التوحيد وروحه اخلاص المحبه لله وحده وهي أصل التأله والتعبد ، بل هي حقيقة العباده ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبه التي بها سعادة العبد وفلاحه) . [3]

وقال (العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله ، فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العباده فمتى خلت العباده من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة ،فان حقيقتها الذل والانكسار لله ، ولا يكون ذلك الا مع محبته المحبة التامة التى تتبعها المحاب كلها) . [4]

---

(١) البخارى ١/ ٩ ، ومسلم ١/ ٦٦ .

(٢) البخارى ٧/ ١١٣ ، ومسلم ٤/ ٢٠٣٢ .

(٣) القول السديد / ١١٠ .

(٤) الحق الواضح المبين / ٥٩ ، ٦٠ .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ....) [١]

الآيه : (وهذه الآيـة الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله وعلى تقديمها على محبة كل شيء) [٢] .

كلامه في معنى محبة الله :-

قال رحمه الله عند قوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) [٣] .

(هذه الآيه هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة .

فعلامة محبة الله اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذى جعل متابعته وجميع مايدعو اليه ، طريقا الى محبته ورضوانه .

فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه الى بتصديق ماجاء به الرسول من الكتاب والسنه وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما) [٤] .

وقال : (ومن لوازم محبة العبد لربه ، أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ظاهرا وباطنا ، في أقواله وأعماله وجميع أحواله) [٥] .

والمقصود ان مجرد الادعاء لا يكفي بل لابد من المتابعة للرسول صلى

---

(١) سورة التوبة / الآيه ٢٤ .

(٢) التفسير ٣ / ٢١٤ .

(٣) سورة آل عمران / الآيه ٣١ .

(٤) التفسير ١ / ٣٧٤ .

(٥) التفسير ٢ / ٣٠٧ .

الله عليه وسلم ويظهر ذلك ويتبين فيما اذا عرض للانسان أمران أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى ، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يفوت عليه محبوبا لله ورسوله ، و ينقصه ، فان قدم مايحبه الله ورسوله صار صادقا في دعواه ، وان قدم ماتحبه نفسه وتهواه على مايحبه الله دل ذلك على أنه ظالم تارك لما يجب عليه . (١)

تقسيمه للمحبه :-

قسم الشيخ ابن سعدى المحبه الى أربعة أقسام فقال :

" واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التى هي أصل الايمان والتوحيد .

الثاني : المحبه في الله وهي محبة أنبياء الله ورسله واتباعهم ، ومحبة مايحبه الله من الأعمال والأزمنه والأمكنه وغيرها ، وهذه تابعه لمحبة الله ومكملها لها .

الثالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر ، وملك وغيرها وهي أصل الشرك وأساسه .

وهنا قسم رابع : وهو المحبة الطبيعية التى تتبع مايلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها . وهذه اذا كانت مباحة ان أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات ، وان صدت عن ذلك وتوسل بها الى مالا يحبه الله دخلت في المنهيات . والا بقيت من أقسام المباحات "(٢) .

---

(١) التفسير ٣/٣١٤ .
(٢) القول السديد /١١٢ ، ١١٣ .

نسأل الله أن يرزقنا حبه ، وحب من يحبه ، وحب العمل الذى يقرب الى حبه . انه جواد كريم .

و من أنواع العبادة الخوف :

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها ، وقد ذكره الله في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة والأولياء والصالحين .

قال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم)(١) .

وقال : (وهم من خشيته مشفقون)(٢) .

وقال : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون)(٣) .

وقال : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله)(٤) .

وهو من العبادات العظيمة ولا يجوز صرفه لغيرالله ، وقد أمر الله باخلاصه له في أكثر من آيه .

قال تعالى : (فلا تخشوا الناس واخشون)(٥) .

وقال : (أفغيرالله تتقون)(٦) .

---

(١) سورة النحل / الآيه ٥٠ .

(٢) سورة الأنبياء / الآيه ٢٨ .

(٣) سورة المؤمنون / الآيه ٥٧ .

(٤) سورة الأحزاب / الآيه ٣٩ .

(٥) سورة المائدة / الآيه ٤٤ .

(٦) سورة النحل / الآيه ٥٢ .

وقال : (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) [١] .

وقال : (واياى فارهبون) [٢] .

هذا وقد تناول الشيخ ابن سعدى هذا النوع من العباده بالبيان والايضاح .

فقال رحمه الله في بيان اخلاص هذا النوع من العبادة لله وحده عند تفسيره لقوله تعالى : (فلاتخافوهم وخافون) [٣] .

قال : (أى فلاتخافوا المشركين أولياء الشيطان ، فان نواصيهم بيد الله ، لا يتصرفون الا بقدره .

بل خافوا الله ، الذى ينصر أولياءه الخائفين اياه المستجيبين لدعوته وفي هذه الآيه . وجوب الخوف من الله وحده ، وأنه من لوازم الايمان ، فعلى قدر ايمان العبد يكون خوفه من الله ، والخوف المحمود ماحجز العبد عن محارم الله) [٤] .

وقال في بيان أهمية الخوف :

" فالخوف يمنع العبد عن محارم الله وتشاركه الخشية في ذلك . . ." [٥]

وقال " فان خشية الله جالبة لكل خير مانعة من كل شر " [٦] .

---

(١) سورة آل عمران / الآيه ١٧٥ .

(٢) سورة البقرة / الآيه ٤٠ .

(٣) سورة آل عمران / الآيه ١٧٥ .

(٤) التفسير ١/٤٥٧ وانظر القول السديد / ١١٤ .

(٥) الخلاصة / ٢٠١ .

(٦) التفسير ٦ / ٢٢٥ .

تقسيمه للخوف :

يقسم ابن سعدى الخوف الى أربعة أقسام :

١) خوف تأله لله، وتعلقه بالله من أعظم الواجبات .
٢) خوف تأله لغيرالله وهذا شرك أكبر .
٣) خوف طبيعي كالخوف من الأسد والحيه والنار وغير ذلك .
٤) خوف وهمي كالخوف الذى ليس له سبب أصلا وهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء .

قال رحمه الله في بيان هذه الأقسام :

" اعلم ان الخوف والخشية تارة يقع عباده وتاره يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته .

فان كان الخوف والخشيه خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف الى من يخافه وكان يدعوالى طاعة باطنه وخوف سرى يزجرعن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الايمان .

وتعلقه بغيرالله من الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله ، لأنه أشرك في هذه العباده - التى هى من أعظم واجبات القلب - غيرالله مع الله ، وربما زاد خوفه من غيرالله على خوفه لله .

وأيضا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد ومن خشي غيره فقد جعل لله ندا في المحبة ، وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروها أويغضب عليه فيسلبه نعمه أونحو ذلك مما هو واقع من عباد القبور .

وان كان الخوف طبيعيا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حيه أو نحو ذلك

مما يخشى ضرره الظاهرى . فهذا النوع ليس عبادة ، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الايمان ، وهذا اذا كان خوفا محققا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم .

وان كان هذا خوفا وهميا كالخوف الذى ليس له سبب أصلا ، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء ، وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة) .[1]

من أنواع العبادة التوكل :

قال تعالى : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين)[2]

وقال (وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا) .[3]

وقال : (فاعبده وتوكل عليه) .[4]

وغيرها من الآيات ، والتوكل فريضة يجب اخلاصه لله اذ هو من أفضل العبادات وأعظم القربات وهو أعلى مقامات التوحيد .

وقد اهتم ابن سعدى ببيان هذه العباده كما اهتم ببيان غيرها من العبادات وأشار الى أهمية التوكل وشدة الحاجة إليه .

قال رحمه الله : " التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والايمان وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى ايمانه ويتم توحيده ، والعبد يضطر

---

(١) القول السديد / ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة المائدة / الآيه ٢٣ .

(٣) سورة الفرقان / الآيه ٥٨ .

(٤) القول السديد / ١١٧ .

الى التوكل على الله والاستعانه به في كل مايريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه " [1] .

وقال في احدى خطبه : " فالاستعانة بالله والتوكل عليه من أعظم واجبات الايمان وأفضل الأعمال المقربه للرحمن ، فان الأمور كلها لا تحصل ولا تتم الا بالاستعانه بالله ، ولاعاصم للعبد سوى الاعتماد على الله فان ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا تحول للعباد من حال الى حال الا بالله ، ولا قدرة لهم على طاعة الله الا بتوفيق الله ، ولا مانع لهم من الشر والمعاصي الا عصمة الله ، وكذلك أسباب الرزق لا تحصل وتتم الا بالسعي في الطلب مع التوكل على الله " [2] .

وكما بين رحمه الله أهمية التوكل فقد بين حقيقته وكيفيته فقال :-

(وحقيقة التوكل على الله : ان يعلم العبد ان الأمر كله لله وانه ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وانه النافع الضار المعطي المانع ، وأنه لا حول ولا قوة الا بالله فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه وفي دفع المضار ، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه ، وهو مع هذا باذل جهده ، في فعل الأسباب النافعة . فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة ، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين ، ومتى علق ذلك بغيرالله فهو شرك ، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل اليه وخاب أمله) [3] .

---

(١) القول السديد / ١١٧ .

(٢) الفواكه الشهيه / ٢٢ .

(٣) القول السديد / ١١٧ ، ١١٨ .

كلامه في التوسل :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)[1] .

وقال : (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا)[2] .

وهذه أيضا من العبادات التي تناولها الشيخ ابن سعدى وبين معناها وأقسامها .

قال رحمه الله في بيان معنى التوسل الى الله وذلك عند قوله تعالى :

(وابتغوا اليه الوسيلة) .

: " أى القرب منه والحظوه لديه والحب له ، وذلك بأداء فرائضه القلبية كالحب له وفيه والخوف والرجاء والانابه والتوكل .

والبدنيه كالزكاة والحج .

والمركبه من ذلك كالصلاه ونحوها .... "[3]

وبين أن التوسل ثلاثة أقسام فقال : (التوسل يطلق على التوسل الى الله بما جعله وسيلة اليه في مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)[4] .

وذلك يشمل التقرب الى الله بالواجبات والمستحبات وكذلك التقرب اليه

---

(١) سورة المائدة / الآيه ٣٥ .
(٢) سورة الاسراء / الآيه ٥٧ .
(٣) التفسير ٢/٢٨٥ .
(٤) سورة المائدة / الآيه ٣٥ .

بترك المكروهات .

فهذا توسل اليه بعبادته التي خلق الخلق لأجلها ، ومن هذا التوسل اليه في دعاء المسأله بأسمائه وصفاته ، والتوسل اليه بمنته ونعمه كالتوسل اليه بالايمان به وبرسله وكتبه أو دفع نقمه ، وبالايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته واتباعه بالصلاة والسلام عليه ، فهذه الوسيلة لا يتم الايمان الا بها .

النوع الثاني : التوسل الى الله بذوات المخلوقين وجاههم فهذا الصواب انه لا يحل لأنه لا يتقرب الى الله الا بما شرع ، وهذا ليس بمشروع ، وأيضا فذوات المخلوقين وان كان لهم عند الله مقام وقدر وجاه ، فهذا ليس لغيرهم وليس التوسل بهم سببا لشفاعتهم للمتوسل عند الله ولم يجعله الله من الأمور المقربه اليه ، وليس ذلك الا توسلا بما من الله على المتوسل فتعين أنه لا يجوز .

النوع الثالث : مايسميه المشركون توسلا وهو التقرب الى المخلوقين بالدعاء والخوف والرجاء والطمع ونحو ذلك فهذا توسل الى الشيطان وهو الشرك الأكبر الذى لا يغفر لصاحبه ان لم يتب)[1] .

---

(١) الفتاوى السعديه / ٣١ ، ٣٢ ، وانظر التفسير ١/ ٣٦٣ ، والمواهب الربانيه / ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

كلامه عن الشرك :

تمهيد : ان معرفة الشرك و خطره وأسبابه وأدلة بطلانه وأنواعه من أهم الأمور ، وذلك أنه لا يمكن للانسان ان يَحذر و يُحذر من الوقوع فيه الا اذا عرفه وعرف خطره .

أخرج البخارى و مسلم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال : " كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني " .(1)

وهذا المعنى تمثل به أحد الشعراء بقوله :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لم يعرف الشرمن الناس يقع فيه

ومن هنا يتلخص لنا أن في معرفة الشرك و مايتعلق به فوائد عديدة : -

أحدها : ان الانسان يمكنه بمعرفة الشرك أن يحذر من الوقوع فيه .

الثاني : انه يمكنه بذلك أن يحذر غيره .

الثالث : أنه يظهر له بذلك حسن الاسلام و التوحيد ، وذلك أنه اذا عرف الشرك وظهر له بطلانه ، عرف أن ضده وهو التوحيد أفضل الأعمال ، وبضدها تتميز الأشياء .

الى غير ذلك من الفوائد .

ولهذه الأسباب وغيرها فقد ظهر اهتمام الشيخ ابن سعدى ببيان الشرك

---

(1) البخارى ٨/٩٣ ، ومسلم ٣/١٤٧٥ . وأخرجه الامام أحمد ٥/٤٠٣ ، وأبو داود ٤/٩٥ .

وأقسامه وأسبابه وخطره وجميع مايتعلق به .

وبين أن توحيد العبادة المتقدم بيانه لا يتم ولا يقبل من صاحبه الا بترك الشرك والبعد عنه . قال : (ولا يتم توحيد العبادة حتى يخلص العبد لله في جميع ارادته وأقواله وأفعاله ، وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة ، وهو أن يصرف نوعا من أنواع العبادة لغير الله تعالى ، وتحقيق هذا التوحيد وتمامه أن يدع الشرك الأصغر وهو : كل وسيلة يتوسل بها الى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك) (1) .

لهذا فاني سأذكر فيما يلي تعريفه للشرك وبيانه لأقسامه وأسبابه وذمه له وبيانه لبطلانه الى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بهذا الجانب .

تعريفه للشرك وبيانه لأقسامه :

قال رحمه الله في تعريف الشرك (وحقيقة الشرك : أن يعبد المخلوق كما يعبد الله أو يعظمه كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والالهية) (2) .

وقسم الشرك الى نوعين : شرك في الربوبية ، وشرك في الالوهية فقال : (الشرك نوعان : شرك في ربوبيته تعالى كشرك الثانويه الذين يثبتون خالقا مع الله ، وشرك في الوهيته كشرك المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون غيره ويشركون بينه ، وبين المخلوقين ، ويسوونهم مع الله في شيء من خصائص الوهيته) (3) .

---

(1) الفتاوى السعدية / ١٣ .

(2) التفسير ٢ / ٤٩٩ .

(3) الخلاصة / ٢٠٣ وانظر الرياض الناضره / ٢٥٦ ، وسؤال وجواب / ١١ .

وكلامنا هنا سيكون مقتصرا على النوع الثاني من أنواع الشرك وهو" الشرك في الألوهية" أما النوع الأول فقد تقدم الكلام عليه ضمن توحيد الربوبية .

ذم الشرك :

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنه في التحذير من الشرك وبيان خطره وأنه أعظم ذنب عصي الله به ، وأنه لا أضل من فاعله ، وأنه مخلد في النار أبدا لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع .

بل ان الآيات والأحاديث الواردة في ذلك لا تحصى الا بكلفه .

قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) (١) .

وقال : (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) (٢) .

وقال : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه و مأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٣) .

وقال : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) (٤) .

وقال للرسل وهم صفوة الخلق : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (٥) .

---

(١) سورة النساء / الآيه ٤٨ .
(٢) سورة النساء / الآيه ١١٦ .
(٣) سورة المائدة / الآيه ٧٢ .
(٤) سورة الحج / الآيه ٣١ .
(٥) سورة المائده / الآيه ٨٨ .

وقال لخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم : (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [١] .

وغيرها من الآيات . ومن الأحاديث الواردة في ذلك .

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من مات يشرك بالله شيئا دخل النار" [٢] .

وحديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة " [٣] .

وحديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنه . قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق " [٤] .

وحديث أبي بكره رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر" ثلاثا" : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس ، فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت. " [٥]
وغيرها من الأحاديث .

ولقد اهتم ابن سعدى ببيان خطورة الاشراك بالله وشناعته ، وقبح فاعله وضلاله ، وبين أن الله وملائكته ورسله قد حذروا من هذا العمل وبين أن ماعبد من دون الله لا يملك لنفسه ضرا ولا رشدا وان النافع الضار

---

(١) سورة الزمر / الآيه ٦٥ .
(٢) أخرجه البخارى ٢/ ٦٩ ، ومسلم ١/ ٩٤ .
(٣) أخرجه مسلم ١/ ٩٤ .
(٤) أخرجه البخارى ٢/ ٦٩ ، ومسلم ١/ ٩٤ .
(٥) أخرجه البخارى ٣/ ١٥٢ ومسلم ١/ ٩١ .

هو الله الى غير ذلك من الجوانب التى تناولها في سبيل بيان قبح الشرك .

قال رحمه الله : (فالله وملائكته ورسله قد نهوا عن الشرك وذموا من عمله أشد الذم ورتبوا عليه من الأسماء المذمومه والأوصاف المقبوحه ماكان به متعاطيه أشنع الخلق وصفا وأقبحهم نعتا ، وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه بحسب ماتركه من التعلق بربه .

فمن تعلق بغيره فهو مخذول ، قد وكل الى من تعلق به ، ولا أحد من الخلق ينفع أحدا الا باذن الله) [١] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) [٢] .

: (فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا ، ودل تنبيهه واشارته أن الذى يجب ويحسن عبادته من له الكمال الذى لا ينال العباد نعمه الا منه ولا يدفع عنهم نقمه الا هو وهو الله تعالى) [٣] .

وقال عند قوله تعالى : (الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار) [٤] :

(.. فالمخلوقات كل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه حتى ينتهي القهر للواحد القهار فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده .

فتبين بالدليل العقلي القاهر أن مايدعى من دون الله ليس له شىء من

---

(١) التفسير ٤ / ٢٦٩ وانظر ٦ / ١٣٠ .
(٢) سورة مريم / الآيه ٤٢ .
(٣) التفسير ٥ / ١١٠ .
(٤) سورة الرعد / الآيه ١٦ .

خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطله)[١] .

وقال عند قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به . . .)[٢]

: (. . . الشرك لا يغفره الله لتضمنه القدح في رب العالمين ووحدانيته وتسوية المخلوق الذى لا يملك لنفسه ضرار ولا نفعا ، بمن هو مالك النفع والضر ، الذى مامن نعمة الا منه ، ولا يدفع النقم الا هو الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه والغني التام بجميع وجوه الاعتبارات .

فمن أعظم الظلم ، وأبعد الضلال ، عدم اخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته ، وصرف شئ منها للمخلوق الذى ليس له من صفات الكمال شئ ، ولا له من صفات الغنى شئ ، بل ليس له الا العدم ، عدم الوجود ، وعدم الكمال وعدم الغنى من جميع الوجوه)[٣] .

وقال في بيان وجه كون الشرك ظلما عظيما عند قوله تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم)[٤] . (ووجه كونه ظلما عظيما ، أنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب ، وسوّى الذى لا يملك من الأمر شيئا بمالك الأمر كله وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه ، وسوى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذى ما بالخلق من نعمه في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم الا منه ولا يصرف السوء الا هو . فهل أعظم من هذا الظلم شئ ؟

وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده ، فذهب بنفسه الشريفة فجعلها في أخس المراتب ؟ جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا)[٥] .

---

(١) التفسير ٤/ ٩٩ .
(٢) سورة النساء / الآيه ١١٦ .
(٣) التفسير ٢/ ١٦٥ .
(٤) سورة لقمان / الآيه ١٣ .
(٥) التفسير ٦/ ١٥٥ ، ١٥٦ .

وبين أن كل من عبد أحدا غير الله وأشركه معه في العبادة يكون بعمله هذا طائعا عابدا للشيطان لأنه امتثل أمره و حقق مراده ومقصوده .

فقال عند قوله تعالى : (ياأبت لا تعبد الشيطان) [1] . لأن من عبد غير الله ، فقد عبد الشيطان كما قال تعالى : (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) [2] . [3] .

وقال عند قوله : (لا تعبدوا الشيطان) أى لا تطيعوه ، وهـذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له) [4] .

ويكفي في بيان ذم الشرك وخطره قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء) [5] .

فهو الذنب الوحيد المتميز عن بقية الذنوب بعدم المغفره لصاحبه اذا مات ولم يتب منه ، وأما بقية الذنوب فان صاحبها ان مات ولم يتب منها فانه تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء غفر لـه .

قال رحمه الله : (فالذنوب التى دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة كالحسنات الماحية والمصائب المكفره في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة وكدعاء المؤمنين ، بعضهم لبعض وشفاعة الشافعين ، ومن دون ذلك كله رحمته التى أحق بها أهل الايمان والتوحيد .

---

(١) سورة مريم/ الآيه ٤٤ .
(٢) سورة يس / الآيه ٦٠ .
(٣) التفسير / ٥/ ١١١ .
(٤) التفسير ٦/ ٣٥٦ .
(٥) سورة النساء / الآيه ٤٨ .

وهذا بخلاف الشرك فان المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة وأغلق دونه أبواب الرحمة ، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد ، ولا تفيده المصائب شيئا)[1] .

كلامه عن سبب أول شرك حصل في بني آدم :

بين الشيخ ابن سعدي عند تفسيره لسورة نوح . ماقرره ابن عباس وغيره من أئمة السلف أن أول شرك حصل من بني آدم سببه هو تعظيم الصالحين وقبورهم ، ورفعهم فوق منزلتهم حيث بين أن الناس مكثوا بعد آدم على ملة الاسلام يعبدون الله وحده فأفسد الشيطان عليهم دينهم بأن أملى لهم تعظيم الصالحين ثم ترقى بهم الى أن جعلهم يعبدونهم من دون الله .

قال في خلاصة التفسير : (مكث البشر بعد آدم قرونا طويلة وهم أمة واحدة على الهدى ،ثم اختلفوا وأدخلت عليهم الشياطين الشرور المتنوعة بطرق كثيرة فكان قوم نوح قد مات منهم أناس صالحون فحزنوا عليهم فجاءهم الشيطان فأمرهم أن يصوروا تماثيلهم ليتسلوا بهم وليتذكروا بها أحوالهم ، فكان هذا مبدأ الشر .

فلما هلك الذين صوروهم لهذا المعنى جاء من بعدهم وقد اضمحل العلم فقال لهم الشيطان : ان هؤلاء ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا قد كانوا أولوكم يدعونهم ويستشفعون بهم ، وبهم يسقون الغيث وتزول الأمراض ، فلم يزل بهم حتى انهمكوا في عبادتهم على رغم نصح الناصحين .

---

(١) التفسير ٢ / ٨٠ .

ثم بعث الله فيهم نوحا عليه السلام يعرفونه و يعرفون صدقه وأمانته وكمال أخلاقه فقال (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)[١] [٢] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)[٣] .

(وهذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا بزعمهم على الطاعة اذا رأوها .

ثم طال الأمد وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدونهم ويتوسلون بهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم)[٤] .

كلامه عن فطرية التوحيد وأن الشرك طارئ على البشرية :

هذه المسألة للناس . فيها قولان :

القول الأول : هو أن الله خلق الناس حنفاء على عقيدة واحدة وهي عقيدة التوحيد ثم عرضت لهذه العقيدة انحرافات فمال الناس وانحرفوا الى الوثنية والشرك بالله وهذا القول هو القول الحق . الذى لا شك فيه والذى تدل عليه نصوص الكتاب والسنه ، ولا يعرف أحد من العلماء المعتبرين قال بخلافه .

أما القول الثاني : فهو أن التدين بدأ بالخرافة والشرك وعبادة غير الله ثم أخذ يتطور إلى أن أفرد الله وحده بالعبادة[٥] .

---

(١) الأعراف / الآيه ٥٩ .

(٢) الخلاصة / ١٠٧ .

(٣) سورة نوح / ٢٣ .

(٤) التفسير ٧ / ٤٨٥ .

(٥) ذكر هذين القولين الدكتور عبد الله دراز في كتابه الدين / ٨٠ .

ولا شك أن هذا القول باطل فاسد يخالف نصوص الكتاب والسنه ، بل ان نصوص الكتاب والسنه تدل على بطلان .

قال تعالى : (وماكان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا)[١]

وقال : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[٢] .

وقال (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثرالناس لا يعلمون)[٣] .

وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٤]

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى (اني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)[٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٦] .

وغيرها من النصوص ، وهي كلها تدل على بطلان القول الثاني ، وأن الصواب الموافق للكتاب والسنه هو القول الأول ، من أن الأصل في الناس التوحيد والشرك طارئ وحادث فيهم .

وقد بين ابن سعدى أن الأصل في الناس التوحيد وأنهم مفطورون على العقيدة ، وأن الشرك والانحراف عن هذه العقيدة طارئ على البشرية .

---

(١) سورة يونس/ الآيه ١٩ .

(٢) سورة البقرة / الآيه ٢١٣ .

(٣) سورة الروم / الآيه ٣٠ .

(٤) سورة النحل / الآيه ٣٦ .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) تقدم تخريجه .

قال عند قوله تعالى : (وما كان الناس الا أمة واحدة) .

(متفقين على الدين الصحيح ولكنهم اختلفوا فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين)[1] .

وقال : (مكث البشر بعد آدم قرونا طويلة وهم أمة واحدة على الهدى ثم اختلفوا)[2] .

وقال عند قوله تعالى : (فطرت الله التى فطر الناس عليها) بعد أن بين أن الناس جميعا مفطورون على التوحيد وأن هذا الأصل في جميع الناس قال : (ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[3])[4] .

تنبيه :

قال الشيخ ابن سعدى عند تفسيره لقوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[5] .

قال : (أى كان الناس مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء ليس لهم نور ولا ايمان فرحمهم الله تعالى بارسال الرسل عليهم) .

---

(١) التفسير ٣/٣٣٨ .

(٢) الخلاصة / ١٠٧ .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) التفسير ٦/١٢٦ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٢١٣ .

وهذه الآية ذكر ابن كثير فيها قولين عن السلف وكلاهما ينسب الى ابن عباس .

أحدهما : أنهم كانوا على الهدى جميعهم .

والثاني : أنهم كانوا كفارا .

ثم قال بعد ذكر هذين القولين : " والقول الأول عن ابن عباس أصح سندا ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض) .

ولا ريب أن قول ابن سعدى هذا يتعارض مع أقواله المتقدمة الا اذا حمل على أن المراد بالناس في الآية الأقوام التى كفرت بالله بعد أن فطرت على التوحيد ، وهذا له وجه من الصحة .

ومن امعن النظر في أقواله المتقدمه التى ذكر فيها أن الناس كانوا على التوحيد ثم حصل منهم الكفر ، عرف صحة هذا الحمل .

والمقصود أن ابن سعدى يرى أن الشرك طارئ على الناس بعد أن خلقوا حنفاء موحدين .

---

(١) التفسير ١ / ٢٦٠ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٢٥٠ .

كلامه في الفرق بين الكفر والشرك :

ذكر الشيخ ابن سعدى فارقا بين الكفر والشرك وهو أن الكفر أشمل من الشرك بحيث أنه كل شرك كفر وليس كل كفر شركا .

ومثال ذلك الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن كفر وليس شركا .

قال تعالى (ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم)[١] .

فهذا العمل كفر وليس بشرك ،أما الأمور الشركية كعبادة غير الله من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم ودعائهم من دون الله وطلب الحوائج منهم وغير ذلك من الشركيات ،فانها كلها كفرية .

قال ابن سعدى في بيان هذا الفارق بين الكفر والشرك : (الكفر أعم من الشرك فمن جحد ماجاء به الرسول أو جحد بعضه بلا تأويل فهو الكافر من أى دين يكون سواء كان صاحبه معاندا أو جاهلا ضالا ...)[٢] .

وبين أن الكفر نوعان كفر أكبر مخرج من الدين كالتكذيب لله ورسوله وكفر أصغر كالاقتتال بين المسلمين والنياحة والتبرؤ من النسب .[٣]

---

(١) سورة التوبة / الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) الخلاصة / ٢٠٣ ، وانظر الرياض الناضره / ٢٥٥ .

(٣) الفتاوى السعديه / ١٠٣ وهو يشير في ذلك الى قول النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) أخرجه البخارى ١٧/١ ومسلم ٨١/١ ، وقوله : (اثنتان في الناس هما بهم كفر ، الطعن في النسب والنياحة على الميت) أخرجه مسلم ٨٢/١ .

كلامه في أنواع الشرك :

قسم ابن سعدى الشرك الى نوعين : شرك أكبر مخرج من الملة وشرك أصغر ، وبين أن العبد لا يتم له توحيد العبادة حتى يتبرأ من الشرك بنوعيه .

فقال : (الشرك المناقض لتوحيد الألوهية نوعان :

جلي ظاهر مخرج من دائرة الاسلام وهو الشرك الأكبر ، وهذا النوع لا يقبل الغفران . قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[1] .

وتفسيره : أن يتخذ العبد لله ندا يحبه كمحبة الله أو يرجوه أو يخافه كخوفه من الله أو يدعوه أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة وفي هذا المقام لا فرق بين الملائكة والأنبياء والأولياء الصالحين والطالحين والأشجار والأحجار وغيرها .

فمن صرف لشيء منها نوعا من العبادة فهو مشرك كافر قد سواها بربه في هذا الحق الذى يختص به ، فان العبودية لا حق فيها لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما ، بل هم مفتقرون غاية الافتقار الى تألههم وتعبدهم لله .

وأما الشرك الأصغر : فهو كل وسيلة يتوسل بها ويتطرق الى الشرك الأكبر بشرط أن لا يبلغ مرتبة العباده كالحلف بغير الله وكالرياء والتصنع للمخلوقين ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤديه الى الشرك .

فلا يتم للعبد توحيد حتى يتبرأ من الشرك كله جليه وخفيه ظاهره

---

(١) سورة النساء / الآيه ٤٨ .

وباطنة الأقوال منه والأفعال وتكون أعماله كلها خالصة متبعا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) [1] .

الفوارق بين الشرك الأكبر والأصغر :

وقد ذكر ابن سعدى جملة من الفوارق بين الشرك الأكبر والأصغر ، وهي فوارق هامة .

قال رحمه الله : (اعلم أن الشرك الأكبر والشرك الأصغر يفترقان في أحكام كثيرة دل عليها الكتاب والسنة والاجماع :

يفترقان في حدهما : أما الشرك الأكبر فهو : صرف نوع من العبادة لغير الله تعالى فكل ماثبت في الكتاب والسنه من العبادات اذا صرف العبد منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر .

وأما حد الشرك الأصغر فهو كل وسيلة يخشى أن توصل صاحبها الى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله وكالرياء والسمعه وكالغلو في المخلوق الذى لا يصل الى رتبة عبادته ، فهذا هو أصل الفروق بينهما .

الفرق الثاني : والثالث : أن الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالكفر والخروج من الاسلام ومحكوم عليه أيضا بالخلود في النار وتحريم دخول الجنة .

وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك في الحكمين فانه لا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الاسلام ولا يخلد في النار اذا لم يفعل مكفرا آخر .

---

(١) الحق الواضح المبين / ٥٩ وانظر القول السديد / ٢٩ و ٥٢ والرياض الناضرة / ٢٥٦ . وسؤال وجواب / ١١ .

فهذه الأحكام الثلاثة وما يترتب عليها من التفريعات المبنيه عليها لم يختلف فيها أهل العلم لأن نصوص الكتاب فيها كثيرة قاطعة صريحة)[1] .

هل الشرك الأصغر تحت المشيئة مثل الكبائر أم هو مثل الشرك الأكبر :

تقدم معنا من النصوص ما يدل على أن ذنب الشرك لا يغفره الله اذا مات صاحبه وهو لم يتب منه .

قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

وهنا يرد سؤال هل الشرك الأصغر داخل في عموم هذه الآيه بحيث أن فاعله إذا مات عليه يكون معاقبًا بإدخاله نار جهنم أم أنه كبقية الذنوب التى دون الشرك .

هذه المسأله بحثها الشيخ ابن سعدى وذكر فيها كلاما نفيسا .

قال : (من لحظ الى عموم الآيه وأنه لم يخص شركا دون شرك ادخل فيها الشرك الأصغر وقال انه لا يغفر بل لا بد أن يعذب صاحبه لأن من لم يغفر له لابد أن يعاقب ، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ولا بخلوده في النار وأنه يعذب عذابا أبديا - لأن هذا مذهب الخوارج المنحرفين - وانما يقولون يعذب عذابا بقدر شركه ثم بعد ذلك مآله الى الجنة .

وأما من قال ان الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه

---

(١) ضمن فتاوى بعثها السعدى الى الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين ، وهذه الفتاوى بتاريخ ١٣٧٤/٦/٢٩ هـ / مخطوطه .

الآية ، وانما هو تحت المشيئة فانهم يحتجون بقوله تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار)[1] فيقولون كما انه باجماع الأئمة ان الشرك الأصغر لا يدخل تحت هذه الآية التى حكم الله بها للشرك بتحريم الجنة والخلود في النار فلايدخل في قوله تعالى : (لئن أشركت ليحبطن عملك)[2] لأن العمل هنا مفرد مضاف ويشمل الأعمال كلها ، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها الا الشرك الأكبر .

قالوا واذا فارق الشرك الأكبر تلك الأحكام السابقة بأنه لا يحكم عليه بالكفر والخروج من الاسلام ولا بالخلود في النار ، فارقه في كونه شمل الذنوب التى دون الشرك وأنه تحت مشيئة الله ان شاء غفر الله وان شاء عذبه ، ولأن مشاركته للكبائر في أحكامها الدنيوية والأخروية أكثر من مشاركته للشرك الأكبر .

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات وبين السيئات التى هي دون الشرك الأكبر لأن الشرك الأكبر لا موازنه بينه وبين غيره فانه لا يبقى معه عمل ينفع .

وأما السيئات التي دونه فيقع بينها الموازنه من رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة بلاعذاب ، ومن رجحت سيآته على حسناته ، استحق دخول النار بقدر ذنوبه ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف الذين مآلهم الى دخول الجنة ولكن الأولون قد يجيبون عن هذا بأنه قد يعذب صاحبها قبل الموازنه فتسقط الموازنه بها فلا يختص بذلك الشرك

---

(١) سورة المائدة / الآيه ٧٢ .

(٢) سورة الزمر / الآيه ٦٥ .

الأصغر ومن تأمل الأدلة من الكتاب والسنه أمكنه أن يعرف الراجح من القولين)[1] .

وتقدم عند كلامه عن الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر قوله : " وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك في الحكمين فانه لا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الاسلام ولا يخلد في النار اذا لم يفعل مكفرا آخر " .

وهذا يبين أنه يرى أن الشرك الأصغر مثل الكبائر داخل تحت مشيئة الله ان شاء عذب فاعله وان شاء عفى عنه .

ذكر جملة من أنواع الشرك وكلام السعدى عنها :

من أنواع الشرك دعاء غير الله :

قال رحمه الله (ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك كافر)[2] .

ومنها الذبح لغير الله :

قال تعالى ، (قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له)[3] .

وقال : (فصل لربك وانحر)[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم :" لعن الله من ذبح لغير الله "[5] .

---

(١) ضمن الفتاوى السابقة .
(٢) القول السديد / ٥٩ .
(٣) سورة الأنعام / الآيه ١٦٢ .
(٤) سورة الكوثر / الآيه ٢ .
(٥) أخرجه مسلم ١٥٦٧/٣ ، وفي المسند ١١٨/١ .

قال ابن سعدى بعد أن ذكر جملة من النصوص في ذلك : (واذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الاسلام)[١] .

و منها الاستعاذه والاستغاثه بغير الله :

قال تعالى : (قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس)[٢]

وقال : (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا)[٣] .

وقال : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو)[٤] .

قال ابن سعدى في بيان وجوب اخلاص هاتين العبادتين لله ، وان صرفهما لغير الله شرك " أمر الله بالاستعاذه به وحده من الشرور كلها ، وبالاستغاثة به في كل شدة فهذه اخلاصها لله ايمان وتوحيد وصرفها لغير الله شرك وتنديد " .[٥]

كلامه في لبس الحلقه والخيط :

بين ابن سعدى ان الحكم في هذه المسألة يتوقف على معرفة الأسباب

---

(١) القول السديد / ٥١ ، وانظر التفسير ٢ / ٥١٠ .
(٢) سورة الناس / الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) سورة الجن / الآيه ٦ .
(٤) سورة يونس / الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٥) القول السديد / ٥٨ ، وانظر التفسير ٣/ ٢٢٣ .

التى دعت الى لبسها ، اذ أنه باختلاف الأسباب قد تختلف الأحكام .

وبين أن الأسباب الشرعية الجائزة لا تخرج عن ثلاثة أمور :

(أحدها : ان لا يجعل منها سببا الا ماثبت انه سبب شرعا و قدرا .

ثانيها : أن لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها و مقدرها مع قيامه بالمشروع منها و حرصه على النافع منها .

ثالثها : ان يعلم ان الأسباب مهما عظمت و قويت فانها مرتبطة بقضاء الله و قدره لا خروج لها عنه)[1] .

والذى يلبس الحلقة أو الخيط أو غيرهما لا يخرج عن أمرين اما ان يعتقد في الذى لبس انه قادر على رفع الضر وكشف البلاء عنه ، أو يعتقد أن هذا مجرد سبب وأن النافع الضار هو الله ، وعلى هذا الضوء حكم ابن سعدى ، فقال :(من لبس الحلقة و الخيط أو نحوهما قاصدا بذلك رفع البلاء بعد نزوله أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك لأنه اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر . . . .

و ان اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء فقد جعل ماليس سببا شرعيا ولا قدريا سببا و هذا محرم وكذب على الشرع و القدر)[2] .

---

(١) القول السديد / ٤١ ، ٤٢ .

(٢) القول السديد / ٤٣ .

كلامه في زيارة القبور :

قسم ابن سعدي زيارة القبور الى نوعين : نوع مشروع ، ونوع ممنوع.

قال : (أما المشروع فهو ماشرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحل ، يزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما ولأقاربه ومعارفه خصوصا ، فيكون محسنا اليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم ، ومحسنا الى نفسه باتباع السنه وتذكرة الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

وأما الممنوع فانه نوعان :

أحدهما محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل الى الله بأهلها ، والصلاة عندها ، وكاسراجها والبناء عليها ، والغلو فيها وفي أهلها اذا لم يبلغ رتبة العبادة .

والنوع الثاني شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثه بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخرويه منهم ، فهذا شرك أكبر ، وهو عين مايفعله عباد الأصنام مع أصنامهم)[1] .

وهذا آخر مايتعلق بموضوع الشرك وأسبابه وأنواعه ، وقد تبين شدة خطره وضرره .

فالواجب على المسلم أن يحذر منه أشد الحذر وأن يبذل وسعه في سبيل تحقيق التوحيد ، ولا يكون ذلك الا بالسلامة من الشرك بنوعيه والسلامة من البدع والخرافات .

---

(١) القول السديد / ٨١ ، ٨٢ .

قال ابن سعدي : (إن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية والاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية ، ومن المعاصي وذلك بكمال الاخلاص لله في الأقوال والأفعال والارادات ، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله وبالسلامة من البدع)[1] .

---

(١) القول السديد / ٢٥ .

كلامه عن البدعة وأقسامها :

ان من شروط قبول العبادة أن تكون مطابقة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز أن يتعبد الله بعبادة لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)[١]

وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)[٢] .

وقد دلت النصوص على أن كل عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله فهي بدعة محدثة في الدين مردودة على صاحبها غير مقبولة منه .

ففي الصحيحين من حديث عائشة قال صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد "[٣] .

وفي رواية " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "[٤]

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، ويقول " أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " .[٥]

---

(١) سورة الحشر / الآيه ٧ .

(٢) سورة آل عمران / الآيه ٣١ .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) مسلم ٥٩٢/٢ .

وهنا تظهر خطورة الأحداث في دين الله ، لما يترتب على هذا العمل المحدث من عدم قبوله ورده على صاحبه ووصفه بأنه ضلالة وشر ، وأنه في النار ، قال تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)[١] ، وقد بين ابن كثير في تفسيرة أن هذه الآيه " عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود "[٢] .

وقد اعتني ابن سعدى بهذا الموضوع في مؤلفاته ، وبين خطورة الابتداع في دين الله وأضراره وأنه عناء ومشقة على صاحبه دون فائدة بل انه يترتب عليه أضرارا كثيرة .

قال عند قوله تعالى : (ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم)[٣] : " دليل تقييد التطوع بالخير ، أن من تطوع بالبدع التى لم يشرعها الله ولا رسوله ، أنه لا يحصل له الا العناء وليس بخير له بل قد يكون شرا له ان كان متعمدا عالما بعدم مشروعية العمل "[٤] .

وهذا شامل لجميع البدع لا فرق بينها ، فليس هناك بدعة حسنة وبدعة ضلاله بل جميع البدع ضلاله مردوده على اصحابها .

وقد أشار ابن سعدى الى هذا الجانب الهام الذى غلط فيه كثير من

---

(١) سورة الكهف / الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٧/٣ .
(٣) سورة البقرة / الآيه ١٥٨ .
(٤) التفسير ١٨٤/١ .

الناس في مواضع متعدده .

فقال : " وكل من تعبد الله بعباده لم يشرعها الله ولا رسوله فهو متعبد ببدعه " . [١] .

وقال في شرحه لحديث عائشة المتقدم : " وأما حديث عائشة . . . فانه يدل على أن كل بدعة أحدثت في الدين ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ، سواء كانت من البدع القولية الكلامية كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها ، أو من البدع العملية كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ، فان ذلك كله مردود على أصحابه ، وأهله مذمومون بحسب بدعهم وبعدهما عن الدين فمن أخبر بغير ماأخبر الله به رسوله ، أو تعبد بشيء لم يأذن الله به ورسوله ، ولم يشرعه فهو مبتدع ، ومن حرم المباحات أو تعبد بغير المشروعات فهو بمتدع)" [٢] .

وكما تناول جانب البدعة وخطرها وأنها بجميع أنواعها ضلاله ، فقد تناول جانب السنة وبين أن الدين كامل وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ماما ت حتى أتم الله الدين وأكمله ، وبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم ماترك خيرا الا دل أمته عليه ولا شرا الى حذرهم منه .

فقال عند قوله تعالى : (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته . . .) [٣] .

: " . . . فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشر ويسر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين وبلغ بقوله وفعله وكتبه

---

(١) التفسير ١ / ٢٣١ .
(٢) بهجة قلوب الأبرار / ١٢ ، ١٣ .
(٣) سورة المائدة / الآيه ٦٧ .

و رسله . فلم يبق خير الا دل أمته عليه ولا شر الا حذرها عنه .

وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة ، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين " (١) .

وقال عند قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٢) .

: " ولهذا كان الكتاب والسنه كافيين كل الكافيه في احكام الدين وأصوله وفروعه .

فكل متكلف يزعم ، أنه لابد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم الى علوم غيرعلم الكتاب والسنه من علم الكلام وغيره فهو جاهل مبطل في دعواه ، قد زعم أن الدين لا يكمل الا بما قاله ودعا اليه ، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله" (٣) .

والمقصود أن الدين كامل بأخباره وبأوامره ونواهيه وفرائضه وسننه وجميع أحكامه فما ترك الرسول الكريم من خير الا دل أمته عليه ورغبها في العمل به وماترك من شر الا ودل أمته عليه وحذرها منه ، وان من أعظم الشرور التى حذر الرسول الأمة منها الاحداث والابتداع في الدين .

تعريفه للبدعة :

ذكر ابن سعدى تعريفا جامعا للبدعة فقال : (البدعة هي الابتداع

---

(١) التفسير ٢ / ٣٢٠ .

(٢) سورة المائدة / الآيه ٣ .

(٣) التفسير ٢ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

في الدين فان الدين : هو ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة وما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة . فهو من الدين وما خالف ذلك فهو البدعة ، هذا هو الضابط الجامع)[1] .

وقال : " البدعة هي خلاف السنة "[2] .

تقسيمه للبدعه :

قسم ابن سعدي كغيره من العلماء البدعة الى قسمين : -

بدعة قوليه ، وبدعة عملية .

فقال : " تنقسم البدعة بحسب حالها الى قسمين : بدع اعتقاد ويقال لها البدع القوليه وميزانها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى في السنن " ستفترق هذه الأمه على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يارسول الله قال : من كان على مثل ماأنا عليه وأصحابي "[3] .

فأهل السنه المحضة السالمون من البدع الذين تمسكوا بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الأصول كلها أصول التوحيد والرسالة والقدر ومسائل الايمان وغيرها ، وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدريه ورافضه ومرجئه ومن تفرع عنهم كلهم من أهل البدع الاعتقاديه وأحكامهم متفاوته بحسب بعدهم عن أصول الدين وقربهم وبحسب عقائدهم

---

(١) الفتاوى السعدية /٧٣ .
(٢) سؤال وجواب /١٧ .
(٣) أخرجه الترمذى ٥/٢٦ . والمروزى في السنه/١٨ . والآجرى في الشريعة ١٦ ، ١٧ واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنه والجماعة ١/١٠٠ ، وانظر في الكلام عن هذا الحديث مقال الشيخ عبد الكريم مراد بعنوان : حديث تفترق الأمة . في مجلة الجامعة الاسلاميـة ، عدد / ٥٩ ص ٤٧ .

أو تأويلهم ، وبحسب سلامة أهل السنه من شرهم في الأقوال والأفعال وعدمه وتفصيل هذه الجملة يطول جدا .

والنوع الثاني : بدعة عملية ، وهو أن يشرع في الدين عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله وكل عبادة لم يأمر بها الشارع أمر ايجاب أو استحباب فانها من البدع العملية وهي داخله في قوله صلى الله عليه وسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " .[1]

ولهذا كان من أصول الأئمة الامام أحمد وغيره : أن الأصل في العبادات الحظر والمنع فلا يشرع منها الا ماشرعه الله ورسوله ، والأصل في المعاملات والعادات الاباحه فلا يحرم منها الا ماحرمه الله ورسوله .

ولهذا نقول من قصور العلم : جعل بعض العادات التي ليست عبادات بدعا لا تجوز مع أن الأمر بالعكس ، فان الذى يحكم بالمنع منها وتحريمها هو المبتدع فلا يحرم من العادات الا ماحرمه الله ورسوله بل العادات تنقسم الى أقسام ماأعان منها على الخير والطاعة فهو من القرب ، وماأعان على الاثم والعدوان فهو من المحرمات. وماليس فيه هذا ولا هذا فهو من المباحات) .[2]

وهذا النوع الأخير قسمه ابن سعدى الى قسمين :

فقال : (البدعة نوعان :

نوع يتعبد لله بعباده لم يشرعها أصلا .

ونوع يتعبد لله بعباده شرعها على صفة مخصوصة فتفعل على غير تلك الصفه) .[3]

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) الفتاوى السعديه / ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ . وانظر سؤال وجواب / ١٧ .

(٣) التفسير ١ / ١٨٤ .

هذا وان البدع بجميع أنواعها مردوده لا يقبل منها شيء ، وكلها قبيحه ليس فيه حسن ، وكلها ضلاله ليس فيها هدى ، وكلها أوزار ليس فيها أجر وكلها باطله ليس فيها حق .

وما على المسلم الا أن يتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ويعض عليها بنواجذه ، ففي ذلك السلامه من البدع ، والبعد من الشرور ، قال تعالى : (وان تطيعوه تهتدوا) (١) .

وقال : (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقال ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) (٢).

ويمكن أن نصل في نهاية هذا البحث الى خلاصه جامعه :

وهي أن توحيد الالوهيه اعظم المطالب على الاطلاق فمن أجل تحقيقه خلق الله الخلق وانزل الكتب وارسل الرسل ، ومن أجل تحقيقه حارب الرسل أقوامهم وعادوهم من أجله .

ولا يتحقق هذا التوحيد الا بأمور :

أولا : السلامه من الشرك وذلك بتحقيق العباده لله وحده بجميع أنواعها .

ثانيا : السلامه من البدع وهذا يتحقق بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثالثا : السلامه من الذنوب والمعاصي بالبعد عنها وعدم اقترافها .

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٣) .

---

(١) سورة النور/ الآيه ٥٤ .
(٢) سورة الأحزاب / الآيتان ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) سورة الكهف / الآية ١١٠ .

الفصل الثاني

جهوده في توضيح الإيمان بالنبوات

الفصل الثاني

الايمان بالنبوات

ان الرابطة بين هذا الفصل وبين الذى قبله وثيقة جدا ، اذأن الفصل الأول في الحديث عن معرفة الله و وجوب افراده بالعبادة و الحذر من الشرك والبدع .

وهذا لا يكون ولا يحصل الا بارسال هداة للناس يبينون لهم هذا الأمر العظيم و يوضحونه لهم و يرشدونهم اليه .

(ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضروره الى معرفة الرسول وما جاء به و تصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فانه لا سبيل الى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة الا على أيدى الرسل ، ولا سبيل الى معرفة الطيب و الخبيث على التفصيل الا من جهتهم ، ولا ينال رضى الله البته الا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال و الأقوال والأخلاق ليس الا هديهم وماجاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال و الأخلاق والأعمال .

وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة اليهم أعظم من ضرورة البدن الى روحه والعين الى نورها و الروح الى حياتها .

فأى ضرورة و حاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته الى الرسل فوقها بكثير وماظنك بمن اذا غاب عنك هديه و ما جاء به طرفة عين فسد قلبك و صار كالحوت اذا فارق الماء ووضع في المقلاة ، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال ، بل أعظم ، ولكن لا يحس بهذا الا قلب حي ، وما لجرح

بمـيت ايلام)[1] [2] .

وهذا يبين لنا أهمية الايمان بالأنبياء ، وشدة الحاجة اليهم اذ أن السعاده والفلاح في الدنيا والآخره لا يحصل الا عن طريقهم وبارشادهم وهدايتهم .

لذا فان ورثة الأنبياء ، وهم العلماء الصالحون الصالحون السائرون على منهج الأنبياء ، قداهتموا غاية الاهتمام ببيان هذا النوع من الايمان وبينوا أهميته وشدة الحاجة اليه .

ومن سار في هذا الركب وسلك هذا المنهج الصالح الشيخ ابن سعدى فقداهتم رحمه الله ببيان هذا النوع اهتماما عظيما وتناوله من جميع جوانبه في أكثر مؤلفاته .

فتناول الايمان بنبوة جميع الأنبياء جملة وتفصيلا وخص بالذكر خاتمهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وتناول كل مايتعلق بالايمان بالنبوات من جميع الجوانب على ماسيأتي بيانه في هذا الفصل .

كلامه في أهمية الايمان بالنبوات :

ان من نظر وتأمل في الفوائد التى تحصل لمن آمن بالنبوات جميعها على الوجه المطلوب ، عرفه أهمية ذلك وتبين له شدة الحاجة اليه .

وقدعدد ابن سعدى جملة من الفوائد تحصل بسبب معرفة الأنبياء

---

(١) عجز بيت للمتنبي وأوله : من يهن يسهل الهوان عليه . من قصيدة يمدح بها أباالحسين علي بن أحمد المرى . ديوان المتنبي / ١٦٤ ط دار بيروت .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١ / ٦٩ .

والايمان بهم .

فبعد ان بين جملة من العلوم التى اشتمل عليه القرآن الكريم . قال :
(ومنها " أى هذه العلوم " ذكر الأنبياء و ماأرسلوا به و ماجرى لهم مع أممهم
وفي ذلك فوائد :-

- منها ان من تمام الايمان بهم معرفتهم بصفاتهم و سيرهم وأحوالهم و كلما كان المؤمن بذلك أعرف كان أعظم ايمانا بهم و محبة لهم و تعظيما لهم و تعزيزا وتوقيرا .

- و منها : ان من بعض حقوقهم علينا خصوصا النبي محمد صلى الله عليه و سلم معرفتهم و محبتهم محبة صادقة و لا سبيل لذلك الا بمعرفة أحوالهم .

ومنها : أن معرفة الأنبياء موجبه لشكرالله تعالى على مامن به على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة بعد أن كانوا في ضلال مبين :

- و منها : أن الرسل هم المربون للمؤمنين الذين مانال المؤمنون مثقال ذره من الخير الا على ايديهم و بسببهم ، فقبيح بالمؤمن ان يجهل حاله مربيه ومزكيه و معلمه ، واذا كان من المستنكر جهل الانسان بحال أبويه وبباعدته لذلك فكيف بحال الرسول الذى هوأولى بالمؤمنين من أنفسهم و هو أبوهم الحقيقي الذى حقه مقدم على سائر الحقوق بعد حق الله تعالى .

- و منها : أن معرفة ماجرى لهم وماجرى عليهم تحصل للمؤمنين الأسوة والقدوة و يخف عنهم كثير من المقلقات و المزعجات لأنها مهما بلغت من الثقل والشدة فلا تصل الى بعض ماجرى على الأنبياء . قال تعالى : (لقد كان

لكم في رسول الله أسوة حسنة) (١) .

ومن أعظم الاقتداء الاقتداء بتعليماتهم وكيفية ألقاء العلم على حسب مراتب الخلق والصبر على التعليم والدعوة الى الله بالحكمه والموعظة الحسنة والمجادله بالتي هي أحسن وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء .

ومن فوائد معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة الآيات القرآنية المنزله عليه ، وفهم المعنى والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول وسيرته مع قومه واصحابه وغيرهم من الناس فان الأزمنه والأمكنه والأشخاص تختلف اختلافا كثيرا ، فلو أراد الانسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير ، وهذا انما يعرفه من عرف كيف كثر حمل مراد الله ورسوله على العرف الحادث فوقع الخلل الكثير .

ولغير ذلك من الفوائد المفيدة والنتائج السديدة) (٢) .

وذكر هذه الجملة من الفوائد الحاصلة لمن عرف الرسل وآمن بهم يشعر بأهمية الايمان بهم وشدة الحاجة اليهم .

كلامه في الايمان بالنبوات على وجه الاجمال :-

قبل الشروع في تفاصيل موضوع النبوات أرى من المناسب أن أذكر كلام الشيخ ابن سعدى عن الايمان بالأنبياء على وجه الاجمال .

قال ابن سعدى في بيان هذا الأصل وماينبغي على المسلم أن يقوم به

---

(١) سورة الأحزاب / الآيه ٢١ .
(٢) التفسير ١/ ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر الخلاصة / ١٠١ .

نحوه اجمالا :

(وهذا الأصل مبناه على أن يعترف ويعتقد بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وارساله ، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ماجاءوا به ، وأنهم أكمل الخلق علما وعملا ، وأصدقهم وأبرهم ، وأكملهم أخلاقا وأعمالا ، وأن الله خصهم بخصائص وفضلهم بفضائل ،لا يلحقهم فيها أحد .

وأن الله برأهم من كل خلق دنيء ورذيل ، وأنهم معصومون في كل مايبلغونه عن الله ، وأنه لا يستقرفي خبرهم وتبليغهم الا الحق والصواب . وأنه يجب الايمان بهم وبكل ماأتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم) [١] .

ثم أشار الى أهمية الايمان بهم وأن الايمان لا يتم الا بالايمان بهم فقال (... فلا يتم الايمان الا بذلك ، وكل من كان أعظم علما بذلك وتصديقا واعترافا وعملا ، كان أكمل ايمانا) [٢] .

وبين أن الايمان بالأنبياء على هذه الصفه يعتبر من الايمان بالغيب فقال : (ومن الايمان بالغيب الايمان بجميع رسل الله الذين أرسلهم الله على وجه الاجمال والتفصيل لاشخاصهم ولدعواتهم وشرعهم ... الى أن قال فتمام الايمان بالغيب أن يؤمن العبد بجميع رسل الله ويعرف من صفاتهم ومن دعوتهم مايحقق به هذا الأمر) [٣] .

---

(١) الفتاوى السعديه / ١٤ . وانظرسؤال وجواب / ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٢) الفتاوى السعديه / ١٥ .

(٣) المواهب الربانيه / ٦٥ .

كلامه في الفرق بين النبوة والرسالة :

النبي لغة : مشتق من النبأ وهو الخبر ، وقيل النبوة مشتقة من النبوه وهي ما ارتفع من الأرض .(١)

والرسول لغة : مشتق من رسل التي تدل على الانبعاث والامتداد فيقال أرسلت فلانا في رسالة أي بعثته فهو مرسل ورسول ويجمع على رُسُل ورُسْل .(٢)

هذا من حيث اللغة أما تعريف النبي وتعريف الرسول من حيث الاصطلاح فللعلماء فيهما أقوال عديدة :

فقيل : النبي من أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول من أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه .(٣)

وهذا التعريف عليه مآخذ إذ فيه اشارة إلى أن النبي غير مأمور بالابلاغ، وهذا فيه كتمان للعلم .

والله يقول : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)(٤) .

اضافة إلى هذا فهو يتعارض مع نصوص كثيرة تفيد أن النبي مأمور بالابلاغ

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ١/٧٤ ، ومعجم مقاييس اللغه لابن فارس ٥/٣٨٥ وبصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ٥/١٤ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٤/١٧٠٨ ، ومعجم مقاييس اللغه لابن فارس ٢/٣٩٢ ، وبصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ٢/٩٨ .

(٣) لوامع الأنوار البهية ١/٤٩ ، وشرح العقيدة الطحاويه /١٠٧ .

(٤) سورة آل عمران / الآيه ١٨٧ .

منها قوله تعالى :

(وماأرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضـــراء) [(١)]

و قولــه :

(وماأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته . . .) [(٢)] .

و قول الرسول صلى الله عليه و سلم : " عرضت علي الأمم فرأيت النبـــي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد . . . . " [(٣)]

و هؤلاء انما حصل لهم اتباع بسبب ابلاغهم وحي الله الى الناس.

الى غير ذلك من النصوص الدالة على أن النبي مأمور بالابلاغ .

وهذا التعريف هو الشائع عند العلماء [(٤)] ، وعليه يكون بين الرســـول والنبي عموم و خصوص مطلق فالنبوه داخلة في الرسالة ، والرسالة أعم مـــن جهة نفسها وأخص من جهة أهلها ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رســـولا ، فالأنبياء أعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة ، فالرسالة تتناول النبوة وغيرهـــا بخلاف النبــوة فانها لا تتناول الرسالة . [(٥)]

و قيل : الرسول من أوحي اليه بشرع جديد ، والنبي هوالمبعـــوث لتقرير شرع من قبله . [(٦)]

---

(١) ســورة الأعراف / الآيه ٩٤ .
(٢) ســورة الحج / الآيــه ٥٢ .
(٣) أخرجه البخارى ٧/ ١٩٩ و مسلم ١/ ١٩٩ عن ابن عباس ، واللفظ لمسلم.
(٤) لوامع الأنوار البهيه ١/ ٤٩ ، وشرح العقيدة الطحاويه / ١٠٧ ، معارج القبول للحكمي ٢/ ٩٧ .
(٥) الايمان لابن تيميه / ٦ ، ٧ .
(٦) تفسير الألوسي ١٧/ ١٥٧ ، والكشاف للزمخشرى ٢/ ٤١٤ .

وهذا أيضا يرد عليه اعتراض ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث أعواما بعد النبوة لم يؤمر فيها بالتبليغ ، حتى نزلت عليه سورة المدثر . واصبح رسولا فأخذ يبلغ .[1]

ومن خلال تتبعي واستقرائي لجميع مؤلفات السعدى ، لم أره تعرض لهذه المسألة الا في موضوع واحد ، مال فيه الى القول الأول .

فقال عند تفسيره لقوله تعالى : (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) .[2]

(. . . . فالرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل ، وتبليغ جميع ماجاء به من الشرع دقه وجله ، والنبوة تقتضي ايحاء الله اليه وتخصيصه بانزال الوحي اليه ، فالنبوة بينه وبين ربه ، والرساله بينه وبين الخلق) .[3]

وقد تقدم معنا مايرد على هذا التعريف من مآخذ واعتراضات ، لذا فاني أرى أن أسلم تعريف للنبوة والرسالة .

هو ماذكره شيخ الاسلام في كتابه النبوات حيث قال في بيان الفرق بين النبوة والرسالة : (والمقصود هنا الكلام على النبوة فالنبي هو الذى ينبئه الله ، وهو ينبيء بما أنبأ الله به ، فان أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول) [4] . والله أعلم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٤٠ .

(٢) سورة مريم / الآيه ٥٦ .

(٣) التفسير ٥ / ١١٦ .

(٤) النبوات لابن تيميه / ٢٥٥ .

كلامه عن التفاضل بين الأنبياء :

وأن بعضهم أفضل ، لقد ورد في القرآن الكريم مايدل على أن الأنبياء متفاضلون ، وأن بعضهم أفضل من بعض .

قال الله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)[1] .

وقال : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا)[2] . فالآية الأولى تدل على أن هناك مفاضلة بين الرسل وأن بعض الرسل أفضل من بعض ، والآية الثانية تدل أيضا على أن هناك مفاضلة بين الأنبياء وأن بعضهم أفضل من بعض .

وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء لانه كما تقدم الرسول أشمل وأعم من النبي اذ كل رسول نبي وليس كل نبي رسول .

وهذه المسأله " مسألة المفاضله بين الرسل " تناولها ابن سعدى في مؤلفاته وبين أن هناك مفاضله بين الرسل والأنبياء ، كما بين من هو أفضلهم ومنهم أولو العزم من الرسل .

فقال عند تفسيره لقوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)[3] . (يخبر البارى أنه فاوت بين الرسل في الفضائل الجليلة والتخصيصات الجميلة

---

(١) سورة البقرة / الآيه ٢٥٣ .
(٢) سورة الاسراء / الآيه ٥٥ .
(٣) سورة البقرة / الآيه ٢٥٣ .

بحسب ما من الله به عليهم ، وقاموا به من الايمان الكامل واليقين الراسخ والأخلاق العالية والآداب الساميه والدعوة والتعليم والنفع العميم. فمنهم من اتخذه خليلا ومنهم من رفعه فوق الخلائق درجات ...)[1] .

وعند تفسيره لقوله تعالى : (وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض)[2] .

قال : (فيعطي كلا منهم مايستحقه وتقتضيه حكمته ، ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية ، كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض ، بالفضائل والخصائص الراجعه الى ما من به عليهم ، من الأوصاف الممدوحه ، والأخلاق المرضية ، والأعمال الصالحة وكثرة الاتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية)[3] .

وبين رحمة الله أن الرسل الذين قصهم الله في كتابه وذكر شيئا من خبرهم أفضل ممن لم يقصص ، كما قال تعالى :

(ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ...)[4] .

قال ابن سعدى : (.. فالرسل الذين قصهم الله في كتابه ، أفضل ممن لم يقصص علينا نبأهم بلا شك)[5] .

---

(١) التفسير ١/٣١٠ .
(٢) سورة الاسراء / الآيه ٥٥ .
(٣) التفسير ٤/٢٨٩ ، ٢٩٠ .
(٤) سورة النساء / الآيه ١٦٤ .
(٥) التفسير ٢/٤٣٠ .

أولو العزم من الرسل :

وكما تناول ابن سعدى مسألة المفاضلة بين الرسل والأنبياء فقد تناول وبين أولي العزم منهم .

قال رحمه الله (أفضل أنبياء الله المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولوا العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامام المتقين وسيد ولد آدم)[1] .

وهؤلاء الخمسه أولو العزم من الرسل خصهم الله بالذكر مجتمعين في بعض الآيات .

فقال سبحانه : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)[2] .

وقال : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)[3] .

وأمر رسوله أن يصبر ويتحمل من أذية قومه له ، كما صبر اخوانه ، أولو العزم من الرسل فقال : (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ..)[4] .

---

(١) طريق الوصول / ٢٩٩ ، وانظر التفسير ٦/ ٢٠١ و ٦/ ٥٩٨ .

(٢) سورة الشورى / الآيه ١٣ .

(٣) سورة الأحزاب / الآيه ٧ .

(٤) سورة الأحقاف / الآيه ٣٥ .

قال ابن سعدى : (أمر تعالى رسوله ، أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له ، وأن لا يزال داعيا لهم الى الله ، وأن يقتدى بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم وتم يقينهم . فهم أحق الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم والاهتداء بمنارهم)[1] .

كلامه في بعض صفات أولي العزم من الرسل :

هؤلاء الخمسه أولو العزم من الرسل اختص الله كل واحد منهم ببعض الخصال العظيمة والمناقب الحميده ، امتازوا بها عن غيرهم من الأنبياء .

وقد ذكر ابن سعدى بعض ما امتاز به أفراد هؤلاء الرسل من الخصال فذكر أن نوحا امتاز بأنه أول رسول أرسله الله ، وأنه الأب الثاني للبشرية وجميع الأنبياء الذين جاءوا من بعده كلهم من ذريته .[2]

وذكر أن ابراهيم عليه السلام امتاز بأنه خليل الرحمن وأن الله أكرمه بالكرامات المتنوعه فجعل في ذريته النبوه والكتاب وأخرج من صلبه أمتين هما أفضل الأمم العرب وبنو اسرائيل ، واختاره الله لبناء بيته الذى هو أشرف بيت وأول بيت وضع للناس ، ووهب له الأولاد بعد الكبر واليأس وملأ بذكره مابين الخافقين ، وامتلأت قلوب الخلق من محبته وألسنتهم من الثناء عليه .[3]

---

(١) التفسير ٧/٥٩ ، ٦٠ .

(٢) انظر الخلاصه / ١٠٩ والتفسير ٥/١١٠ .

(٣) انظر الخلاصه / ١٢٢ والتفسير ٧/٣٠٢ .

وذكر أن موسى عليه السلام امتاز بأنه كليم الله ، وأنه أعظم أنبياء بني اسرائيل وأن شريعته وكتابه التوراة مرجع أنبياء بني اسرائيل وعلمائهم ، وأن أتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن له من القوة العظيمة في اقامة دين الله والدعوة اليه والغيرة العظيمة ماليس لغيره .(١)

وذكر أن عيسى عليه السلام امتاز بأن الله سبحانه آتاه من البينات الدالة على صدقه وأنه رسول الله حقا ، فجعله يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله ، وكلم الناس في المهد صبيا ، وأيده بروح القدس .(٢)

وذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل على الاطلاق ، وأنه خاتم النبيين ، وامام المتقين وسيد ولد آدم ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا ، وخطيبهم اذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون وصاحب لواء الحمد والحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذى بعثه بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن مافرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقا وأولهم بعثا .(٣)

كلامه في أن الرسل أفضل الخلق وأكملهم :

اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يصطفي لابلاغ دينه ولتحمل رسالته إلا صفوة الخلق وأفضلهم .

إذ أن كمال الرسل واختصاصهم بالفضل يوجب على الأمم تصديقهم

---

(١) انظر الخلاصة / ١٢٩ ، والتفسير ٧ / ٦١٤ .

(٢) التفسير ١ / ٣١٠ .

(٣) طريق الوصول / ٢٩٩ .

والانقياد لهم ، والسير على نهجهم وهذا من رحمة الله بعباده ولطفه بهم .

قال تعالى : (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)[1] .

وقال تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)[2] .

قال ابن سعدى : (فالرسل لا يكونون الا صفوة الخلق على الاطلاق ، والذى اختارهم واجتباهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء فاختياره اياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك ، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[3])[4] .

لذلك فان الأنبياء لا يدعون الا للخير والاصلاح ولا ينهون الناس الا عن الشر والفساد .

قال ابن سعدى : (الأنبياء جميعهم بعثوا بالاصلاح والصلاح ، ونهوا عن الشرور والفساد ، فكل صلاح واصلاح ديني ودنيوى فهو من دين الأنبياء وخصوصا امامهم وخاتمهم فانه أبدى وأعاد في هذا الأصل ووضح للخلق الأصول النافعه التى يجرون عليها في الأمور العادية

---

(١) سورة الحج / الآيه ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران / الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة الأنعام / الآيه ١٢٤ .

(٤) التفسير ٣٢٨/٥ .

والدنيوية كما وضع لهم الأصول في الأمور الدينية)[1] .

ولا ريب أن معرفة هذه الصفات التي توفرت في الأنبياء وفي دعوتهم ، دافع عظيم لمن سمع بها وعرفها وحافز له لأن يتأسى بهم ويترسم خطاهم ، وهذه هي الفائدة والثمرة من معرفة الأنبياء وأحوالهم .

قال ابن سعدى : (لما أخبر الله عن كمال الرسل وما أعطاهم من الفضل والخصائص وأن دينهم واحد ودعوتهم الى الخير واحده كان موجب ذلك ومقتضاه أن تجتمع الأمم على تصديقهم والانقياد لهم لما آتاهم من البينات التي على مثلها يؤمن البشر ، لكن أكثرهم انحرفوا عن الصراط المستقيم ووقع الاختلاف بين الأمم فمنهم من آمن ومنهم من كفر)[2] .

بيانه أن الكفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء :

ولما كان الأنبياء بهذه المثابة وعلى هذه الصفات رغايتهم واحدة وهدفهم واحد وجب على كل مسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم ، وصار الكفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء .

قال ابن سعدى : الواجب في الايمان بالأنبياء ، أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول ، ثم ماعرف منهم بالتفصيل وجب الايمان به مفصلا)[3] .

وبين أن الكفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء فقال : (من عادى أحدا من رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله كما قال تعالى : (من كان عدوا

---

(١) الخلاصة / ١٢٨ .
(٢) التفسير ١ / ٣١١ .
(٣) التفسير ١ / ١٤٦ .

لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين)[١] وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل بل بالرسول الذى يزعم أنه مؤمن به)[٢] .

وقال : (جميع الأنبياء دعوتهم واحدة ، من كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع لأنه يكذب الحق الذى جاء به كل واحد منهم)[٣] .

وهذا الذى ذكره ابن سعدى دلت عليه نصوص كثيره :

منها قوله تعالى :

(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)[٤] .

وقوله : (كذبت قوم نوح المرسلين)[٥] .

وقوله : (كذبت عاد المرسلين)[٦] .

وقوله : (كذبت ثمود المرسلين)[٧] .

وغيرها من الآيات ، فمن كذب برسالة أحد الرسل أو نفاها ، فقد نفى أعظم منةٍ امتنَّ اللهُ بها على عبادهِ ، إذ أن العبادَ لا طريق لهم إلى نيلِ السعادةِ والكرامةِ والفلاحِ إلا عن طريقِ الرسلِ ، ويكون بذلك قد كذب بالرسولِ الذى يزعم أنه آمن به وبغيره من الرسل .

---

(١) سورة البقره / الآيه ٩٨ .

(٢) التفسير ٢ / ٢٠٨ .

(٣) الخلاصه / ١١٥ .

(٤) سورة النساء / الآيتان ١٥٠ ، ١٥١ .

(٥) سورة الشعراء / الآيه ١٠٥ .

(٦) سورة الشعراء / الآيه ١٢٣ .

(٧) سورة الشعراء / الآيه ١٤١ .

كلامه في خلاصة دعوة الرسل :-

تقدم معنا في توحيد الألوهيه أن الله سبحانه ماخلق الخلق الا لعبادته وماأوجدهم الا لتحقيق توحيده وطاعته ، كما قال تعالى :
(وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)[1] .

ولتحقيق هذا الأمر العظيم جعل الله بينه وبين خلقه وسائط في تبليغ الرسالة فاصطفى لهذا الأمرالعظيم أفضل الملائكه وأفضل الرسل ، وأمرهم بتبليغ وحيه وايصاله الى الناس .

فقاموا بذلك أتم قيام وأكمله ، وعصمهم الله من الخطأ في تبليغ هذا الوحي . فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى ، لأن مقصود الرسالة لا يحصل الا بذلك .[2]

ومقصود الرسالة الأعظم وأهم أمر بعثوا من أجله ، هو الدعوة الى عبادة الله وحده ، وافراده بجميع أنواع العبادة ، والتحذير من الشرك والبدع وجميع الأنبياء متفقون على هذا المبدأ ، وسائرون على هذه المنهج ، فما من نبي أرسله الله إلا وكان أول مايدعو قومه إليه عبادة الله وحده وعدم الاشراك به .

قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[3] .

وقال : (وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا

---

(١) سورة الذاريات / الآيه ٥٦ .
(٢) التفسير لابن سعدى ٦/٤٢٤ .
(٣) سورة النحل / الآيه ٣٦ .

فاعبدون) [1] .

وقد اهتم ابن سعدى ببيان هذه المسألة أعظم اهتمام اذ هي أفضل وسيلة الى أعظم الغايات .

قال رحمه الله : (جميع الرسل من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم . متفقون على الدعوة الى التوحيد الخالص والنهي عن الشرك فنوح وغيره أول مايقولون لقومهم : (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) .

ويكررون هذا الأصل بطرق كثيره) [2] .

وقال : (زبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله : (أن أنذروا أنه لا اله الا أنا) أى على معرفة الله وتوحيده في صفات العظمة التى هي الألوهيه وعبادته وحده لا شريك له فهي التى أنزل بها كتبه وأرسل رسله ، وجعل الشرائع كلها تدعو اليها وتحث وتجاهد من حاربها وقاوم بضدها) [3] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) .

: (فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وبيان أنه الاله الحق المعبود وأن عبادة ماسواه باطله) [4] .

---

(١) سورة الأنبياء / الآيه ٢٥ .
(٢) الخلاصه / ١٠٩ .
(٣) التفسير ٤ / ١٨٣ .
(٤) التفسير ٥ / ٢٢٣ .

وتناول رحمه الله في تفسيره للقرآن وفي خلاصة تفسير القرآن دعـوة كل نبي ، وبين أنها كلها تدور حول تحقيق هذا الأصل العظيم .

فبين أن دعوة نـوح[(١)] وابراهيم[(٢)] ، وموسى[(٣)] ، وهود[(٤)] ، وصالـح[(٥)] ، وشعيب[(٦)] ، ولوط[(٧)] وخاتمهم محمد[(٨)] صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الأنبياء ، تدور حول الأمر بعبادة الله والتحذير من الشرك .

وبين رحمه الله أن ضد التوحيد وهو الشرك محبط للعمل في نبـوة جميع الأنبياء .

فقال عند تفسيره لقوله تعالى : (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين)[(٩)] .

قال : (ففي نبوة جميع الأنبياء أن الشرك محبط لجميع الأعمال كما قال الله تعالى : في سورة الأنعام لما عد كثيرا من أنبيائه ورسله ، قال عنهم : (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط

---

(١) التفسير ٤١٧/٣ والخلاصة /١٠٧ .
(٢) الخلاصة/١١٦ .
(٣) الخلاصه /١٢٩ .
(٤) التفسير ٤٢٩/٣ ، والخلاصة/١١٢ .
(٥) التفسير ٤٣٦/٣ ، والخلاصه / ١١٤ .
(٦) التفسير ٤٤٧/٣ ، والخلاصه /١٢٦ .
(٧) الخلاصه /١٢٤ .
(٨) الخلاصه / ١٦٤ .
(٩) سورة الزمر / الآيه ٦٥ .

عنهم ما كانوا يعملون)[1])[2] .

وقال عند تفسير هذه الآيه : (فاذا كان هؤلاء الصفوه الأخيار لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم ، فغيرهم من باب أولى) .[3]

هذا وقد تعرضنا لتفاصيل هذا الموضوع عند الحديث عن توحيد الألوهيه وانما هذه اشارة ناسب المقام ذكرها عند الحديث عن النبوات .

---

(١) سورة الأنعام / الآيه ٨٨ .

(٢) التفسير ٦/٤٩١ .

(٣) التفسير ٢/٤٣٠ .

موقف طوائف الضلال من الأنبياء :

يتمثل قول جميع طوائف الضلال في الأنبياء عليهم السلام في طرفين كلاهما ذميم ، الغلو ، والجفاء ، أو الافراط والتفريط .

ويتمثل جانب الغلو من الأمم السابقة في النصارى ، وجانب الجفاء يتمثل في اليهود .

ومن أوضح الأمثلة المبينة لذلك : " موقف هاتين الطائفتين من عيسى عليه السلام " .

فالنصارى غلو فيه عليه السلام فجعلوه تارة إلهاً وتارة ابن الاله ، وثالث ثلاثه واما اليهود فقد جفوا في حقه عليه السلام فقالوا - وقبح الله قولهم - انه ابن بغي .

قال ابن سعدى : (اختلفت فرق الضلال في عيسى عليه السلام من اليهود والنصارى وغيرهم ، فمن غال فيه وجاف .

فمنهم من قال انه الله ، ومنهم من قال انه ابن الله ومنهم من قال انه ثالث ثلاثة .

ومنهم من لم يجعله رسولا بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود . وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد)(1) .

وموقف أهل السنه هو التوسط بين جانبي الغلو والجفاء فيقولون ان عيسى رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وهكذا موقفهم مع جميع أنبياء

---

(1) التفسير ٥/١٠٦ .

الله ورسله يؤمنون بهم جملة ، ويؤمن بهم تفصيلا وفقا لما ورد في الكتاب والسنه .

كلامه في مدعي النبوة :

قال الله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما)[1] .

هذه الآيه دليل على أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأنه كما تقدم مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا عكس .

وقد ورد في السنه أحاديث كثيره تدل على أن الرسالات ختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده ولا رسول .

قال صلى الله عليه وسلم : (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنه فكان من دخلها فنظر اليها قال ما أحسنها الا موضع هذه اللبنه فأنا موضع اللبنه ختم بي الأنبياء عليهم السلام)[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بي النبيون)[3] .

---

(١) سورة الأحزاب / الآيه ٤٠ .

(٢) أخرجه البخارى ٤/ ١٦٢ ومسلم ٤/ ١٧٩١ وأحمد ٢/ ٢٥٧ .

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٣٧١ وأحمد ٢/ ٤١٢ ،والترمذى ٤/ ١٢٣ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إنّ لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذى يمحو الله تعالى به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي)[١] .

وغيرها من الأحاديث، قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر جملة من هذه الأحاديث الدالة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده .

قال : (والأحاديث في هذا كثيره ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنه المتواتره عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك ودجال ضال مضل ، ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب)[٢] .

هذا وقد أخبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه سيخرج في امته دجالون كذابون ، كلهم يزعمون كذبا وزورا أنهم مرسلون من عند الله .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله "[٣] .

---

(١) أخرجه البخارى ٤/١٦٢ ، ومسلم ٤/١٨٢٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٤٩٤ .

(٣) البخارى ٤/١٧٨ ومسلم ٤/٢٢٤٠ .

(وقد ظهر بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من أدعياء النبوه كمسيلمه والأسود العنسي وسجاح . ولا يزال يظهر بين الفينه والفينه دعي من أمثال هؤلاء .

وقد ظهر في القرن الماضي على محمد الشيرازى (ولد سنة ١٨١٩ م) ولقب بالباب وأتباعه يدعون البابيه ، وادعى النبوه حينا والألوهيه حينا ، وسار على نهجه تلميذه الذى لقب (ببهاء الله) وأتباعه يدعون البهائيه .

ومن هؤلاء الأدعياء ميرزا غلام أحمد القادياني ، وله أتباع منتشرون في الهند والمانيا وانكلترا وامريكيا ، ولهم فيها مساجد يضللون بها المسلمين ، وكانوا يسمون بالقاديانيه ، وهم يسمون اليوم أنفسهم بالاحمديه امعانا في تضليل عباد الله .

وآخر هؤلاء الأدعياء رجل ظهر في السودان يدعي أنه نبي وقد تكفل الله بفضح كل من ادعى هذه الدعوى وهتك ستره) [1] .

وقد اهتم علماء المسلمين قديما وحديثا بكشف كذب هؤلاء وبيان زيغهم وضلالهم وفجورهم وكفرهم ، وبعدهم عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وقد أشار ابن سعدى الى مسألة ادعاء النبوه في بعض مؤلفاته وبين أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده ، وبين أن ادعاء النبوة من أظلم الظلم وأعظم الكذب على الله .

فقال عند قوله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي

---

(١) الرسل والرسالات لدكتور عمر الأشقر / ٢٢٢ .

الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله)[1] .

(ويدخل في ذلك ادعاء النبوه وأن الله يوحي اليه وهو كاذب في ذلك فانه مع كذبه على الله وجرأته على عظمته وسلطانه يوجب على الخلق أن يتبعوه ويجاهدهم على ذلك ، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم .

ويدخل في هذه الآيه كل من ادعى النبوه كمسيلمه الكذاب والأسود العنسي والمختار وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف)[2] .

وقد أشار في خلاصة التفسير الى بعض الفوارق بين الأنبياء حقا ، وبين ادعياء النبوة فقال :

(فان الأنبياء يصدق بعضهم بعضا ، ويشهد بعضهم لبعض ، ويكون كل ماجاءوا به متفقا لا يتناقض ، لأنه من عند الله محكم منتظم .

وأما الكذبه فانهم لابد أن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم ويعلم كذبهم بمخالفته لما يدعو اليه الأنبياء الصادقون)[3] .

بيانه أن الأنبياء ليس منهم نساء :

ذهب بعض العلماء إلى أن من النساء نبيه . منهم : القرطبي وابن حزم وغيرهما .

والذى عليه جمهور العلماء ، هو أن الذكورية شرط في الرسالة

---

(١) التفسير ٢ / ٤٣٤ .

(٢) الخلاصة / ١٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٤٩٦ وفتح البارى لابن حجر ٦ / ٤٤٧ .

والنبوة وعليه فإنه ليس من النساء نبيه [١] .

واستدلوا بقوله تعالى :

(وماارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) [٢] .

وقد تناول ابن سعدى هذه المسألة وبين أن النساء ليس منهن نبيه فقال عند قوله تعالى : (وأمه صديقه) [٣] .

(.. وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبيه بل أعلى أحوالها الصديقيه وكفى بذلك فضلا وشرفا ، وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبيه لأن الله تعالى جعل النبوه في أكمل الصنفين في الرجال كما قال تعالى : (وماأرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) [٢] .) [٤]

وقال عند تفسير هذه الآيه : (أى لست ببدعٍ من الرسل ، فلم نرسلْ قبلك ملائكة بل رجالا كاملين لا نساء) [٥] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٩٦ وفتح البارى لابن حجر ، ٦/٤٤٧ .

(٢) سورة يوسف / الآيه ١٠٨ .

(٣) سورة المائده / الآيه ٧٥ .

(٤) التفسير ٢/٣٢٦ .

(٥) التفسير ٤/٢٠٥ .

بيانه أن الخضر ليس بنبي :

اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو رسول أو ولي ، كما قال الراجز

واختلفت في خضر أهل العقول

قيل نبي أو ولي أو رسول [١]

فذهب بعضهم الى أن الخضر نبي واستدلوا بسياق الآيات في سورة الكهف ، كقوله تعالى : (آتيناه رحمة من عندنا) [٢] .

فقالوا المراد بالرحمة في الآية رحمة النبوة .

و قوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) [٢] .

فقالوا هذا العلم هو مايوحيه الله اليه عن طريق الوحي .

واستدلوا بأفعال الخضر من قتل الغلام و خرق السفينه وبناء الجدار ثم قوله بعد ذلك (و مافعلته عن أمرى) [٣] .

فقالوا هذا الأمر أوحى الله به الى الخضر و لم يفعله من تلقاء نفسه و كل ذلك يدل على نبوته . [٤]

و ذهب بعض العلماء الى أن الخضر عبد صالح وليس بنبي ، و ذلك لأن الله سبحانه لم ينص على نبوته ، وانما وصفه بالعبوديه ، فلذلك يوقف عند نص الآيه .

---

(١) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٤ /١٥٨ .

(٢) سورة الكهف / الآيه ٦٥ .

(٣) سورة الكهف / الآيه ٨٢ .

(٤) الزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر ضمن مجموعة الرسائل المنيريه ٢ /١٩٧ ، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٤ /١٥٨ .

ومن هؤلاء الشيخ ابن سعدى فقد ذهب الى أن الخضر عليه السلام عبد صالح وليس بنبي ، اكتفاء بما نصت عليه الآيه من وصفه بالعبودية وعدم وصفه بالنبوة .

فقال بعد تفسيره للآيات المتعلقة بنبأ موسى مع الخضر : (وفي هذه القصة العجيبة الجليلة من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير ، ننبه على بعضه بعون الله ... ثم قال : و منها : أن ذلك العبد الذي لقياه ، ليس نبيا ، بل عبدا صالحا لأنه وصفه بالعبوديه ، وذكر منّة الله عليه بالرحمة والعلم ، ولم يذكر رسالته ولا نبوته ، ولو كان نبيا لذكر ذلك كما ذكر غيره .

وأما قوله في آخر القصه (وما فعلته عن أمرى) [1] فانه لا يدل على أنه نبي وانما يدل على الالهام والتحديث كما يكون لغير الأنبياء .

كما قال تعالى : (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) [2] .
(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا) [3]) [4] .

وقال في خلاصة التفسير : (.... ذلك العبد الذى لقياه ليس نبيا ، بل هو عبد صالح ملهم لأن الله ذكره بالعلم والعبودية الخاصة والأوصاف الجميله ، ولم يذكر معها أنه نبي أو رسول) [5] .

---

(١) سورة الكهف / الآيه ٨٢ .
(٢) سورة القصص / الآيه ٧ .
(٣) سورة النحل / الآيه ٦٨ .
(٤) التفسير ٥/٦٥ ، ٦٦ .
(٥) الخلاصه / ١٤٦ .

فائده تتعلق بالخضر :-

قال ابن سعدى عند تفسيره لقوله تعالى : (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون)[1] . " وهذه الآيه تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر ، وأنه مخلد في الدنيا فهو قول لا دليل عليه ومناقض للأدله الشرعية " [2] .

---

(١) سورة الأنبياء / الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) التفسير ٢٢٨/٥ ، ٢٢٩ .

الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

هذا أصل عظيم من أصول الايمان التي ينبني عليها ، بل لا يحصل الايمان لأحد حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وسيد الأولين والآخرين .

وقد اهتم ابن سعدى ببيان هذا الأصل العظيم في مواضع متعددة من مؤلفاته ، وتناوله من جوانب متعددة .

فبين أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل النبيين ، وأن الأنبياء جميعهم مقرون بدعوته وبين وجوب الايمان به وتصديقه ومحبته وأن ذلك من موجبات الايمان ، وبين أن الله قرر نبوته في القرآن الكريم بأساليب مختلفة . وبين دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم واهتمامه بالتوحيد وتحذيره من الشرك ، وغير ذلك من الجوانب الهامة المتعلقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على ماسيأتي تفصيله وبيانه ان شاء الله .

وسنبدأ الحديث أولا عن فضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء والمرسلين وبيان ابن سعدى لذلك .

بيانه أن محمدا أفضل الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام :

قال ابن سعدى في بيان فضل النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء (فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بفضائل كثيرة فاق بها جميع الأنبياء ، فكل خصلة حميدة ترجع الى العلوم النافعة والمعارف الصحيحة والعمل الصالح فلنبينا منها أعلاها وأفضلها وأكملها .

ولهذا لما ذكر الله أعيان الأنبياء الكرام قال لنبيه .

(أولـئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[١]

وهداهم هو ماكانوا عليه من الفضائل الظاهره والباطنة ، وقد تمم صلى الله عليه وسلم ماأمر به وفاق جميع الخلق ، ولذلك خص الله نبينا بخصائص لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء منها : هذه الخمسه التى عادت على أمته بكل خير وبركه ونفع)[٢] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (أولـئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[٣] : " أى : امش أيها الرسول الكريم خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار واتبع ملتهم وقد امتثل صلى الله عليه وسلم ، فاهتدى بهدى الرسل قبله وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص ، فاق بها جميع العالمين ، وكان سيد المرسلين وامام المتقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وبهذا الملحظ استدل بهذا من استدل من الصحابه ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل كلهم)[٤] .

وأعظم بيان لذلك وأوضح دليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد

---

(١) سورة الأنعام / الآيه ٩٠ .
(٢) بهجة قلوب الأبرار / ٨٤ ، ويقصد بالخصائص الخمس ماورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامه) . أخرجه البخارى ١/٨٦ .
(٣) سورة الأنعام / الآيه ٩٠ .
(٤) التفسير ٢/٤٣١ .

ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)[1] .

بيانه أن الأنبياء جميعهم مقرون بنبوته :

قال تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)[2]

قال ابن سعدى في تفسير هذه الآيه : (هذا اخبار منه تعالى ، أنه أخذ عهد النبيين وميثاقهم كلهم ، بسبب ماأعطاهم ومنبه عليهم من الكتاب والحكمة ، المقتضي للقيام التام بحق الله وتوفيقه أنه ان جاءهم رسول مصدق لما معهم ، بمابعثوا به من التوحيد والحق والقسط والأصول التي اتفقت عليها الشرائع أنهم يؤمنون به وينصرونه .

فأقروا على ذلك واعترفوا والتزموا وأشهدهم وشهد عليهم وتوعد من خالف هذا الميثاق ، وهذا أمر عام بين الأنبياء جميعهم طريقهم واحد ، وأن دعوة كل واحد منهم قد اتفقوا وتعاقدوا عليها .

وعموم ذلك ، أنه أخذ على جميعهم الميثاق بالايمان والنصره لمحمد صلى الله عليه وسلم ...)[3] .

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٢ من حديث أبي هريرة .

(٢) سورة آل عمران / الآيه ٨١ .

(٣) التفسير ١/ ٣٩٦ .

كلامه في وجوب الايمان به ومحبته وطاعته :

قال ابن سعدى في بيان وجوب الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والتزام طاعته وتصديقه .

(يجب معرفة جميع ماجاء به من الشرع جملة وتفصيلا ، بحسب الاستطاعة والايمان بذلك والتزامه والتزام طاعته في كل شئ بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه)[1] .

وقد بين ابن سعدى أن معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وماهو عليه من صفات أكبر دافع لتقوية الايمان وزيادته ، وأن ذلك من أعظم موجبات الايمان ، فبعد أن ذكر جملة من الأمور التى يحصل ويقوى بها الايمان ، قال : (ومن طرق موجبات الايمان وأسبابه معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة ماهو عليه من الأخلاق العالية ، والأوصاف الكاملة ، فان من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه ، وصدق ماجاء به من الكتاب والسنه والدين الحق .

كما قال تعالى : (أم لم يعرفوا رسولهم ، فهم له منكرون)[2] .

أى فمعرفته صلى الله عليه وسلم توجب للعبد المبادرة الى الايمان ممن يؤمن وزيادة الايمان ممن آمن به)[3] .

وبين أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبه وأنها من طاعة الله فقال عند تفسيره لقوله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا

---

(١) الفتاوى السعديه / ١٥ .

(٢) سورة المؤمنون / الآيه ٦٩ .

(٣) التوضيح والبيان / ٢٧ .

فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) [١] .

قال : (طاعة الله وطاعة رسوله واجبه ، فمن أطاع الله فقد أطاع الرسول ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله) [٢] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) [٣] .

: (كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه فقد أطاع الله تعالى لكونه لا يأمر الا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله) [٤] .

وبين رحمة الله أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي العلامة الواضحة على صدق محبته ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى :

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ، قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) [٥] .

(هذه الآيه هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى ، فعلامة محبة الله اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى جعل متابعته وجميع مايدعو اليه طريقا الى محبته ورضوانه ، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه الا بتصديق ماجاء به الرسول من الكتاب والسنه وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين ، وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه .

---

(١) سورة المائدة / الآيه ٩٢ .

(٢) التفسير ٢ / ٣٤١ .

(٣) سورة النساء / الآيه ٨٠ .

(٤) التفسير ٢ / ١٠٠ .

(٥) سورة آل عمران / الآيتان ٣١ ، ٣٢ .

فكأنه قيل ومع ذلك فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها ؟

فأجاب بقوله : (قل اطيعوا الله والرسول) بامتثال الأمر واجتناب النهي وتصديق الخبر : (فان تولوا) عن ذلك فهذا هو الكفر والله لا يحب الكافرين)[1] .

وبين رحمه الله أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته من تمام النصيحة له فقال في بيان معنى النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم :

(والنصيحة للرسول : هي كمال الايمان به ومحبته وطاعته واتباعه ، وتقديم قوله وهديه وسيرته على كل قول وهدى وسيرة ونصر ماجاء به)[2] .

<u>بيانه أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مقررة في القرآن بطرق متعددة :</u>

ذكر ابن سعدى في كتابه القواعد الحسان جملة من القواعد المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ، وذكر من جملة هذه القواعد قاعدة جليلة تتعلق بالأساليب المختلفة والطرق المتنوعة التى ذكرها الله في كتابه لتقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . قال رحمه الله :

(هذا الأصل الكبير قرره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التى يعرف بها كمال صدقه صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه صدق المرسلين ، ودعا الى مادعوا اليه ، وأن جميع المحاسن التى في الأنبياء في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما نزهوا عنه من النقائص والعيوب فرسولنا محمد أولاهم وأحقهم بهذا التنزيه .

---

(١) التفسير ١/٣٧٤ .

(٢) الفتاوى السعدية / ٧٠ .

وأن شريعته مهيمنة على جميع الشرائع ، وكتابه مهيمن على كل الكتب ، فجميع محاسن الأديان والكتب قد جمعها الله في هذا الكتاب وهذا الدين ، وفاق عليها بمحاسن وأوصاف لم توجد في غيره .

وقرر نبوته بأنه أمي لا يكتب ولا يقرأ ولا جالس أحدا من أهل العلم بالكتب السابقة . بل لم يفجأ الناس الا وقد جاءهم بهذا الكتاب الذي لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ماأتوا ولا قدروا ولا هو في استطاعتهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وأنه محال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه أو أن يكون قد تقوله على ربه أو أن يكون على الغيب بظنين ، وأعاد في القرآن وأبدى في هذا النوع)[1] .

واستمر ابن سعدي في ذكر هذه الطرق والأساليب الواردة في القواعد المقرره لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم قال بعد أن ذكر جملة كبيرة من هذه الطرق : (فهذه الأمور والطرق قد أكثر الله من ذكرها في كتابه وقررها بعبارات متنوعة ، ومعاني مفصلة وأساليب عجيبه وأمثلتها تفوق العد والاحصاء)[2] .

ثم ان القرآن الكريم أعظم دليل وأقوى برهان على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو وحدة يكفي لأن يكون دليلا على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قرر الله ذلك في كتابه .

لذلك يقول ابن سعدى : (والله تعالى يقرر أن القرآن كاف جدا أن يكون

---

(١) القواعد الحسان / ١٩ .
(٢) القواعد الحسان / ٢٣ .

هو الدليل الوحيد على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في مواضع عدة .منها قوله :

(أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) [1] [2] .

هذا وقد جعل الله مع هذا البرهان الجلي والدليل القاطع جملة من البراهين فلا مجال للشك أو الريب بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعدى : (قد أقام الله على صدق رسله من الآيات البينات والأدلة الواضحات ، ما على مثله يؤمن البشر وخصوصا امامهم وسيدهم محمدا صلى الله عليه وسلم فان آيات نبوته وبراهين رسالته متنوعة . سيرته وأخلاقه وهديه ، وماجاء به من الدين القويم ، وحثه على كل خلق جميل وعمل صالح ونفع واحسان الى الخلق ، ونهيه عند ضد ذلك .

كلها آيات وبراهين على رسالته وماجاء به من الوحي من الكتاب والسنه كله جملة وتفصيلا أدله وبراهين على رسالته مع ماأكرمه الله به من النصر العظيم واظهار دينه على الأديان كلها ، واجابة الدعوات وحلول أنواع البركات التي لا تعد أنواعها فضلا عن افرادها .

هذا بقطع النظر عن شهادة الكتب السابقة له ، وعن معارضة المكذبين له ، وتحديه اياهم بكل طريق حتى عجزوا غاية العجز عن نصر باطلهم ، ولا يزال الباطل بين يدى ماجاء به الرسول مخذولا بحيث ان القائمين بما

---

(١) سورة العنكبوت / الآيه ٥١ .

(٢) القواعد الحسان / ٢٣ .

جاء به الرسول والقائمين بمعرفة دينه يتحدون جميع أهل الأرض أن يأتوا بصلاح أو فلاح أو رقي حقيقي أو سعادة حقيقية بجميع وجوهها فيتبين أنه محال أن يتوصل الى شيء من ذلك بغير ما جاء به الرسول وأرشد اليه ودل الخلق عليه)[1] .

وقال (وأما ما آتى الله محمدا صلى الله عليه و سلم من الآيات فهي لا تحد ولا تعد من كثرتها و قوتها ووضوحها ولله الحمد ، فلم يبق لأحد من الناس بعدها عذر)[2] .

بيانه لكمال دعوة الرسول صلى الله عليه و سلم :

بين ابن سعدى ان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في غاية الجودة والحسن وبين أن الرسول صلى الله عليه و سلم فاق في دعوته جميع الأنبياء قال رحمه الله :

(فانظر الى دعوات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم التى حكاها الله في كتابه مع أممهم المستجيبين والمعرضين والمعارضين تجدها محتوية على غاية الحسن في كل أحوالها .

ثم انظر الى دعوة سيدهم وامامهم محمد صلى الله عليه وسلم و ما سلك من الطرق المتنوعة في دعاية الخلق عموما وخصوصا على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم وبحسب أحوالهم ، وبحسب الأقوال والأحكام التى يدعو اليها ، تجده قد فاق في ذلك الأولين والآخرين والآثار أكبر دليل على قوة المؤثر)[3] .

---

(١) الفتاوى السعدية / ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) القواعد الحسان / ١٥١ .

كما بين رحمه الله أن زبدة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلاصة دعوته الدعوة إلى توحيد الله سبحانه والتحذير من الشرك كما كان سلفه في ذلك اخوانه الأنبياء ، قال تعالى :

(وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)[1] .

قال ابن سعدى مبينا أعظم أمردعا اليه الرسول صلى الله وعليه وسلم:

(فكان أعظم مقامات دعوته : دعوته الى التوحيد الخالص والنهي عن ضده ، دعى الناس لهذا ، وقرره الله في كتابه وصرفه بطرق كثيرة واضحة تبين وجوب التوحيد وحسنه وتعينه طريقا الى الله والى داركرامته ، وقرر ابطال الشرك والمذاهب الضاره بطرق كثيره احتوى عليها القرآن ، وهي أغلب السور المكيه .

فاستجاب له في هذا الواحد بعد الواحد على شدة عظيمة من قومه ، وقاومه قومه وغيرهم وبغوا له الغوائل ، وحرصوا على اطفاء دعوته بجدهم وقولهم وفعلهم وهو يجادلهم ويتحداهم أن يأتوابمثل هذا القرآن ، وهم يعلمون أنه الصادق الأمين ، ولكنهم يكابرون ويجحدون آيات الله)[2] .

وقال رحمه الله في بيان اتمام الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الدعوة وابلاغه لها غاية البلاغ .

(. . . بل هو صلى الله عليه وسلم الأمين الذى بلغ رسالات ربه البلاغ

---

(١) سورة الأنبياء / الآيه ٢٥ .

(٢) الخلاصة /١٦٦ .

المبين . فلم يشح بشيء منه عن غني ولا فقير ولا رئيس ولا مرؤوس ولا ذكر ولا أنثى ولا حضري ولا بدوي ، ولذلك بعثه الله في أمة أميه جاهلة جهلاء .

فلم يمت صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا ربانيين وأحبارا متفرسين ، اليهم الغاية في العلوم ، واليهم المنتهى في استخراج الدقائق والمفهوم ، وهم الأساتذة وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم)(1) .

بيانه لكمال الرسول صلى الله عليه وسلم البشرى :

تناول ابن سعدي في مؤلفاته عدة جوانب تتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبين تحقيقه لها ، وكماله لقيامه بها .

فذكر منها تحقيق الرسول صلى الله عليه وسلم للعبودية ، واتصافه بأحسن الأخلاق وعصمته وكمال عقله وكثرة علمه الى غير ذلك من الجوانب الكثيرة التي كمل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لأكماله اياها ولكثرتها فسأقتصر على ذكر طرف منها :

تحقيقه للعبودية :

وهذا أعظم الأمور التي يجب تحقيقها وقد بين الله سبحانه أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قد حقق العبودية لله وحده ، لذلك فانه عند ذكره لرسوله في المقامات العظيمة يذكره بوصف العبودية وفي ذلك اشارة لتحقيق الرسول صلى الله عليه وسلم لها وأتمه اياها .

قال ابن سعدي عند قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده

---

(1) التفسير ٧/ ٥٧٩ ، بتصرف يسير .

ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) [1] .

: (وذكره هنا وفي مقام الانزال للقرآن ومقام التحدى بصفة العبودية لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبوديته لربه) [2] .

وقال عند قوله تعالى : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) [3] .

(... وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم ، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم قيامه بالعبودية التى لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين) [4] .

كمال أخلاقه :

ان الله سبحانه لما امتن على المؤمنين بهذا الرسول الكريم جمع له من صفات الكمال وأفضل الخصال مالم يكن لغيره من البشر فجمع له جميع الخصال الموجودة في الرسل وغيرهم ، ومامن خصلة حميدة ، وصفة طيبة دعا اليها شرعنا الحكيم الا ورسولنا صلى الله عليه وسلم متصف بها ، فبهذا كان عليه الصلاة والسلام أكمل الخلق أخلاقا وأحسنهم أوصافا .

يقول ابن سعدى في بيان ذلك (.. فعلا صلى الله عليه وسلم بخلقه العظيم على جميع الخلق وفاق الأولين والآخرين ، وكان خلقه العظيم كما

---

(١) سورة الاسراء / الآية ١ .

(٢) التفسير ٤ / ٢٥٩ .

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٣ .

(٤) التفسير ١ / ٦١ .

فسرته به عائشة رضي الله عنها هذا القرآن الكريم [١] .

وذلك نحو قوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [٢] وقوله (فبما رحمة من الله لنت لهم) [٣] .. الآية .

وقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [٤] .

وما أشبهها من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق والآيات التي فيها الحث على كل خلق جميل فكان أول الخلق امتثالا لها وسبقا اليها والى تكميلها ، فكان له منها أكملها وأجلها وأعلاها ، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا ، فكان سهلا لينا قريبا من الناس مجيبا لدعوة من دعاه ، قاضيا لحاجة من استقضاه ، جابرا لقلب من سأله لا يحرمه ولا يرده خائبا ، واذا أراد أصحابه أمرا وافقهم عليه وتابعهم فيه اذا لم يكن في ذلك محذور ، وان عزم على أمر لم يستبد به دونهم ، بل يشاورهم ويؤامرهم ، وكان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم . ولم يكن يعاشر جليسا الا أتم عشرة وأحسنها فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ له في كلامه ولا يطوى عنه بشره ولا يمسك عليه فلتات لسانه ، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة بل يحسن اليه غاية الاحسان ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم) [٥] .

وقال في موضع آخر : (فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق حلما

---

(١) كما روى ذلك مسلم في صحيحة ١/ ٥١٣ من حديثها رضي الله عنها .
(٢) سورة الأعراف / ١٩٩ .
(٣) سورة آل عمران / ١٥٩ .
(٤) سورة التوبة / الآية ١٢٨ .
(٥) الخلاصة / ٢٥ . بتصرف يسير .

وصبرا ، وأكثرهم عفوا عن الخلق وصفحا وأجمعهم لجميع المحاسن والكمالات وأكرمهم في الخير والمعروف وبذل الهبات وهو الذى جمع الكرم والاحسان بعمله وعلمه وحاله وماله) [(١)] .

عصمته فيما يبلغ عن ربه :

وهذا مما يدل على كمال الرسول صلى الله عليه وسلم البشرى ، فهو في ألفاظه وأقواله التى يبلغ فيها رسالة ربه ، مايتكلم بشيء منها الا عن وحي من الله سبحانه ، فقد عصمه الله من الخطأ في تبليغ الرسالة . وأدل شيء على ذلك قول الله سبحانه :

(وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) [(٢)] .

لذلك يقول ابن سعدى عند هذه الآيه : (.. ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة " [(٣)] وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه لأن كلامه لا يصدر عن هوى وانما يصدر عن وحي يوحى) [(٤)] .

سعة علمه :

وهذه من نعم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث امتن عليه بأن أعطاه علما واسعا وعقلا راجحا ، لا يماثله في ذلك أحد من البشر يقول ابن سعدى رحمه الله :

---

(١) الخطب المنبريه / ٦٦ .
(٢) سورة النجم / الآيتان ٣ ، ٤ .
(٣) سورة النساء / الآية ١١٣ .
(٤) التفسير ٧ / ٢٠٤ .

(ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى عنده من العلم أعظم من غيره وأنبأه الله من علم الغيب على مالم يطلع عليه أحد من الخلق)[1] .

أما عن كمال عقل الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول ابن سعدى (محال أن توجد عقول تقارب عقل النبي صلى الله عليه وسلم الذى تستمد منه العقول والآراء . . . حسب العقول الكاملة أن تستمد من عقل النبي صلى الله عليه وسلم وآرائه وتستنير بنور هديه وتوجيهه وارشاده)[2] .

هذه اشارة وقليل من كثير مما امتن الله به على رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وطيب الخصال ، وحسب المسلم أن يعرف أن أكمل الخلق وأفضلهم وسيدهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) التفسير ٧/١٩٩ .

(٢) الخطب المنبرية / ٥٣ .

الايمان بالكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام :

وهذا من المباحث الهامة اذ هو من أركان الايمان الستة ، وهو داخل في الايمان بالنبوات ، لأنه لا يتم الايمان بالأنبياء الا مع الايمان بالكتب المنزلة عليهم .

لذا يقول ابن سعدى بعد أن ذكر أهمية الايمان بالأنبياء عليهم السلام ووجوب الايمان بهم جملة وتفصيلا .

: (ويدخل في الايمان بالرسل الايمان بالكتب ، فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقتضي الايمان بكل ماجاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها ، فلا يتم الايمان الا بذلك ، وكل من كان أعظم علما بذلك وتصديقا واعترافا وعملا كان أكمل ايمانا)[(١)] .

وقد سبق أن تحدثنا عن الكتب في مبحث الأسماء والصفات ، من حيث كونها من كلام الله ، والكلام صفة من صفاته سبحانه .

وأما حديثنا عن الكتب هنا ، فعن أهمية الايمان بها جملة وتفصيلا ، وأن فيها الهداية والتوفيق على من أنزلت اليهم مع ذكر أسماء بعضها مما ورد ذكره في القرآن ومن أنزلت عليه ، ثم بيان أهمها وأعظمها والمهيمن

---

(١) الفتاوى السعدية / ١٥ .

عليه وهو القرآن الكريم .

وهذه النقاط الهامة تكلم عنها الشيخ ابن سعدى في مؤلفاته ولا سيما في كتابه التفسير ، فبين رحمه الله وجوب الايمان بالكتب المنزلة على المرسلين وأن ذلك من تمام الايمان بهم وقد تقدم النقل عنه أنها داخلة في الايمان بالنبوات ، ومعنى ذلك أن من آمن بأنبياء الله ورسله فان الواجب عليه أن يؤمن بما أنزل عليهم من كتب .

وقد أخبر الله سبحانه في كتابه الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين آمنوا بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وأنهم آمنوا بالملائكة والكتب والرسل حيث يقول سبحانه : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ..)[1] الى آخر الآية ، من سورة البقرة .

قال ابن سعدى عند تفسيره لهذه الآيه : (فان الله أمر في أول هذه السورة الناس بالايمان بجميع أصوله في قوله : (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا)[2] . الآيه . وأخبر في هذه الآية أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين آمنوا بهذه الأصول العظيمة وبجميع

---

(١) سورة البقرة / الآيه ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة / الآيه ١٣٦ .

الرسل وجميع الكتب ، ولم يصنعوا صنيع من آمن ببعض وكفر ببعض كحالة المنحرفين من أهل الأديان المنحرفة)[1] .

لذا فان الواجب على المسلم أن يؤمن بهذه الكتب جملة وتفصيلا . فيؤمن جملة بجميع ماأنزله الله من الكتب ، ويوقن أن في هذه الكتب الهداية للبشر ، وأنها منزلة من عند الله ، ويؤمن تفصيلا بما ورد ذكره في القرآن الكريم من هذه الكتب فيؤمن بالتوراة والانجيل والزبور ، ويؤمن بالقرآن الكريم وأنه أفضلها والمهيمن عليها .

وهذه النقاط المتقدمة تناولها ابن سعدى مفصلة في تفسيره .

كلامه في التوراة :

قال ابن سعدى في وصف التوراة ، وبيان مااشتملت عليه من النور والهداية عند تفسيره لقوله تعالى : (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتب الله . . .)[2] .

قال : (" انا انزلنا التوراة " على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام " فيها هدى " يهدى الى الايمان والحق ويعصم من الضلالة ،

---

(١) التفسير ٢/١ ٣٥٢ .

(٢) سورة المائدة/ الآيه ٤٤ .

" ونور " يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك والشبهات والشهوات.

كما قال تعالى : (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين)[1] " يحكم بها " بين الذين هادوا ، أي اليهود في القضايا والفتاوى . " النبيون الذين أسلموا " لله وانقادوا لأوامره الذين اسلامهم أعظم من اسلام غيرهم صفوة الله من العباد)[2]

وقد بين ابن السعدي أن الله سبحانه كثيرا مايقرن بين القرآن والتوراة وذلك لأنهما أفضل كتابين أنزلهما الله على خلقه ، فقال : (كثيرا مايجمع تعالى بين هذين الكتابين الجليلين اللذين لم يطرق العالم أفضل منهما ولا أعظم ذكرا ولا أبرك ولا أعظم هدى وبيانا وهما التوراة والقرآن)[3] .

وقال في موضع آخر : (كثيرا مايقرن الباري بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة موسى عليه السلام ، وبين كتابيهما وشريعتهما لأن كتابيهما أفضل الكتب وشريعتهما أكمل الشرائع ، ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين)[4] .

كلامه في الانجيل :

قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتينه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)[5] .

(١) سورة الانبياء / الآية ٤٨
(٢) التفسير ٢/٢٩٤ .
(٣) التفسير ٥/ ٢٣٦ .
(٤) التفسير ٤/٢٦٠ .
(٥) سورة المائدة / الآيه ٤٦ .

قال ابن سعدى في تفسيره لهذه الآيه : (أى واتبعنا هؤلاء الأنبياء والمرسلين الذين يحكمون بالتوراة ، بعبدنا ورسولنا عيسى بن مريم ، روح الله وكلمته التى ألقاها الى مريم .

بعثه الله مصدقا لما بين يديه من التوراة ، ومؤيدا لدعوته وحاكما بشريعته وموافقا له في أكثر الأمور الشرعية .

وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام كما قال تعالى :

(ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم)[1] .

(وآتيناه الانجيل) الكتاب العظيم المتمم للتوراة (فيه هدى ونور) يهدى الى الصراط المستقيم ويبين الحق من الباطل .

(ومصدقا لما بين يديه من التوراة) بتثبيتها والشهادة لها والموافقة .

(وهدى وموعظة للمتقين) فانهم الذين ينتفعون بالهدى ، ويتعظون بالمواعظ ويرتدعون عما لا يليق)[2] .

كلامه في الزبور :

قال عند تفسيره لقوله تعالى : (وآتينا داود زبورا)[3] (... وهو الكتاب المعروف المزبور الذى خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه)[4] .

---

(١) سورة آل عمران / الآيه ٥٠ .

(٢) التفسير ٢/٢٩٨ .

(٣) سورة النساء / الآيه ١٦٣ .

(٤) التفسير ٢/٢١٨ . وانظر ٧/٢٩٠ .

كلامه في القرآن الكريم :

وهو أفضل الكتب السماويه وخاتمها والمهيمن عليها والمصدق لها أنزله الله على صفيه وخليله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تناول ابن سعدى فضل القرآن الكريم ، وبين أنه أفضل الكتب السماويه وأنه المصدق لها والمهيمن عليها فقال في وصف القرآن الكريم فهو : (مشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه ومصدقا لما بين يديه من الكتب ، لأنه شهد للكتب السالفة ووافقها وطابقت أخباره أخبارها وشرائعه الكبار شرائعها وأخبرت به فصار وجودها مصداقا لخبرها .

وهو مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة ، وزيادة في المطالب الالهيه والأخلاق النفسية ، فهو الكتاب الذى تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به ، وحث عليه ، وأكثر من الطرق الموصلة اليه ، وهو الكتاب الذى فيه نبأ السابقين واللاحقين .

وهو الكتاب الذى فيه الحكم والحكمة والأحكام الذى عرضت عليه الكتب السابقة ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل والا فلو كان من عند الله لم يخالفه)[1] .

وقال (وأكمل الرسالة وختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه العظيم الذى هدى الله به الخلق من الضلالات واستنقذهم به من الجهالات وفرق به بين الحق والباطل والسعادة والشقاوة ، والصراط المستقيم وطرق الجحيم فالذين آمنوا به واهتدوا حصل لهم به الخير الكثير والثواب العاجل

---

(١) التفسير ٢ / ٢٩٩ . بتصرف .

والآجل)[1] .

وقال عند قوله تعالى : (ان هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)[2] .

(يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه يهدى للتي هي أقوم أى : أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو اليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع الأمور ..

الى أن قال ... فالقرآن مشتمل على البشاره والنذارة ، وذكر الأسباب التى تنال بها البشارة وهو الايمان والعمل الصالح والتى تستحق بها النذارة وهو ضد ذلك)[3] .

وقد عدد رحمه الله جملة من أوصاف القرآن الكريم وذلك في مقدمة كتابه خلاصة تفسير القرآن فقال (قد وصف الله كتابه بأوصاف جليلة تنطبق على جميعه وتدل أكبر دلالة على أنه الأصل والأساس لجميع العلوم النافعة والفنون المرشده لخير الدنيا والآخرة .

وصفه بالهدى والرشد والفرقان ، وأنه مبين وتبيان لكل شيء فهو في نفسه هدى ويهدى الخلق لجميع مايحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم ، ويرشدهم الى كل طريق نافع ، ويفرق لهم بين الحق والباطل والهدى والضلال وبين أهل السعادة والشقاوة بذكر أوصاف الفريقين ، وفيه بيان الأصول والفروع ....

---

(١) التفسير ١/٣٥٦ .
(٢) سورة الاسراء / الآيه ٩ .
(٣) التفسير ٤/٢٦٤ .

ووصفه بأنه رحمة . . . ووصفه بأنه نور . . . . ووصفه بأنه شفاء لمـــا في الصدور) [1] .

الى غير ذلك من الأوصاف العظيمة لهذا الكتاب العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مـــن خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وبهذه الأوصاف الجليلة والنعوت الجميلة يظهر لنا أهمية العناية بهذا القرآن لما يترتب على ذلك من حصول السعادة والهداية والفلاح في الدنيا والآخرة .

---

(١) الخلاصة /٦ ، ٧ .

الايمان بالملائكة :

وهذا البحث له صلة عميقة بالايمان بالنبوات ، اذ أن الملائكة هم الذين يبلغون وحي الله الى خلقه ، ولا يتم الايمان بالله وكتبه ورسله الا بالايمان بالملائكة ، وقد أشار ابن سعدى الى أن الايمان بالملائكة داخل في الايمان بالنبوات حيث قال : " والايمان بالملائكة مع القدر داخل في هذا الأصل العظيم " [1] يعني الايمان بالنبوات .

لذا فقد رأيت أن أجعل هذا البحث ضمن الكلام على النبوات.

هذا وقد تناول ابن سعدى هذا الأصل العظيم في مؤلفاته وبين وجوب الايمان به وأنه أحد أصول الايمان . وبين أن الايمان بالله لا يتم الا بالايمان بالملائكة ، كما تناول ذكر أوصافهم وأعمالهم .

قال رحمه الله : (الايمان بالملائكة أحد أصول الايمان ولا يتم الايمان بالله وكتبه ورسله الا بالايمان بالملائكة وقد وصفهم الله بأكمل الصفات وأنهم في غاية القوة على عبادة الله والرغبة العظيمة فيها وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنهم لا يستكبرون عن عبادته بل يرونها من أعظم نعمه عليهم وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ففي هذا بيان كمال محبتهم لربهم وقوة انابتهم اليه ونشاطهم التام

---

(١) الفتاوى السعدية / ١٥ .

في طاعته وأنهم لا يعصونه طرفة عين . وهم وسائط بينه وبين رسله ، وخصوصا جبريل أفضلهم وأعظمهم وأقواهم وأرفعهم عند الله منزلة ، فانه ذو قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما هو على الغيب بضنين (وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)[1] .

وكما أنهم الوسائط بينه وبين عباده في تبليغ الوحي والشرائع الى الأنبياء ، فهم الوسائط في التدبيرات القدرية ، فان الله وصفهم بأنهم المدبرات أمرا فكل طائفة منهم قد وكله على عمل هو قائم به باذن الله ، فمنهم الموكلون بالغيث والنبات والموكلون بحفظ العباد مما يضرهم وبحفظ أعمالهم وكتابتها والموكلون بقبض الأرواح وبتصوير الأجنة في الأرحام وكتابة مايجرى عليها في الحال والمآل ، والموكلون على الجنة والنار ، ومنهم حملة العرش ، ومن حوله من الملائكة المقربين الى غير ذلك مما وصفوا به في الكتاب والسنة)[2] .

ثم قال رحمه الله بعد ذكر هذه الجملة النافعة من أوصاف هؤلاء الكرام البررة ، ومن نعوت هؤلاء الأطهار . مبينا الواجب نحوهم وأنه

---

(١) سورة الشعراء / الآيات ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢) الخلاصة / ٢٩ .

يجب الايمان بهم (فيجب الايمان بهم اجمالا وتفصيلا ، وكثير من سور القرآن فيها ذكر الملائكة والخبر عنهم فعلينا أن نؤمن بذلك كله) [١] .

كما بين رحمه الله أن الايمان بالملائكة من الايمان بالغيب الذى هو صفه من صفات المؤمنين المتقين كما قال سبحانه :

(هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون) [٢] .

فبين أنه لا يتم الايمان بالغيب الا بالايمان بالملائكة ، قال :

(ومن الايمان بالغيب الايمان بالملائكة الكرام الذين جعلهم الله عبادا مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأنهم لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنه تعالى جعلهم يدبرون بأمره واذنه أمور الدنيا والآخره فهم أكثر جنود الله وهم رسله في أحكامه الدينية وأحكام القدريه وأن الله جعل للعبد منهم معقبات يحفظونه من أمرالله ويحفظون عليه أعماله مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون ، ولهم صفات وأفعال مذكورة في الكتاب والسنة لا يتم الايمان بالغيب الا بالايمان بها) [٣]

---

(١) الخلاصة / ٢٩ .

(٢) سورة البقرة / الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) المواهب الربانيه / ٦٧ .

كلامه عن منكري وجود الملائكة :

بين ابن سعدي أن الايمان بالملائكة وأوصافهم ونعوتهم عقيدة راسخة في نفوس المسلمين ، ولا ينكر ذلك أحد الا الزنادقة المنكرين لوجود الله سبحانه .

قال رحمه الله " ولا تكاد تجد أحدا ينكر وجود الملائكة الا الزنادقة المنكرين لوجود ربهم ومن تستر بالاسلام منهم فانه ينكر الملائكة حقيقة وينكر خبر الله ورسوله عنهم ، ويفسر الملائكة تفسيرا وتحريفا خبيثا فيزعم أن الملائكة هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الانسان ، وأن الشياطين هي القوى الشريرة فيه وغرضهم من هذا التحريف دفع الشنعة عنهم ، وقد ازدادوا بهذا التحريف شرا الى شرهم ، وراج هذا التحريف الخبيث على بعض الذين يحسنون الظن بهؤلاء الزنادقة ، وليس عندهم بصيرة في أديان الرسل وان أظهروا تعظيمهم ، فان زنادقة الفلاسفة أعظم في قلوبهم من الرسل وكفى بالعبد ضلالا وغيا أن يصل الى هذه الحال ، نعوذ بالله من مضلات الفتن "[1] .

ومن هؤلاء البعض الذين ساروا في ركب الزنادقة وترسموا خطاهم القصيمي الملحد صاحب الأغلال واليه وأمثاله يشير السعدي بقوله : (وراج هذا التحريف الخبيث على بعض الذين يحسنون الظن بهؤلاء الزنادقة ، وليس عندهم بصيرة في أديان الرسل)[2] .

وقد أنكر هذا القصيمي في كتابه "الأغلال" وجود الملائكة وسخر ممن يثبت

(١) الخلاصة / ٢٩ .
(٢) الخلاصة / ٢٩ .

وجودهم وتهكم منه وقرر أن هذه خرافات لا حقيقة لها ، وهذا غاية البهت والضلال .

قال ابن سعدى رحمه الله : (ومن فروع نبذه - أى القصيمي - الايمان بالله وبما أخبر به على ألسنة رسله ، انكار الملائكة والجن والأرواح وسياقه لهذا الانكار بأساليب تهكميه وعبارات سخريه بما أخبر الله به وأخبرت به رسله ونطقت به الكتب واعترف به علية الخلق وسائر أهل الأديان السماوية وجاءت به نصوص الكتاب والسنه في نصوص كثيره زادت على التواتر فأقر بها المسلمون واعترفوا بها وبكل ماأخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن وعن أحوال البرزخ وغيره ولم ينكر ذلك الا جاحد ملحد مكذب لله ورسوله)[1] .

والمقصود أن الملائكة لهم وجود حقيقي خلقهم الله وأمرهم بأوامر متنوعة من حفظ للكائنات وانزال للمطر وكتابة للأعمال وغير ذلك من الصفات والأعمال الوارده عنهم في الكتب والسنه .

فواجب المسلم أن يؤمن بكل ماورد في الكتاب والسنه عنهم من غير شك ولا ريب وأن يصدق بذلك تمام التصديق فالايمان بهم أحد أركان الايمان الستة ولا يتم الايمان لأحد حتى يؤمن بالملائكة على الاجمال والتفصيل . والله أعلم .

وهذا آخر مايتعلق بالفصل الثاني ، ويليه الفصل الثالث وفيه الايمان باليوم الآخر . وبالله التوفيق .

---

(١) تنزيه الدين / ٣٩ .

الفصل الثالث

جهوده في توضيح الإيمان باليوم الآخر

الفصل الثالث

الايمان باليوم الآخر

تمهيد :

ان الايمان باليوم الآخر أحد أركان الايمان الستة ، ولا يصح ايمان أحد ان لم يؤمن باليوم الآخر.

قال تعالى في وصف المؤمنين :

(وهم بالآخرة هم يوقنون) .(١)

وقال في وصف الكافرين :

(وهم بالآخرة هم كافرون) .(٢)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور أهمية الايمان باليوم الآخر حيث جعله أحد أركان الايمان .

فقال صلى الله عليه في تعريفه للايمان :

" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره " .(٣)

هذا وان الحديث عن الايمان باليوم الآخر يشتمل على امور كثيرة :

فكل ما أخبر به الله ورسوله مما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه وما يكون من النفخ في الصور . وما يكون من البعث والنشور ، وما يكون يوم القيامة من ثواب وعقاب وجنة ونار. وما يكون قبل ذلك كله من علامات وأشراط كل ذلك داخل في الايمان باليوم الآخر.

---

(١) سورة النمل /آيه ١٣ .

(٢) سورة هود / آيه ١٩ .

(٣) اخرجه مسلم ١/ ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وعلى هذا فان الحديث في هذا الفصل يشتمل على خمسة مباحث هامة :

أولهـا : الايمان بأشراط الساعة .

والثاني : الايمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه .

والثالث : الايمان بالنفخ في الصور.

الرابع : الايمان بالبعث والنشور.

الخامس : الايمان باليوم الآخر بعد البعث .

وقبل الشروع في هذه المباحث على وجه التفصيل ، يجدر التنبيه على أهتمام السعدى بهذا الموضوع .

حيث أنه رحمه الله تناول الحديث عن الايمان باليوم الآخر جملة وتفصيلا فتحدث بالجملة عن أهميته ووجوب الايمان به ، وما يترتب على الايمان به من فوائد عديدة في الدنيا والآخره.

فقال رحمه الله في بيان أهميته ووجوب الايمان به جملة وتفصيلا ، وأن ذلك أحد أركان الايمان :

(.... من أصول الايمان الايمان باليوم الآخر ،وهو الايمان بكل ما أخبر الله ورسوله به بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه وأحوال يوم القيامة وما يكون فيه ومن صفات الجنة والنار وصفات أهليهما ، فالايمان باليوم الآخر هو الايمان بذلك جملة وتفصيلا).(1)

وبين رحمة الله أن الايمان باليوم الآخر من الايمان بالغيب ، الذى أثنى الله على المؤمنين به . وأخبر عن سعادتهم وفلاحهم واستحقاقهم النعيم المقيم .

---

(1) الخلاصة / ٢٦ ، وانظر الفتاوى السعديه/ ١٦ ،وسؤال وجواب/ ١٥ ، وغيرها .

فقـال :

" ومن أنواع الايمان بالغيب الايمان باليوم الآخر وبما وعد اللـه العباد من الجزاء ، فدخل في هذا الايمان بجميع ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وأهواله ، ومن صفات النار وأهلها وما أعد اللـه لهم فيها ، ومن صفات الجنة وأهلها وما أعد اللـه فيها لأهلها فيفهمها فهما صحيحا مأخوذا من الكتاب ودلالته ومن السنه الصحيحه ودلالتها ، فبحسب ما يصل الى العبد من نصوص الكتاب والسنه في هذا الباب وفهمها على وجهها يكون ايمان العبد بالغيب . . " (١)

وفى كلامه هذا أشارة الى أهمية الاعتناء بهذا الموضوع على نحو ما ورد في الكتاب والسنه من تفاصيل لذلك - وانه كلما ازداد الانسان فهما لتفاصيل هذا الموضوع زاد ايمانه بالغيب .

وقد ذكر رحمه الله جملة من الفوائد تحصل لمن آمن باليوم الآخر وأهواله وما يكون فيه من نعيم وعذاب .

فقـال :

" وفى العلم بذلك فوائد كثيرة :

منها : أن الايمان باليوم الآخر أحد أركان الايمان السته التى لا يصح الايمان بدونها ، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله ازداد ايمان العبد به .

ومنها : أن معرفة ذلك حقيقة المعرفه يفتح للانسان باب الخوف والرجاء اللذين ان خلا القلب منهما خرب كل الخراب ، وان عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصى ، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها ، ولا يتم ذلك الا بمعرفة تفاصيل الامور التى يخاف منها وتحذر .

---

(١) المواهب الربانية / ٦٦ .

كأهوال القبر وشدته وأهوال الموقف وصفات النار المفظعه وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم والحبرة والسرور ونعيم القلب والروح والبدن فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب بكل ما يقدر عليه .

ومنها : أن يعرف بذلك فضل الله وعدله في المجازاه على الاعمال الصالحه والسيئه الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله .

وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته ". (١)

وقال في موضع آخر : " ان الايمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلوب وأصل الرغبة في الخير والراهبه من الشر اللذين هما أساس الخيرات ". (٢)

هذا ما يتعلق بحديثه عن الايمان باليوم الآخر من حيث الجملة ، وأما تفاصيله لذلك فسنتناوله في الخمسة المباحث الآتيه :

---

(١) التفسير ١/٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) التفسير ١/٣٦٠.

المبحث الأول

الإيمان بأشراط الساعة

المبحث الأول

الايمان بأشراط الساعة

ورد في الكتاب والسنه ما يدل على أن للساعة علامات تدل على قرب وقتها ودنوه فالواجب على كل مسلم أن يصدق بكل ما ورد في ذلك وأن يؤمن بأنه كله حق وأنه سيقع طبقا لما أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم به .

قال السفاريني في درته المضيئه :

وما أتى في النص من أشراط ... فكله حق بلا شطاط [1]

فمن أدلة الكتاب على أمارات الساعة :

قوله تعالى :

(فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) [2].

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر جملة من أشراط الساعة ، سيأتي ذكر بعضها قريبا .

أما أدلة السنه على أشراط الساعة فكثيرة متواترة :

منها : حديث جبريل المشهور حيث سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أمارات الساعة : " قال أخبرني عن أماراتها ، فقال صلى الله عليه وسلم أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراه العاله رعاء الشا* يتطاولون في البنيان " [3].

---

(١) الدر المضيه في عقد الفرقة المرضية للسفاريني ١ / ٧٠ من شرحها لوامع الانوار البهيه .

(٢) محمد / ١٢ .

(٣) أخرجه مسلم ١ / ٣٨ .

ومنها : حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : "طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات . فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج - وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم"(١)

ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال ، أو خاصة أحدكم أوامر العامة".(٢)

وغيرها من الأحاديث ، والمقصود أن الأحاديث الدالة على أمارات الساعة كثيرة جدا .

وهذه الاشراط منها ما هو قريب من قيام الساعة مثل نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وغيرها .

ومنها ما كان قبل ذلك كالامارات التي جاءت في حديث جبريل وغيرها

وقد تناول ابن سعدى جمله من اشراط الساعة في ثنايا مؤلفاته وسأقتصر فيما يلي على ذكر كلامه في جملة من أشراط الساعة العظام:

---

(١) اخرجه مسلم ٤/ ٢٢٢٥ ، والترمذى ٤/ ٤٧٧ ، وابو داود ٤/ ١١٥ ، وفى المسند ٤/ ٦.

(٢) اخرجه مسلم ٤/ ٢٢٦٧.

وهي :

- فتنة الدجال .
- نزول عيسى عليه السلام .
- خروج يأجوج ومأجوج .
- طلوع الشمس من مغربها .
- خروج الدابة .

فتنة الدجال :

لقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروج المسيح الدجال في آخر الزمان ، ونعت لهم صفاته وما يحصل عند خروجه من مصائب وفتن .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر من تحذير الصحابة من فتنه ، كما بين أن سلفه من الانبياء كانوا يحذرون أقوامهم منه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بعث نبي الا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا أنه أعور وان ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر ".(1)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني لأنذركموه وما من نبي الا وقد انذره قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه انه أعور ، وان الله ليس بأعور ".(2)

---

(1) اخرجه البخاري ٨/١٠٣ ، ومسلم ٤/٢٢٤٨.

(2) أخرجه البخاري ٨/١٠٢.

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدثه نبى قومه انه أعور، وانه يجئ معه مثل الجنة والنار، فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى أنذركم به كما أنذر به نوح قومه " .(١)

والاحاديث فى ذلك كثيرة ، ولهذا فقد اهتم علماء المسلمين بالتحذير من فتنة الدجال حتى قال بعض السلف إن الحديث الذى فيه ذكر الدجال ينبغى أن يدفع الى معلم الصبيان ليحذرهم فى صغرهم من فتنته، قال ابن ماجه فى سننه بعد ايراده لحديث أبى امامه الباهلى الطويل فى ذكر الدجال - سمعت أبا الحسن الطنافسى يقول سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول " ينبغى أن يدفع هذا الحديث الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب ".(٢)

وقد وقفت على كلام للشيخ ابن سعدى فى التحذير من هذه الفتنه حيث أن أحد طلبة العلم سأله أن يذكر له وصيه نافعه فى التحذير من الفتن ولا سيما فتنة الدجال .

فتحدث رحمه الله عن الفتن وكثرتها فى هذه الازمان ، ثم تعرض لفتنة المسيح الدجال وأنها أعظم الفتن وأشدها ، لما يحصل عند خروجه من بلاء وأذيه للمسلمين ، ونبه على أهمية الاستعاذه من فتنتة ، وانه ينبغى على الانسان أن لا يغتر بمعرفته لبعض أوصاف الدجال بأن ذلك يمنعه من اتباعه والافتتان به ، بل ينبغى على المسلم أن يكثر من الاستعاذه من الفتن عموما ومن فتنة المسيح الدجال على وجه الخصوص .

---

(١) اخرجه مسلم ٤/٢٢٥٠.

(٢) ابن ماجه ٢/١٣٦٣

قال رحمه الله (.... ان كفره وكفر اتباعه اظهر كل شيء ومع ذلك معه من أسباب الفتن ما أوجب أن يحذر النبي صلى الله عليه وسلم منه أمته وينذرهم اياه ، ويأمرهم بالاستعاذة من فتنته في كل صلاة وخصها بعد التعميم فعمم بقوله من فتنة المحيا والممات الشاملة لكل الفتن وخصص فتنة الدجال لعظمها وشدة ضررها .

فهو مع عظم فتنته وقوة شبهته قد كشف الله حاله للمؤمنين فبين عينيه مكتوب " ك ف ر " يعرف ذلك منه)[1]

ثم بين أن فتنة الدجال على نوعين فتنة جنس وفتنة شخص ، فقال :

(وفتنة الدجال نوعان :
فتنة جنس وفتنة شخص ، ففتنة الجنس كل فتنة يقارنها تموهيات ويقترن بها شبهات فانها من جنس فتنة الدجال .

وفتنة الشخص خروج الدجال الذي صحت فيه الاحاديث التي لا ريب فيها وبهذا التقسيم الذي ذكره شيخ الاسلام في السبعينيه يفهم فائدة الاستعاذة بالله من فتنته ، لان الذي يدرك شخصه من الأمه قليل جدا بالنسبه الى من لم يدرك شخصه .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " من سمع بالدجال فلينأ عنه "[2] أي يبعد ليسلم من فتنته .

ثم ساق عبارة شيخ الاسلام في السبعينية وهي قوله : (وفتنة الدجال لا تختص بالموجودين في زمانه بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعه

---

(١) رسالة بعثها الشيخ ابن سعدي للشيخ عبد الله البصيري اجابه فيها عن بعض الاسئلة مؤرخة بسنة ١٣٧١هـ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٤٣١ ،وأبو داود ٤/١١٦ والحاكم ٤/٥٣١ ،كلهم من طريق حميد بن هلال عن أبي الدهماء عن عمران بن حصين رضي الله عنهم واسناد ابي داود رجاله ثقات وهم من رجال مسلم ، وكذا اسناد احمد في احدى روايتيه ، وعن الرواية الثانية قال ابن كثير في النهاية ١/١٤٦ (هذا اسناد جيد) أ.هـ.

المقرون بالخوارق فمن أقر بما يخالف الشريعه لخارق فقد اصابه نوع من هذه الفتنة ، وهذا كثير في كل زمان ومكان .

لكن هذا المعين فتنته أعظم الفتن فاذا عصم الله عبده منها سواء ادركه أو لم يدركه كان معصوما مما هو دون هذه الفتنة .

الى أن قال : ومعلوم أن ما ذكر معه من التعوذ من عذاب جهنم والقبر وفتنة المحيا والممات أمر به كل مصل اذ هذه الفتن جارية على كل أحد ولا نجاة الا بالنجاة منها فدل على أن فتنة الدجال كذلك

ولو لم تصب فتنته الا مجرد الذين يدركونه لم يؤمن بذلك كل الخلق مع العلم بأن جماهير الخلق لا يدركونه ، ولا يدركه الا أقل القليل من الناس المأمورين بهذا الدعاء .

وهكذا انذار الرسل اياه اممهم يقتضي تخويف عموم فتنته وان تأخر وجود شخصه حتى يقتله المسيح .

وكثيرا ما وقع بقلبي أن هؤلاء الاتحاديه أحق الناس باتباع الدجال ومع هذا فقد جرى للمؤمنين مع اتباعهم من المحنه الواقعه في الاسلام ومعلوم أن هذه الفتنه هي نتيجة محنه الدجال ، بل هذه النتيجه اقرب الى محنة الدجال من غيرها" أنتهى كلام الشيخ .(١)

قلت : وهؤلاء الملحدون العصريون الذين ذكر الشيخ أشباههم هم أعظم الناس قياما بفتنته دعوة واستجابة ".(٢)

---

(١) السبعينية لابن تيميه ٥/١٣٣ ضمن مجموعة الفتاوى المصرية .

(٢) ضمن الرسالة السابقه .

نزول عيسى عليه السلام :

ومن أمارات الساعة التي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة نزول عيسى عليه السلام قبل قيام الساعة فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزيه حكما عدلا مقسطا .

وقد أخبر الله عن نزوله في آيتين من القرآن الكريم .

الاولى : قوله تعالى :

(وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) (١)

أي قبل موت عيسى عليه السلام ،كما ذهب إلى ذلك ابن كثير في تفسيره وهو قول ابن عباس والحسن وقتاده وعبد الرحمن بن زيد ابن اسلم وغيرهم . (٢)

والآيه الثانيه : قوله تعالى :

(وانه لعلم للساعة) (٣)

قال البغوي في تفسيره : (يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها) (٤) وقد روى ذلك ابن جرير الطبري : عن ابن عباس من طرق متعددة وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم. (٥)

وقد أشار ابن سعدي الى هذين القولين عند تفسيره للآيتين المتقدمتين

فقال عند الآيه الاولى : (ويحتمل أن الضمير في قوله (قبل موته) راجع الى عيسى عليه السلام ،فيكون المعنى : وما من أحد من أهل الكتاب الا

---

(١) النساء / ١٥٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٧٦ .
(٣) الزخرف / ٦١ .
(٤) معالم التنزيل ٤/١٤٣ .
(٥) جامع البيان للطبري ١٠/٩٠ ، ٩١ .

ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موته ، وذلك عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار". [١]

وقال عند تفسير الآيه الثانيه :

" اى وان عيسى عليه السلام لدليل على الساعة ،وأن القادر على ايجاده من أم بلا أب قادر على بعث الموتى من قبورهم .

أو ، وأن عيسى عليه السلام سينزل فى آخر الزمان ويكون نزوله علامة من علامات الساعة ". [٢]

أما نصوص السنه الدالة على نزول عيسى عليه السلام فكثيرة جدا تبلغ حد التواتر.

منها حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد "

ثم يقول ابو هريره اقرؤا ان شئتم : (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) [٣] اخرجاه [٤]

ومنها حديث ابى هريره أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وأمكم ". أخرجه مسلم . [٥]

ومنها حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى

---

(١) التفسير ٢/٤١٤.
(٢) التفسير ٦/٦٥٧.
(٣) النساء /١٥٩.
(٤) البخارى ٣/٤٠، مسلم ١/١٣٥.
(٥) مسلم ١/١٣٦.

يوم القيامة قال «فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم تعال صل لنا ، فيقول لا : ان بعضكم على بعض امراء تكرمه الله هذه الامه» أخرجه مسلم .[1]

وغيرها من الأحاديث ، وقد أشار ابن سعدى الى كثرة الاحاديث الوارده فى نزول عيسى عليه السلام فقال : (فانها تكاثرت الاحاديث فى نزوله عليه السلام فى آخر هذه الامه فيقتل الدجال ويضع الجزيه ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين »[2]

---

(١) مسلم ١ / ١٣٧ .

(٢) التفسير ٢ / ٢١٤ .

خروج يأجوج ومأجوج :

قال الله تعالى :

(حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما أستطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا)(١)

وقال تعالى :

(حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين)(٢)

فهذان الموضعان من كتاب الله فيهما الدلالة الواضحة على خروج يأجوج ومأجوج قبل يوم القيامة ، وأن خروجهم أحد علامات الساعة التى تكون قبل قيامها وقد ورد فى السنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تدل على ذلك وتوضحه وتبينه .

منها حديث حذيفه بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال : "طلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون قالوا :

---

(١) الكهف ٩٣ - ٩٩ .

(٢) الانبياء ٩٦ ، ٩٧ .

نذكر الساعة ، قال : " انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابه وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ،وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم "(١)

ومنها حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه : (فبينما هو كذلك اذا أوحى الله الى عيسى : ان قد أخرجت عبادا لي ،لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج ،وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبريه فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم ،فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله ،فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفه ثم يقال للارض أنبتى ثمرتك ،وردى بركتك . . . . "(٢)

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون

---

(١) تقدم تخريجه ، ص ٣٥٦ .

(٢) اخرجه مسلم ٤/٢٢٥١ .

شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كأشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم الى الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله ويستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم..)[1]

ومنها حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل (وهم من كل حدب ينسلون) فيعثون في الأرض وينحاز المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون مافيه حتى يتركوه يابسا حتى ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول لقد كان ههنا ماء مرة...)[2] .

وعقيدة السلف في يأجوج ومأجوج كما دل على ذلك الكتاب والسنة :

الايمان بخروج هاتين القبلتين من بني آدم قبل قيام الساعة وبعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال ، وذلك بعد اندكاك السد الذى هم منحازون وراءه منذ بناه ذو القرنين .

فاذا خرجوا يحصل على أيديهم أذى وفتنة وشر عظيم ، وهم جموع كثيرة حتى انهم لكثرتهم اذا مر أولهم على بحيرة طبرية عند خروجهم شربوا الماء الذى فيها جميعه ، فاذا مر آخرهم قالوا قد كان في هذه البحيرة ماء ثم يستمر

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٥١٠ والترمذى ٥/٣١٣ ، وابن ماجه ٢/١٣٦٤ ، والحاكم في مستدركه ٤/٤٨٨ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أحمد ٣/٧٧ ، وابن ماجه ٢/١٣٦٣ ، والحاكم في المستدرك ٤/٤٨٩ ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

أذاهم ويزداد افسادهم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله ، فتكون نهايتهم بأن يرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيموتون جميعا ، واليك أقوال العلماء في ذلك :

قال البغوي عند تفسيره لقوله تعالى : (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ....) [١] الآيه : (أي يريد فتح السد عن يأجوج ومأجوج (واقترب الوعد الحق) يعني القيامة . قال الفراء وجماعة : الواو في قوله واقترب مقحمة فمعناه حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ...) [٢] .

وقال ابن العربي : (وأما خروج يأجوج ومأجوج فانه يكون بعد نزول عيسى عليه السلام وهما أمتان مضرتان مفسدتان كافرتان) [٣] .

وقال ابن كثير : (.... وقد كانوا يعيشون في الأرض ويؤذون فحصرهم ذو القرنين في مكانهم داخل السد حتى يأذن الله بخروجهم على الناس) [٤] .

وقال ابن قدامه المقدسي : (ويجب الايمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ماعقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الاسراء والمعراج ... الى أن قال ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج ...) [٥] .

---

(١) سورة الأنبياء / الآيه ٩٦ .
(٢) معالم التنزيل ٣ / ٢٦٨ - بتصرف .
(٣) عارضة الأحوذى لابن العربي ٩ / ٣٤ .
(٤) نهاية البداية والنهاية لابن كثير ١ / ١٨٤ .
(٥) لمعة الاعتقاد لابن قدامه / ٣٠ .

وقال ابن أبي العزفي شرحه للعقيدة الطحاوية : (وأحاديث الدجال وعيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم يضيق هذا المختصر عن بسطها)(١) .

وقال السفاريني في لوامع الأنوار البهية : (... خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده)(٢) .

وقد جاء عن ابن سعدى القول بأن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر الموجودة الآن من الروس والصين والأمريكان واليابان وغيرهم .

وألف في ذلك رسالتين نصر فيهما قوله المذكور ، واستدل على ذلك ببعض الأدلة والصواب خلاف ذلك .

إذ أن قوله هذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة وما عليه العلماء المحققون كما تقدم النقل عن بعضهم ، وكما سيأتي مزيد ايضاح ذلك .

ولكننا نجده في آخر حياته طبع كتابه التفسير وذلك بعد تأليف الرسالتين المتقدمتين بسبع عشره سنه ، وسلك في تفسيره للآيات المتعلقة بيأجوج ومأجوج مسلك أهل التحقيق من العلماء ، حيث ذكر فيه أن يأجوج ومأجوج يخرجون في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، وبعد اندكاك السد . وفي هذا احتمال كبير لتراجعه عن هذا القول ، اذ لو كان باقيا عليه لأشار اليه في تفسير الآيات

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ٥٠٥ .

(٢) لوامع الانوار البهية للسفاريني ٢ / ١١٦ .

المتعلقة به وما يقوى هذا الاحتمال أنه لم يطبع رسالتيه المتقدمتين ولم يشتهرا عنه ، الا عند القليل من طلبة العلم ، حتى جاء الشيخ عبد الله ابن محمود فألف رسالته " لا مهدى ينتظر بعد الرسول خير البشر " .

وغلط فيها أغلاطا فاحشة ، وخالف ما عليه المحققون من العلماء ، وأنكر فيها الأحاديث الواردة في المهدى .

وكان مما أثاره في رسالته تلك القضية التى ذكرها ابن سعدى عن يأجوج ومأجوج وأنهم دول الكفر ، فأظهر هذا القول بعد اندثاره وأشهره .

وقد قام فضيلة الشيخ حمود التويجرى حفظه الله بالرد على ابن محمود ، وبين خطأه ، وألف في ذلك كتابه " الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدى المنتظر " .

فأفاد فيه وأجاد ، وقد استفدت منه كثيرا في هذا الموضوع .

وأما القول بأن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر فبطلانه ظاهر من وجوه متعددة :

أحدها : أنه مخالف لما ثبت في النصوص من أن خروج يأجوج ومأجوج لا يكون الا بعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال .

والثاني : أنه ثبت في النصوص أنهم لا يمكثون بعد خروجهم الا فترة يسيرة من الزمان وأمم الكفر موجودون على هذه الحالة من أزمان طويلة .

والثالث : أنه ثبت في القرآن والسنة أن السد الذى هم محاجزون وراءه لا

ينذك الا اذا دنا قيام الساعة .

الرابع :أن هذا القول يخالف ماأخبر الله به عن ذى القرنين أنه جعل بين الناس وبين يأجوج ومأجوج سدا كبيرا من حديد وأنهم لا يستطيعون نقبه الا عند اقتراب الساعة .

الخامس:أنه ثبت في النصوص أنه اذا خرجت احدى الآيات العظام ، تتابعت على اثرها باقي الآيات كما يتتابع الخرز في النظام ، وأمم الكفر لهم أمد طويلة على هذه الحال ، ومع ذلك لم يخرج شئ من الآيات العظام .

السادس:أن أمم الكفر على اختلاف أجناسهم وأوطانهم كانوا موجودين في جميع الجهات في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل زمانه وبعد زمانه ولم يؤثر عنه أنه قال انهم هم يأجوج ومأجوج ، ولم يؤثر ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا من جاء بعدهم من العلماء المتقدمين .

السابع :أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يأجوج ومأجوج اذا خرجوا يمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ، وأمم الكفر المياه عندهم متوفرة فضلا عن أن يشربوا بحيرة طبرية.[1]

هذه بعض الأوجه التى يتبين بها بطلان قول من قال ان يأجوج ومأجوج هم دول الكفر الموجودة الآن .

وفيما يلي أعرض جملة من أدلة القائلين بهذا القول مع بيان عدم دلالتها على ماذهبوا اليه .

---

(١) انظر الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدى المنتظر من ٣٠٨ الى ٣٥٨ .

فمن أدلتهم قولهم : ان يأجوج ومأجوج من بني آدم وليسوا من الجن ولا من عالم غيبي آخر ، وهم على سطح الأرض ، ومع ذلك لم يرهم أحد من السائحين في الأرض ؟

والجواب عن ذلك أن يقال : لا شك أن يأجوج ومأجوج من بني آدم ، وأنهم على سطح الأرض كما دل على ذلك الكتاب والسنه ، ولكن لا يلزم من كونهم كذلك أن يراهم أحد لأن الله سبحانه قادر على كل شيء ، ومن ذلك أن يمنع الناس من رؤيتهم ويحجب أبصارهم عن مشاهدتهم .

وقد أجاب عن هذه الشبهه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان بعد أن ذكر أن هذه الشبهه هي عمدة القائلين بهذا القول :

فقال : (فقولكم لو كانوا موجودين وراء السد الى الآن لاطلع عليهم الناس ، غير صحيح ،لامكان أن يكونوا موجودين والله يخفي مكانهم على عامة الناس حتى يأتي الوقت المحدد لاخراجهم على الناس .

ومما يؤيد امكان هذا ماذكره الله تعالى في سورة المائده من أنه جعل بني اسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنه وذلك في قوله تعالى :(قال فانها محرمه عليهم أربعين سنه يتيهون في الأرض . . .)الآيه [1] .

وهم في فراسخ قليلة من الأرض يمشون ليلهم ونهارهم ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه ، لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبينوا لهم الطريق ، وعلى كل حال فربك فعال لما يريد) [2]

---

(١) سورة المائدة / الآيه ٢٦ .
(٢) أضواء البيان ٤ / ١٨٦ .

وقال الشيخ حمود التويجري في كتابه الاحتجاج بالأثر : (وأما كون السائحين في الأرض لم يروا يأجوج ومأجوج ولا سد ذي القرنين فلا يلزم منه عدم السد ويأجوج ومأجوج فقد يصرف الله السائحين عن رؤيتهم ورؤية السد وقد يجعل الله فوق السد ثلوجا متراكمة بحيث لا تمكن رؤية السد معها أويجعل الله غير ذلك من الموانع التي تمنع من رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد . والواجب على المسلم الايمان بما أخبر الله به في كتابه عن السد ويأجوج ومأجوج وماصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ولا يجوز للمسلم أن يتكلف مالا علم له به ولا يقول بشيء من أقوال المتكلفين المتخرصين بل ينبذها وراء ظهره ولا يعبأ بشيء منه)[1] .

ويقال أيضا جاء في حديث الجساسة أن بعض الصحابة رأوا الدجال مقيدا في احدى الجزر وأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فلم ينكر عليهم ذلك ، فهوبلا شك موجود في الجزيرة التي روئي فيها الى أن يأذن الله له بالخروج . فهل ينكر وجوده لعدم رؤيته من قبل السائحين ؟

الواجب على المسلم أن يصدق بجميع الأخبار الوارده عن الصادق المصدوق فيؤمن بوجود الدجال ويأجوج ومأجوج سواء روءهم الناس أم لم يروهم .

ومن أدلتهم : تأويلهم لقول الله تعالى : (وهم من كل حدب ينسلون)[2] أن هذا قد حصل حيث أن أمم الكفر حققوا ذلك بصعودهم في الفضاء بالطائرات والمراكب الفضائيه ، وشقهم للبحار والأنهار بالسفن

---

(١) الاحتجاج بالأثر / ٣١٥ .
(٢) سورة الأنبياء / ٩٦ .

والبواخر ، وغير ذلك من وسائل التنقل الحديثة .

والجواب عنه : أن هذا فهم للنص على خلاف مراده ، واستدلال في غير محله ، وذلك لأن هذا الأمر لا يحصل الا في آخر الزمان عند اقتراب الساعة كما دل على ذلك الآية نفسها والتي تليها حيث يقول الله سبحانه : (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق) .

فأخبر الله سبحانه في هذه الآيه أن خروجهم من كل حدب ينسلون لا يحصل الا عند اقتراب الوعد الحق وهو يوم القيامة .

وقد دل على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسنة منها حديث النواس ابن سمعان وحديث أبي سعيد الخدرى وحديث أبي هريرة ، وقد تقدم ذكرها قريبا ، وفيها ذكر نزول عيسى وقتله الدجال وأن يأجوج ومأجوج لا يخرجون الا بعد ذلك ، وذلك كله لا يحصل الا في آخر الزمان ثم ان تفسير الآية بهذا المعنى تفسير محدث لم يسبق اليه أحد من أئمة التفسير ، وكل خير في اتباع من سلف .

بل ان تفسيرهم هذا للآيه يتعارض مع مافسرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن ذلك يحصل في آخر الزمان فيعثون في الأرض فسادا بعد خروجهم وينحاز الناس عنهم اتقاء شرهم .

وذلك كما ورد في حديث أبي سعيد الخدرى المتقدم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يفتح يأجوج ومأجوج على الناس كما قال الله عز وجل (وهم من كل حدب ينسلون) فيعثون في الأرض ، وينحاز المسلمون عنهم ....) الحديث .

ويقال أيضا ان هذا التفسير يتعارض مع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كأشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله ويستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم .

وهذا لم يحصل من أمم الكفر بل هم يتنقلون متى شاءوا الى أى مكان شاءوا ، وليس هناك سد يمنعهم أو حاجز يعوقهم حتى ولو كان تنقلهم بواسطة الأقدام أو الحمير أو غيرها من الوسائل القديمة .

ومن أدلتهم : قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن بدأ انفتاح السد في زمانه حيث قال " لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها "(١) .. الحديث . ومعنى هذا أن السد كل يوم يزداد في الانفتاح حتى تلاشى في زماننا هذا .

والجواب عن هذا أن يقال : قد أخبر الله ورسوله عن خروج يأجوج ومأجوج وعن اندكاك السد وأنه لا يتم الا عند اقتراب الساعة ، وبعد خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام .

---

(١) أخرجه البخارى ١٠٤/٨ ، ومسلم ٢٢٠٧/٤ وغيرهما عن زينب بنت جحش .

دل على ذلك قول الله سبحانه (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق)[1] .

ودل عليه جملة من نصوص السنة منها حديث النواس بن سمعان وحديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد الخدرى وقد تقدم ذكرها .

والمقصود أنه لا يجوز للمسلم أن يأخذ ببعض النصوص ويترك بعضا ، ففي حديث زينب المتقدم أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن انفتاح السد قدر تحليقة اصبعيه ، وفي حديث أبي هريرة أخبر أنهم كل يوم يفتحون من السد قليلا ثم يبيتون فيعود السد كما كان ، الى أن يأذن الله لهم بالخروج في آخر الزمان ، وهذا ظاهر الدلالة في أن اندكاك السد لا يكون الا في آخر الزمان قبل قيامه الساعه عندما يأذن الله لهم بالخروج .

يضاف الى ذلك أن حديث النواس ابن سمعان دل على أن ذلك لا يكون الا بعد خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، فيلزم من قولهم هذا أن يكون الدجال قد خرج وعيسى عليه السلام قد نزل وهذا ظاهر البطلان .

<u>ومن أدلتهم</u> : قولهم ان كثيرا من المعاصرين صرحوا بذلك في كتبهم كشكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا وغيرهما .

والجواب عن هذا أن يقال : تصريح المتأخرين أو من هو أفضل منهم من المتقدمين بما يخالف النص ، لا يلتفت اليه مهما كانت مكانة قائله العلمية .

وقد تقدم بيان بطلان هذا القول بما يكفي ، فلا عبرة بهذه التصريحات

---

(١) سورة الأنبياء / الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

ولا يلتفت اليها .

وقد استدلوا بغير هذه الأدلة ، وأدلتهم كلها واهية لا تقوم بها حجة ، ولا يصلح بها برهان ، وفي النصوص الصحيحة الصريحة مايدل على أمر يأجوج ومأجوج وأن خروجهم لا يحصل الا في آخر الزمان بعد اندكاك السد وبعد خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام .

فالواجب على المسلم أن يؤمن بما صح به الخبر من أشراط الساعة ، ولا يتأول النصوص بخلاف ماتدل عليه .

فالتمسك بالنصوص وعدم تأويلها هو المنهج الذى سار عليه الصحابة وتابعوهم باحسان ، وهو المنهج الحق الذى لا يجوز العدول عنه .

أما الشيخ ابن سعدى فقد أخطأ في ماذهب اليه ، وجانبه الصواب في ذلك وليس هو بالمعصوم ، وقد ظهر في بعض مؤلفاته مايفيد احتمال تراجعه عن هذا القول حيث أنه طبع كتابه التفسير في آخر عمره وقرر فيه عند تفسيره لسورة الكهف وسورة الأنبياء خلاف هذا القول الباطل .

فبين في كتابه التفسير أن الخروج واندكاك السد لا يتم الا في آخر الزمان وهذا القول هو الصواب الموافق لأقوال السلف المطابق لمفهوم نصوص الكتاب والسنة .

فقال عند تفسيره لقوله تعالى : (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق)[1] .

---

(١) سورة الأنبياء / الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

(هذا تحذير من الله للناس أن يقيموا على الكفر والمعاصي ، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج ، وهما قبيلتان من بني آدم ، وقد سد عليهم ذو القرنين ، لما شكى اليه افسادهم في الأرض .

وفي آخر الزمان ينفتح السد عنهم ،فيخرجون الى الناس وفي هذه الحالة والوصف الذى ذكره الله من كل مكان مرتفع ، وهو الحدب ينسلون أى يسرعون .

في هذا دلالة على كثرتهم الباهرة ، واسراعهم في الأرض ، اما بذواتهم واما بما خلق الله لهم من الأسباب التى تقرب لهم البعيد وتسهل عليهم الصعب . وأنهم يقهرون الناس ، ويعلون عليهم في الدنيا ، وأنه لايد لأحد بقتالهم (واقترب الوعد الحق) أى يوم القيامة الذى وعد الله باتيانه ووعده حق وصدق) [1] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى (ثم اتبع سببا ، حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا) الى قوله تعالى (قال هذا رحمه من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) [2] .

قال : (قال المفسرون ذهب متوجها من المشرق قاصدا للشمال ، فوصل الى مابين السدين وهما سدان كانا معروفين في ذلك الزمان .

سدان من سلاسل الجبال المتصلة يمنه ويسره حتى تتصل بالبحار

---

(١) التفسير ٥/٢٦٣ .

(٢) سورة الكهف / الآيات ٨٩ : ٩٨ .

بين يأجوج ومأجوج وبين الناس ، وجد من دون السدين قوما لايكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم واستعجام أذهانهم وقلوبهم .

وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية مافقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم وراجعهم وارجعوه . فاشتكوا اليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما : أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا :

(ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) .

ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد ، وعرفوا اقتدار ذى القرنين عليه فبذلوا له أجره ليفعل ذلك ، وذكروا له السبب الداعي وهو افسادهم في الأرض .

فلم يكن ذو القرنين ذا طمع ولا رغبه في الدنيا ولا تاركا لاصلاح أحوال الرعية بل قصده الاصلاح فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة ولم يأخذ منهم أجره وشكر ربه على تمكينه واقتداره فقال لهم :

(مامكني فيه ربي خير) أى مما تبذلون لي وتعطوني وانما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) أى : مانعا من عبورهم عليكم ، (آتوني زبر الحديد أى قطع الحديد فأعطوه ذلك (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى الجبلين اللذين بني بينهما السد (قال انفخوا) أى أوقدوها ايقادا عظيما واستعملوا لها المنافيخ لتشتد فتذيب النحاس .

فلما ذاب النحاس الذى يريد أن يلصقه بين زبر الحديد (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) أى نحاسا مذابا .

فأفرغ عليه القطر فاستحكم السد استحكاما هائلا ، وامتنع به من وراءه من الناس من ضرر يأجوج ومأجوج .

(فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) أى فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه ولا على نقبه لاحكامه وقوته ، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل أضاف النعمة الى موليها وقال (هذا رحمة من ربي) أى من فضله واحسانه علي ، وهذه حال الخلفاء الصالحين ، اذا من الله عليهم بالنعم الجليلة ، ازداد شكرهم واقرارهم واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم قال (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر)[1] .

بخلاف أهل الجبر والتكبر والعلو في الأرض فان النعم الكبار تزيدهم أشرا وبطرا ، كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال : (انما أوتيته على علم عندى)[2] .

وقوله : (فاذا جاء وعد ربي) أى لخروج يأجوج ومأجوج (جعله) أى ذلك السد المحكم المتقن (دكاء) أى دكه فانهدم واستوى هو والأرض وكان وعد ربي حقا)[3] أهـ . كلامه .

وكلامه في هذين الموضعين هو الصواب الموافق لما عليه السلف

---

(١) سورة النمل / الآيه / ٤٠ .

(٢) سورة القصص / الآيه / ٧٨ .

(٣) التفسير ٥ / ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

الصالح في أمر يأجوج ومأجوج ، وفي كلامه هذا أبلغ رد عليه فيما قاله في رسالتيه المتقدمتين ، وفيه احتمال كبير لتراجعه لأنه طبعه في آخر حياته .

لذا يقول الشيخ حمود التويجرى بعد أن ذكر كلام ابن سعدى عند تفسيره لسورة الأنبياء قال (وهذا صريح في رجوعه عما كان يقوله في يأجوج ومأجوج أنهم أمم الكفار على اختلاف اجناسهم وأوطانهم)(١) .

ثم أشار الشيخ حمود التويجرى الى أن الشيخ ابن سعدى طبع تفسيره في سنة ١٣٧٥ هـ في المطبعة السلفية أى قبل وفاته بسنه ، وأرسل منه نسخه للشيخ حمود التويجرى .

وكان هذا بعد اخراجه للرسالة التى غلط فيها في أمر يأجوج ومأجوج بنحو سبع عشره سنة ، وهذا فيه احتمال كبير لتراجع الشيخ عن قوله المذكور في يأجوج ومأجوج ، وان لم يكن قد تراجع فكلامه فيهم متناقض .

لذا يقول التويجرى " ولم يخرج في تفسير الآيات من سورة الكهف ومن سورة الأنبياء عما ذكره المفسرون في أمر يأجوج ومأجوج ، فيحتمل أنه قد رجع عما قرره في رسالته وان لم يكن رجع عن ذلك فكلامه في يأجوج ومأجوج متناقض فيؤخذ بما كان منه موافقا لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ويرد ماخالفهم فيه"(٢) .

وقد أثنى الشيخ التويجرى على الشيخ ابن سعدى ثناء طيبا بعد أن نبه على خطئه المتقدم وأشار الى علمه وفضله .

---

(١) الاحتجاج بالأثر / ٣٢٦ .

(٢) الاحتجاج بالأثر / ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

فقال : " ليعلم المطلع على كتابي هذا أن انكاري لما توهمه ابن سعدى في أمر السد ويأجوج ومأجوج وماكتبته في التنبيه على اخطائه لا يمنعني من الثناء عليه والدعاء له بالمغفرة والرحمة فقد خلف رحمه الله تعالى علما كثيرا في مؤلفاته وعند تلاميذه فأما كتبه في رسالته في السد ويأجوج ومأجوج فهو من الزلات المغمورة في جنب فضائله ومحاسنه وقد قال الشاعر وأحسن فيما قال :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معانيه "(١)

وثمة موضع آخر أخطأ الشيخ ابن سعدى في تأويله يتعلق بأشراط الساعة حيث أول حديث أبي سعيد الخدرى في قصة الراعي الذى كلمه الذئب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

ولفظ حديث أبي سعيد :عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما اعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه وهجهجه فعانده الذئب ثم أقعى مستذفرا بذنبه يخاطبه فقال أخذت رزقا رزقنيه الله قال وا عجبا من ذئب مقع مستذفر بذنبه يخاطبني فقال والله انك لتترك أعجب من ذلك قال وما أعجب من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ماقد سبق ومايكون بعد ذلك قال فنعق الاعرابي بغنمه حتى ألجأها الى بعض المدينة ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ضرب عليه فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم قال أين الأعرابي صاحب الغنم فقام الأعرابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حدث الناس بما سمعت ومارأيت

---

(١) الاحتجاج بالأثر / ٣٥٨ .

فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وسمع منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك صدق آيات تكون قبل الساعة . والذى نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده) [1] .

فهذا الحديث ظاهر في أن التكليم حصل حقيقة من الذئب للراعي وأنه كذلك يحصل حقيقة من السوط والنعل والعصا قبل قيام الساعة ، الا أن الشيخ ابن سعدى تأول هذا الحديث بما قد حصل في هذه الأزمان من الاتصال التليفونية والهوائية والاذاعات وغيرها .

فقال : (.... واخباره أنه لابد أن يكلم الرجل عذبه سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما فعله أهله بعده ، وصداقه ماظهر من الأعمال الكهربائية والمخاطبات التليفونية والهوائية والراديات المتنوعة التي لا تزال في نمو وازدياد) .[2]

ولا ريب أن تأويل ابن سعدى هذا ظاهر البطلان . ويتنافى مع ماسبق أن قرره من وجوب فهم النصوص على ظاهرها من غير تكلف لتأويلها .

ويكفي في بيان بطلان هذا التأويل صدر الحديث حيث أن الراعي أخبر

---

(١) أخرجه الامام أحمد ٣ / ٨٨ ، والحاكم مفرقا (٤ / ٤٦٧ ، ٤٦٨) وقال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وأخرج آخره الترمذى من قوله " والذى نفسي بيده ...." وقال : (حديث حسن لا نعرفه الا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة مأمون) الترمذى ٤ / ٤٧٦ ، وصححه الألباني . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ١٩٠ .

(٢) وجوب التعاون بين المسلمين / ٤٨ .

النبي صلى الله عليه وسلم أن الذئب كلمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لاتقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده " (١) .

فهنا حصل تكليم حقيقي من الذئب للراعي وكذلك يحصل في آخر الزمان تكلم السباع الآدميين ويكلم السوط والنعل والعصا صاحبه بما أحدث أهله .

كل ذلك حق على حقيقته ويجرى على ظاهره ولايتكلف تأويله بما حصل من المخترعات الحديثية .

ومثله ماأخبر النبي صلى الله عليه وسلم من أن حجرا في مكه كان يسلم عليه (٢) وهذا حق على حقيقته ، وكما يقال في هذا الحديث يقال في الحديث الذى قبله .

ومثله أيضا ماأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن المسلمين يقاتلون اليهود في آخرالزمان فيقول الحجر والشجر يامسلم هذا يهودى خلفي فتعال فاقتله (٣) ، وهذا أيضا حق على حقيقته وسيكلم الحجر والشجر وسيقع طبقا

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) ولفظ الحديث عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اني لأعرف حجرا بمكه كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لأعرفه الآن " .

أخرجه مسلم ١٧٨٢/٤ ، وأحمد ٨٩/٥ .

(٣) ولفظ الحديث قال صلى الله عليه وسلم تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول ياعبدالله هذا يهودى ورائي فاقتله " .

أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما .

البخارى ٢٣٢/٣ ، ومسلم ٢٢٣٨/٤ .

لما أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .

والمقصود أن هذه النصوص وأمثالها لا يجوز تأويلها وصرفها عن ظاهرها بل الواجب أن تمر كما جاءت مع تيقن حصول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من غير تكلف لتأويلها ، أو صرف لها عن ظاهرها .

وبهذا يتبين لنا أن تأويل ابن سعدى للحديث المتقدم بما حصل من المخترعات العصرية خطأ واضح يتنافى مع منهجه السليم من الأخذ بالظاهر وترك التأويل ، والكمال لله والعصمة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

خروج الدابة :

ومن أمارات الساعة الدالة على قرب وقتها خروج دابة الأرض على الناس ضحى تكلمهم وتسميهم مؤمنا وكافرا ، كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنه .

قال تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : " لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات وذكر منها الدابة "[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : (ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من

---

(١) سورة النمل / الآية ٨٢ .

(٢) تقدم تخريجه قريبا .

مغربها و خروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ماكانت قبل صاحبتها ، فالأخرى عى اثرها قريبا) [١] .

و قد أشار ابن سعدى الى هذه الأمارة و كثرة الأحاديث فيها ، وذلك عند تفسيره للآيه المتقدمة فقال :

(و هذه الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان ، و تكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ،لم يذكر الله و رسوله كيفية هذه الدابة و انما ذكر أثرها و المقصود منها ، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول على الناس ، و حين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين و حجة على المعاندين) [٢] .

طلوع الشمس من مغربها :

و من أمارات الساعة طلوع الشمس من مغربها كما تواترت بذلك نصوص الكتاب والسنة .

قال تعالى : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون) [٣] .

---

(١) مسلم ٤ / ٢٢٦٠ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) التفسير ٥ / ٦٠٣ .

(٣) سورة الأنعام / الآيه ١٥٨ .

قال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عماره حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها " [(١)] فذلك حين (لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) [(٢)]

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة عن طلوع الشمس من مغربها .

منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابه وخاصة أحدكم وأمر العامة " . [(٣)] .

ومنها ما رواه مسلم أيضا عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في ايمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ، ودابة الأرض " . [(٤)]

ورواه الامام أحمد وذكر "الدخان" بدل "الدجال". [(٥)]

وقد أشار ابن سعدى عند تفسير الآيه المتقدمة الى كثرة النصوص وتضافرها في طلوع الشمس من مغربها وأن الايمان لاينفع عند طلوعها

---

(١) البخارى ٥/١٩٥ .

(٢) سورة الأنعام / الآيه ١٥٨ .

(٣) مسلم ٤/٢٢٦٧ .

(٤) مسلم ١/١٣٨ .

(٥) المسند ٢/٤٤٥ .

فقال : " وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد ببعض آيات الله طلوع الشمس من مغربها ، وأن الناس اذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم ايمانهم ويغلق حينئذ باب التوبة " (١) .

وقال في المواهب الربانيه : " فسر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بطلوع الشمس من مغربها فالأحاديث الصحيحة دلت على أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها . والآيه دلت على أن أى آيه من آيات الله التي هي مقدمات الساعة وبها يكون الايمان اضطراريا أتت فانه لا ينفع الايمان لأنه انما ينفع ايمان الاختيار وايمان الغيب واذا أتى بعض الآيات صار الايمان بشهادة واضطرار فلا ينفع فالآية دلت على التعليل والأحاديث دلت على الأوليه " (٢) .

(وهذا آخر ما يتعلق بمبحث أشراط الساعة ويليه المبحث الثاني وهو الايمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه . وبالله التوفيق) .

---

(١) التفسير ٢/٥٠٩ .

(٢) المواهب الربانيه /٧ .

المبحث الثاني

الإيمان بفتنةِ القبر وعَذابه ونعيمِهِ

المبحث الثاني

الايمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه

لقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على اثبات فتنة القبر وعذابه ونعيمه وأجمع على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة .

وقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات تثبت عذاب القبر ونعيمه وفتنته ، قال الله تعالى : (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) [1] .

وقال الله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) [2] .

وقال تعالى : (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) [3] .

وقال تعالى : (سنعذبهم مرتين) [4] ، وقال (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) [5] .

وقال (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [6] .

---

(١) الأنعام /٩٣ .
(٢) ابراهيم /٢٧ .
(٣) المؤمنون/ ٩٩ ، ١٠٠ .
(٤) التوبة / ١٠١ .
(٥) السجدة/ ٢١ .
(٦) غافر/ ٤٥ ، ٤٦ .

كما ورد في السنة أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثبات فتنة القبر وعذابه ونعيمه منها :

حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انكم تفتنون في قبوركم كفتنة الدجال) (١) .

ومنها حديثها أيضا رضي الله عنها " أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر" (٢) .

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال :" أما انهما ليعذبان ومايعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله " . قال فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال " لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا " . (٣)

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم " ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم " قال : يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ " قال :" فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله " قال :" فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة " قال نبي الله صلى الله عليه وسلم " فيراهما جميعا " (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٢٩ ومسلم ٢/ ٦٢١ .
(٢) أخرجه البخاري ٢/ ١٠٢ .
(٣) أخرجه البخاري ١/ ٦٠ ومسلم ١/ ٢٤٠ واللفظ لمسلم .
(٤) أخرجه البخاري ٢/ ١٠٢ ومسلم ٤/ ٢٢٠٠ .

وغيرها من الأحاديث والمقصود أن نصوص الكتاب والسنه متضافره على اثبات فتنة القبر وعذابه ونعيمه .

لذا فقد تناول ابن سعدى اثبات عذاب القبر ونعيمه في مؤلفاته وبين أن ذلك من عقائد المسلمين الواجب اعتقادها .

قال : (أما أحوال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه وتفاصيل ذلك فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة والحسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو معروف ، والقرآن أشار اليه في عدة آيات) [١] .

وقال : (كل ماجاء في الكتاب والسنه مما يكون بعد الموت فانه داخل في الايمان باليوم الآخر كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابه ...) [٢]

وقال : (ومن أنواع الايمان بالغيب الايمان باليوم الآخر وبما وعد الله العباد من الجزاء فدخل في هذا الايمان بجميع مايكون بعد الموت من فتنة القبر وأحواله ....) [٣] .

ولذلك فان ابن سعدى في تفسيره اذا مر بآيه فيها دلالة أواشارة الى عذاب القبر بين ذلك وأوضحه .

قال عند قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) [٤] .

(.... وفي هذه الآيه دلاله على فتنة القبر وعذابه ونعيمه كما تواترت

---

(١) الخلاصه/ ٢٦ .
(٢) سؤال وجواب / ١٥ .
(٣) المواهب الربانيه / ٦٦ .
(٤) ابراهيم / ٢٧ .

بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة وصفتها ونعيم القبر وعذابه) .[1]

وقال عند قوله تعالى : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) [2] .

(.... وهذه الآية من الأدلة على اثبات عذاب القبر ودلالتها ظاهرة فانه قال : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي بعض وجزء منه فدل على أن ثم عذابا أدنى قبل العذاب الأكبر وهو عذاب النار) .[3]

وقال عند قوله تعالى : (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) [4] .

(.... وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه ، فان هذا الخطاب والعذاب الموجه انما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده) [5] .

وهذا يظهر لنا مدى اهتمام ابن سعدى في تفسيره للقرآن بالجوانب العقديه فهو عند كل آية تتعلق ببيان أمر عقدى أو ورد شبه أو تأصيل قاعدة أو غير ذلك فانه يقف عندها مبينا ما فيها من هذه الجوانب الهامة نسألة فتنة القبر وعذابه ونعيمه كلما مر بآية تتعلق بهذا الجانب بينه وأظهره وربما ذكر في بعض المواضع الآيات الدالة على ذلك كما فعل عند قوله تعالى :

---

(١) التفسير ٤ / ١٤٠ .
(٢) السجدة / ٢١ .
(٣) التفسير ٦ / ١٨٧ .
(٤) الأنعام / ٩٣ .
(٥) التفسير ٢ / ٤٣٦ .

(ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا)[1] .

قال : (وهذه احدى الآيات الدالة على عذاب القبر والثانية قوله تعالى : (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت الملائكة باسطو أيديهم)[2] . والثالث: قوله : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر)[3] والرابعة قوله عن آل فرعون (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)[4])[5] .

وهذا كله المقصود منه بيان هذه العقيدة وتقريرها وترسيخها في الأذهان .

وكما اهتم ابن سعدى بتقرير هذه العقيدة فقد عنى أيضا ببيان صفتها وكيفية الافتتان وصفة النعيم وصفة العذاب وغير ذلك من الأمور التي تحصل عند دخول الميت في قبره مما دل عليه الكتاب والسنة .

قال رحمه الله : (فأما الفتنة فان الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومانبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي وأما المرتاب فيقول هاه هاه لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق .

وهذا الابتلاء والامتحان لكل عبد فأما من كان مؤمنا ايمانا صحيحا ثبته الله ولقنه الجواب الصحيح للملكين كما قال تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا

---

(١) طه / ١٢٤ .
(٢) الأنعام/٩٣ .
(٣) السجدة/٢١ .
(٤) غافر / ٤٥ .

بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فذكر أن تثبيته لهم جزاء لهم على ايمانهم في الدنيا فالمؤمن يجيب الجواب الصحيح وان كان عاميا أو أعجميا وأما الكافر والمنافق ممن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسول فانه يستعجم عليه الجواب ولو كان من أعلم الناس وأفصحهم كما قال تعالى (ويضل الله الظالمين) ومن حكمة الله أن نعيم البرزخ وعذابه لا يحس به الانس والجن بمشاعرهم لان الله تعالى جعله من الغيب ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة .

ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم وأما عذاب الى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح الى الأجساد وتقوم القيامة التي أخبرالله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ...)[1]

كما بين رحمه الله أن دار البرزخ وما فيها من نعيم أو عذاب ليس المقصود منه الخلود والبقاء وانما هي دار فاصلة بين الدنيا والآخرة ينتقل الناس بعد الدخول اليها الى دار الخلود والبقاء وهي الدار الآخرة فقال عند تفسيره لسورة التكاثر :

(ودل قوله (حتى زرتم المقابر) أن البرزخ دار المقصود منها النفوذ الى دار الآخرة لأن الله سماهم زائرين ولم يسمهم مقيمين)[2] .

والى هنا أكتفي بما يتعلق ببحث فتنة القبر وعذابه ونعيمه لانتقال للمبحث الذى يليه وسيكون الحديث فيه عن النفخ في الصور .

---

(١) التنبيهات اللطيفة / ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) التفسير ٧/٦٦٧ .

المبحث الثالث

الإيمان بالنفخ في الصور

المبحث الثالث

الايمان بالنفخ في الصور

قد أخبر الله عز وجل في كتابه بثلاث نفخات :

نفخة الفزع في سورة النمل في قوله : (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله)[1] .

ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)[2][3] .

فالنفخة الأولى هي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه ، ويحصل الفزع فيها لشدة مايقع من هول تلك النفخة .

والنفخة الثانية وهي التي فيها هلاك كل شيء ودماره الا من استثناه الله كما قال تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله) .

وأما النفخة الثالثة فهي التي يبعث الناس فيها من قبورهم ويقومون لرب العالمين .[4]

وقد ذكر ابن سعدى هذه النفخات بأنواعها ، وذكر معنى الصور ومن

---

(١) سورة النمل / الآية/٨٧ .
(٢) سورة الزمر / الآية /٦٨ .
(٣) الفتاوى لابن تيميه ٤ / ٢٦٠ ، ٢٦١ .
(٤) لوامع الأنوار البهيه للسفاريني ٢ / ١٦٤ .

الموكل بالنفخ فيه ، وما يحدث عقب هذه النفخات من هلاك أو دمار أو فــزع أو شده .

قال في تعريف الصور والنافخ فيه : (وهو قرن عظيم لا يعلم عظمته الا خالقه ومن اطلعه الله على علمه من خلقه ، ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام أحــد الملائكة المقربين وأحد حملة عرش الرحمن)[1] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته ، وأصغى سمعه ، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ . قال المسلمون : فكيف تقول يارسول الله ؟ قال : قولـوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله ربنا)[2] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : (جاء أعرابي الى النبي صلى اللـه عليه وسلم فقال ما الصور ؟ فقال قرن ينفخ فيه)[3] .

وتحدث ابن سعدي عن النفخات الثلاث في تفسيره .

فقال عن نفخ الفزع عند تفسيره لقوله تعالى : (ويوم ينفخ في الصور ففـزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين)[4] .

(بسبب النفخ في الصور افزع الناس وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفـا

---

(١) التفسير ٦/٤٩٣

(٢) أخرجه الترمذي ٤/٦٢٠ ، وقال حديث حسن ، وأحمد ٣/٧ . وأبو نعيم في الحليه ٥/١٠٥ ، وصححه الألباني ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٦٦ .

(٣) أخرجه الترمذي ٤/٦٢٠ وقال حديث حسن ، وأبو داود ٤/٢٣٦ ، والدارمي ٢/٣٢٥ ، وأحمد ٢/١٩٢ ، والحاكم ٢/٥٠٦ وقال صحيح الاسنـاد ووافقه الذهبي . وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١١/٥٨ .

(٤) سورة النمل / ٨٧ .

ما هو مقدمة له الا من شاء الله ممن أكرمه الله وثبته وحفظه من الفـزع)[1]

وقال عن نفخة الصعق والموت عند تفسيره لقوله تعالى : (ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) .

، (وهي نفخة الصور تأخذهم وهم لاهون عنها لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم وتشاجرهم فيما بينهم الذى لا يوجد في الغالب الا وقت الغفلة ، واذا أخذتهم وقت غفلتهم فانهم لا ينظرون ولا يمهلون)[2] .

وقال عن نفخة البعث والنشور :

عند تفسيره لقوله تعالى : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فجمعناهم جمعا)[3]

(أى اذا نفخ اسرافيل في الصور أعاد الله الأرواح الى الأجسام ثم حشرهم وجمعهم لموقف القيامة ، الأولين منهم والآخرين والكافرين والمؤمنين ليسألوا ويحاسبوا ويجازوا بأعمالهم)[4]

وقال عند قوله تعالى : (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون)[5] .

(فاذا نفخ في الصور خرجوا من الأجداث والقبور ينسلون الى ربهم أى : يسرعون للحضور بين يديه لا يتمكنون من التأني والتأخر)[6] .

---

(١) التفسير ٥/ ٦٠٤ . بتصرف .
(٢) التفسير ٦/ ٣٥٢ .
(٣) سورة الكهف / الآية ٩٩ .
(٤) التفسير / ٥/ ٨٠ .
(٥) سورة يس / آية ٥١ .
(٦) التفسير ٦/ ٣٥٢ وانظر أيضا التفسير ٧/ ٤٦٠ ، ٥/ ١٨٧ ، ٥/ ٣٨٠ .

المبحث الرابع

الإيمان بالبعث والنشور

المبحث الرابع

الايمان بالبعث والنشور

وبعد المكث في دار البرزخ يبعث الله من في القبور ويعيدهم معادا جسمانياً ، فيجمع الله عز وجل أجزاءهم الأصلية ويعيد تركيبها كما كانت وإن تفرقت وبليت وتحرقت ، ويعيد الأرواح إليها .

فقد دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة. فالله سبحانه أخبر في كتابه عن هذا المعاد ورد على من أنكره بأنواع الردود . وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم أخبر في عدة أحاديث صحيحة عن المعاد والبعث والنشور ، واتفق علماء المسلمين على ذلك بل ان البعث والمعاد متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ، ولم ينكره الا الدهرية والمشركون .

قال العلامة المحقق ابن القيم في كتابه الروح : (معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى)[1] .

أما أدلة الكتاب على ذلك فكثيرة منها :

قوله تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[2] .

وقوله : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور)[3] .

---

(١) الروح لابن القيم / ٧٤ .
(٢) سورة طه / الآية ٥٥ .
(٣) سورة الحج / الآية ٧ .

وقوله : (ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون)[(١)] .

وقوله : (الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون)[(٢)] .

وقوله : (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير)[(٣)] .

وقوله : (ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم اذا شاء أنشره)[(٤)] .

وغيرها من النصوص وهي كثيرة جدا بل القرآن كله من فاتحته الى خاتمته مملوء بذكر أحوال البعث والنشور ومابعده ، وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدا .

منها حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياى فزعم أني لا أقدر ان أعيده كما كان ، وأما شتمه اياى فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة ولا ولدا)[(٥)] .

ومنها حديث أبي هريرة ، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان في الانسان عظما لاتأكله الأرض أبدا فيه يركب يوم القيامه ، قالوا أى عظم هو يارسول الله قال : عجب الذنب)[(٦)] .

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال :اذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر. فوالله لان قدر

---

(١) سورة المؤمنون / الآيه ١٦ .

(٢) سورة الروم / الآيه / ١١ .

(٣) سورة لقمان / الآيه / ٢٨ .

(٤) سورة عبس /الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٥) أخرجه البخارى ١٤٩/٥ .

(٦) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٧١ .

علي ربي ليعذبني عذابا ماعذبه به أحدا . قال ففعلوا ذلك به فقال للأرض أدى ما أخذت فاذا هو قائم فقال له ماحملك على ماصنعت ؟ فقال خشيتك يارب أو قال مخافتك . فغفر له بذلك)[1] .

والنصوص في ذلك كثيرة بل ان هذا الأمر محل اتفق الرسل ، والكتب مطبقة على حصول ذلك ، فالواجب الايمان بذلك اذ هو من الايمان باليوم الآخر الذى هو أحد أركان الايمان .

وقد كفر الله من أنكره بقوله : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)[2] .

وقد اعتنى ابن سعدى بتقرير هذا الأمر وبيان شواهده وأدلته الحسية والمعنوية قال : (اتفقت الكتب السماوية والرسل العظام واتباعهم على اختلاف طبقاتهم وتباين اقطارهم وأزمانهم وأحوالهم على الايمان به والاعتراف به وكم أقام الله عليه من الأدلة الحسيه والمشاهدة ما يدل أكبر الدلالة عليه وكم أشهد عباده في هذه الدار نماذج من الثواب والعقاب وأراهم حلول المثلات بالمكذبين وأنواع العقوبات الدنيوية بالمجرمين ، كما أراهم نجاة الرسل وأتباعهم المؤمنين واكرامهم في الدنيا قبل الآخرة وكم أبطل الله شبهة يقدح بها في المعاد ..)[3] .

وقد قرر الله عز وجل البعث والنشور في كتابه العزيز بصيغ متعددة وأساليب متنوعة .

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢١١٠ ، وأخرجاه بنحوه من حديث أبي سعيد الخدرى . البخارى ٨/ ٢٠٠ ، ومسلم ٤ / ٢١١١ .

(٢) سورة التغابن / الآية /٧ .

(٣) الفتاوى السعديه / ٤٩ .

فتارة يخبر سبحانه عن قدرته المطلقة في الخلق والايجاد وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

وتارة يبين أن ايجاده للناس من العدم وخلقهم لهم ابتداء يدل أكبر دلاله على قدرته على اعادتهم بعد موتهم وفنائهم وهذا الأخير أهون .
وتارة يخبر ان الذى قدر على ايجاد السموات والأرض ومافيهما من صنع الله ، لأكبر دليل على قدرة الله على البعث بعد الموت .

وتارة يبين أن احياء الأرض الهامده الميتة الخالية من الماء والزروع يدل أكبر دلاله على قدرته على خلق الناس وأن الذى أحياها سيحيي الموتى .

وتارة يضرب الأمثلة الحسيه المشاهده في بعض الناس فيميتهم ويحييهم ليبين لهم قدرته على ذلك وليعتبر غيرهم وهذا كثير في القرآن كما أخبر الله عن صاحب البقره ، والذى مر على القرية الخاوية وقصة الألوف من بني اسرائيل ، وقصة أصحاب الكهف وغيرها من أنواع الأدلة التى لا تدع مجالا للشك ولا سبيلا للتردد .

ومن نصوص القرآن المبينة لذلك قوله تعالى :

(ألم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ، أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم

نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم)(١)

وقوله تعالى : (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير)(٢) .

وقوله : (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون)(٣) .

وقوله : (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)(٤) .

وقوله تعالى : (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(٥) .

---

(١) سورة البقرة / الآيات ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) سورة الأحقاف / الآية ٣٣ .

(٣) سورة يس / الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

(٤) سورة البقرة / الآيه ٢٤٣ .

(٥) سورة الروم / الآيه ٢٧ .

وقوله تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير)[1] .

وقوله تعالى :(أيحسب الانسان أن يترك سدى ، ألم يكن نطفة من مني يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى)[2] .

وغيرها من الآيات القرآنية المقررة للمعاد والنشور ، بالأساليب المتعددة والطرق المتنوعة.

وقد قعد ابن سعدي في كتابه القواعد الحسان قاعدة ذكر تحتها جملة من هذه الأساليب المتنوعة في تقريرالمعاد . وهي (" القاعدة الثامنة" طريقة القرآن في تقرير المعاد ") بين تحت هذه القاعدة أن المعاد أحد الأصول المتفق عليها بين الرسل والشرائع كالتوحيد والنبوات .

ثم قال :(وهذا قد أكثرالله من ذكره في كتابه الكريم. وقرره بطرق متنوعة :

منها :اخباره وهو أصدق القائلين عنه وعما يكون فيه من الجزاء الأوفى ، مع اكثار الله من ذكره ، فقد أقسم عليه في ثلاثة مواضع من كتابه ، كقوله (لا أقسم بيوم القيامة)[3] .

ومنها : الاخبار بكمال قدرة الله تعالى ، ونفوذ مشيئته ، وأنه

---

(١) سورة الحج / الآيتان ٥ ، ٦ .

(٢) سورة القيامة / الآيات ٣٦ : ٤٠ .

(٣) سورة القيامة / الآيه / ١.

لا يعجزه شيء ، فاعادة العباد بعد موتهم فرد من أفراد آثار قدرته .

ومنها : تذكيره للعباد بالنشأة الأولى ، وأن الذى أوجدهم ولم يكونوا شيئا مذكورا ، لابد أن يعيدهم كما بدأهم ، وأن الاعادة أهون عليه. وأعاد هذا المعنى في مواضع كثيرة بأساليب متنوعة. ومنها :احياؤه الأرض الهامدة الميته ، بعد موتها ، وأن الذى أحياها سيحيى الموتى ، وقرر ذلك بقدرته على ماهو أكبر من ذلك وهو خلق السموات والأرض والمخلوقات العظيمة ، فمتى أثبت المفكرون ذلك ، ولن يقدروا على انكاره ، فلأى شيء يستبعدون احياء الموتى وقرر ذلك بسعة علمه وكمال حكمته ، وأنه لايليق به ، ولا يحسن أن يترك خلقه سدى مهملين لا يؤمرون ولا ينهون ، ولا يثابون ولا يعاقبون وهذا طريق قرر به النبوة وأمر المعاد .

ومما قرر به البعث ومجازاة المحسنين باحسانهم ، والمسيئين باسائتهم ماأخبر به من أيامه وسننه سبحانه في الأمم الماضيه والقرون الغابره ، وكيف نجى الأنبياء وأتباعهم ، وأهلك المكذبين لهم المنكرين للبعث ، ونوع عليهم العقوبات وأحل بهم المثلات ، فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة أراه الله عباده ، ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيى عن بينة .

ومن ذلك :ماأرى الله عباده من احيائه الأموات في الدنيا كما ذكر الله عن صاحب البقره والألوف من بني اسرائيل ، والذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، وقصة ابراهيم الخليل والطيور واحياء عيسى ابن مريم للأموات وغيرها مما أراه الله عباده وفي هذه الدار ، ليعلموا أنه قوى ذو اقتدار ، وأن العباد لابد أن يردوا دار القرار ، اما الجنة أو النار.

وهذه المعاني أبداها الله وأعادها في محال كثيره. والله أعلم) (١)

---

(١) القواعد الحسان / ٢٤ ، ٢٥ .

وقد جمع الله أكثر هذه الأساليب المتنوعة في أواخر سورة "يس" حيث قال سبحانه :

(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون)[1] .

فهذه الآيات جمع الله فيها أدلة كثيرة على المعاد ، وفيه أبلغ رد على من ينكره .

قال ابن سعدى عند تفسيره لها : (وهذه الآيات الكريمات فيها ذكر شبهة منكرى البعث والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه) .

ثم ذكر شبهة المنكر للبعث أو الشاك فيه ، وهي قوله من يحيى العظام وهي رميم حيث قاس قدرة الخالق على المخلوق وهذا الأمر عنده مستبعد على مايعهد من عادة البشر .

ثم استخلص ابن سعدى من هذه الآيات ستة أدلة فيها أبلغ رد على هذا المنكر .[2]

قال : (فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف فقال :

---

(١) سورة يس / الآيات ٧٧ : ٨٣ .

(٢) التفسير ٦/٣٦٣ .

(قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) وهذا بمجرد تصوره يعلم به علما يقينيا لا شبهة فيه أن الذى أنشأها أول مرة قادر على الاعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة اذا تصوره المتصور.

(وهو بكل خلق عليم) هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها في جميع الأوقات.

ويعلم ماتنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى ويعلم الغيب والشهادة فاذا أقر العبد بهذا العلم العظيم علم أنه أعظم وأجل من احياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلا ثالثا فقال : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) فاذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر الذى هو غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما، فاخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلا رابعا فقال :(أوليس الذى خلق السموات والأرض) على سعتهما وعظمهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) أى :أن يعيدهم بأعيانهم (بلى) قادر على ذلك فان خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

(وهو الخلاق العليم) وهذا دليل خامس فانه تعالى الخلاق الذى جميع المخلوقات متقدمها ومتأخرها صغيرها وكبيرها كلها أثر من آثار خلقه وقدرته وأنه لا يستعصى عليه مخلوق أراد خلقه فاعادته للأموات فرد من أفراد آثار خلقه ولهذا قال :

(انما أمره اذا أراد شيئا) نكره في سياق الشرط فتعم كل شىء (أن يقول

له كن فيكون) أى في الحال من غير تمانع ٠

(فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) وهذا دليل سادس ، فانه تعالى هو الملك المالك لكل شئ الذى جميع ماسكن في العالم العلوى والسفلي ملك له وعبيد مسخرون مدبرون يتصرف فيهم بأقداره الحكمية وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية ، فاعادته اياهم بعد موتهم لينفذ فيهم حكم الجزاء من تمام ملكه (واليه ترجعون) من غير امتراء ولا شك لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك فتبارك الذى جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور)[1] أ.هـ٠

ثم ان الناس بعد المعاد والنشور يواجهون أهوالا عظيمة وشدائد مخيفة ، ينقسم الناس بعدها الى قسمين أو فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير٠

وهذا ماسيدور عليه حديثنا في المبحث التالي :

---

(١) التفسير ٣٦٣/٦ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥٠

المبحث الخامس

الإيمان باليوم الآخر بعد البعث

المبحث الخامس

الايمان باليوم الآخر بعد البعث

تقدم معنا في مطلع هذا الفصل حديثٌ مجملٌ عن وجوب الايمان باليوم الآخر وأنه أحد أركان الايمان الستة ، وأنه من الايمان بالغيب ، وتحدثنا عن الفوائد العظيمة الحاصلة بالايمان به .

وأما حديثنا هنا فسيكون عن بعض تفاصيل أحوال اليوم الآخر بعد النفخ في الصور والبعث والنشور ، مما يكون في ذلك اليوم من أهوال وشدائد ، وما فيه من حشر للخلائق وعرض للأعمال ، وعن الميزان والصراط والحوض والشفاعة ، وعن الجنة وما فيها من النعيم المقيم ، وعن النار وما فيها من العذاب الأليم .

وغير ذلك من أحوال ذلك اليوم ، مما تواترت به النصوص ، ووجب الايمان به .

وهذه الأمور المتقدمة تناولها ابن سعدى في مؤلفاته ، وبين أنها حق ، وأن الايمان بها واجب ، وأنها داخله في الايمان باليوم الآخر ، اذ كل ما ورد ذكره في القرآن الكريم أو في السنه المطهرة من أحوال ذلك اليوم كله داخل في الايمان باليوم الآخر .

قال ابن سعدى في إحدى خطبه مبينا ما ينبغي على المسلمين اعتقاده في اليوم الآخر :

(ونؤمن بجميع ما جاء به الكتاب والسنه من أحوال اليوم الآخر والشفاعة والحوض والميزان والصراط وصحائف الأعمال ، وما ذكر من صفات الجنة والنار

وصفات أهلهما ، وكل ذلك حق لا ريب فيه وكله داخل في الايمان باليوم الآخر)[1] .

وقال في موضع آخر من مؤلفاته : (فكل ماجاء به الكتاب والسنة ، مما يكون بعد الموت فانه من الايمان باليوم الآخر كأحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين والشمال ، وأحوال الجنة والنار ، وصفات أهلهما ، وأنواع ماأعده الله فيهما لأهلهما اجمالا وتفصيلا ، وكل ذلك داخل في الايمان باليوم الآخر)[2] .

وقد كان ابن سعدى يعنى في مؤلفاته ببيان ماورد ذكره في القرآن والسنة مما يتعلق باليوم الآخر ، فتحدث عن الحشر ووزن الأعمال والشفاعة والحوض والصراط والجنة والنار وغيرها .

وفيما يلي اذكر جملة منها وكلام ابن سعدى فيها :-

كلامه في الحشر والموازين :

بعد بعث الناس وخروجهم من قبورهم ، يقفون في المحشر امام ربهم ، لينالوا جزاء أعمالهم في الدنيا ، وهو يوم عصيب لا يعلم هوله وعظمه الا الله ، يجمع الله فيه الأولين والآخرين من الخلق أنسهم وجنهم وصغيرهم وكبيرهم حتى الوحوش فانها تحشر ، وذلك كله من كامل عدله ولطفه واحسانه .

قال تعالى :(وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)[3] .

---

(١) الخطب المنبرية / ٧٦ .

(٢) الفتاوى السعديه / ١٦ .

(٣) سورة الكهف / الآيه ٤٧ .

وقال تعالى : (واتقوا الله الذى اليه تحشرون)[1] .

وقال تعالى : (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ، وذلك حشر علينا يسير)[2]

وقال تعالى : (واذا الوحوش حشرت)[3] .

قال ابن سعدى في وصف ذلك اليوم : (اذا نفخ في الصور نفخة البعث يقوم الناس من أجداثهم كاملي الخلقة ينظرون مايستقبلهم من هذه الحياة الأخرويه التى يجازى فيها العباد بأعمالهم حسنها وسيئها .

أما المؤمنون الطائعون فيقومون مطمئنين طامعين في فضل ربهم ورحمته مستبشرين بثوا به وعفوه ومغفرته ، وأما المجرمون فيقومون فزعين خائفين متحسرين يدعون بالويل والثبور ، يقولون : ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ فيساقون الى جهنم وردا ، فحينئذ تكثر القلاقل والأهوال ويشيب الولدان من هول ذلك اليوم وفظاعته (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد)[4] .

(يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، وجوه يومئذ مسفره ضاحكة مستبشره وجوه يومئذ عليها غبره ترهقها قتره أولئك هم الكفرة الفجرة)[5] ، (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين

---

(١) سورة المائدة / الآيه ٩٦ .

(٢) سورة ق / الآية ٤٤ .

(٣) سورة التكوير / الآيه ٥ .

(٤) سورة الحج / ١ .

(٥) سورة عبس / الآيات ٣٤ : ٤٢ .

عسيرا) [١] ، وتكور الشمس والقمر وتنتثر النجوم فتذهب هذه الأنوار المشاهدة وتشرق الأرض بنور ربها ، وينزل الله لفصل القضاء بين عباده ومحاسبتهم على أعمالهم. أما المؤمنون فيحاسبون حسابا يسيرا يقررهم بذنوبهم ثم يغفرها ويسترها عن الخلائق. ويضاعف لهم الحسنات ويعطيهم من فضله واحسانه مالاتبلغه أعمالهم ، ويعطون كتبهم بايمانهم اكراما واحتراما كما تبيض وجوههم وتثقل موازينهم. ويغتبطون بذلك ويستبشرون به فيقولون لاخوانهم ومعارفهم ومحبيهم هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت - أى :أيقنت - أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية .. الآيات [٢] ، ويساقون الى الجنة زمرا كل طائفة منهم مع نظرائهم في الخير بحسب طبقاتهم وسبقهم...

ثم قال : وأما الكافرون المجرمون فيحاسبهم الله على ماأسلفوه من الجرائم ويقرعهم ويخزيهم بين الخلائق ، ويعطون كتبهم من وراء ظهورهم بشمائلهم ،وتسود منهم الوجوه ، وتخف موازينهم ، ويساقون الى جهنم جياعا عطاشا منزعجين مرعوبين زمرا ، كل طائفة تحشر مع نظيرها من أهل الشر ....) [٣]

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) [٤] .

: (ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض فلا يغادر منهم أحدا بل يجمع الأولين والآخرين ، من بطون الفلوات ،وقعور البحار ويجمعهم بعد ما تفرقوا ويعيدهم بعد ماتمزقوا خلقا جديدا .

---

(١) سورة الفرقان / الآيتان ٢٥ ، ٢٦.
(٢) سورة الحاقة / الآيات ١٩ : ٣٧.
(٣) الخلاصة / ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . بتصرف .
(٤) سورة الكهف / الآية ٤٧.

فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم ويحكم فيهم بحكمه العدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ، ويقول لهم : (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) [١] أى بلا مال ولا أهل ولا عشيرة ، ما معهم الا الأعمال والمكاسب في الخير والشر التى كسبوها كما قال تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيهم شركاء) [٢] ....) [٣]

ثم بعد ذلك تنشر الدواوين وتوزن الأعمال فآخذ كتابه باليمين وآخذ كتابه بالشمال .

(فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ، اني ظننت أني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضيه ، في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغني عني ماليه ، هلك عني سلطانيه ، خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) [٤] .

قال ابن سعدى : (وحينئذ تحضر الأعمال التى كتبها الملائكة الأبرار فتطير لها القلوب وتعظم من وقعها الكروب وتكاد لها الصم الصلاب تذوب) [٥] .

وقال :(وفي يوم القيامه مواضع يشتد كربها ويعظم وقعها كالميزان

---

(١) سورة الكهف / الآيه ٤٨ .
(٢) سورة الأنعام / الآيه ٩٤ .
(٣) التفسير ٥/ ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) سورة الحاقه / الآيات ١٩ : ٣٢ .
(٥) التفسير ٥/ ٤٦ .

الذى يميز به أعمال العباد وينظر فيه بالعدل ماله وماعليه ، وتبين فيه مثاقيل الذر من الخير والشر.

فمن ثقلت موازينه بأن رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون لنجاتهم من النار واستحقاقهم الجنة وفوزهم بالثناء الجميل .

ومن خفت موازينه بأن رجحت سيئاته على حسناته وأحاطت به خطيئاته فأولئك الذين خسروا أنفسهم خسارة أبديه وشقاوة سرمدية في جهنم خالدون لا يخرجون منها أبد الآبدين) .(١)

كلامه في الحوض المورود :

لقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ثبوت الحوض المورود في عرصات القيامة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في السنة أوصاف كثيرة لهذا الحوض .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا " .(٢)

وعن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ماآنية الحوض ؟ قال : " والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحيه آنية الجنة من شرب منها لم

---

(١) التفسير ٥/ ٣٨٠ بتصرف .
(٢) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٩٣ .

يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان الى أيله ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل.[1]

يقول ابن سعدي : (وفي عرصات القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا)[2].

ويقول أيضا معددا مايناله المؤمنون يوم القيامة من الخير العظيم (... كما يردون في عرصات القيامة حوض نبيهم فيشربون منه شربة هنيئة لايظمأون بعدها)[3].

كلامه في الصراط :

الصراط جسر ينصب على متن جهنم ليعبر الناس من فوقه الى الجنة ، فمنهم من يتمكن من العبور بسرعة ، ومنهم من لايعبر الا ببطأ ، ومنهم من لايتمكن من العبور فيسقط في جهنم .

وقد ورد في ذكر الصراط وصفته وصفة المرور عليه أحاديث كثيرة :

منها حديث الشفاعة الطويل المتفق على صحته وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (... ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولايتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم

---

(١) أخرجه مسلم ٤/١٧٩٨ .
(٢) التنبيهات اللطيفة / ٤١ .
(٣) الخلاصة / ٢٧ .

يارسول الله . قال فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لايعلم ماقدر عظمها الا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه)[1] الحديث .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (.... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم قلنا : يارسول الله وماالجسر ؟ قال : مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ، وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا)[2] الحديث.

يقول ابن سعدى : (وفي ذلك الموطن ماثم الا النار قد برزت وليس لأحد نجاة الا بالعبور على الصراط وهذا لايستطيعه الا أهل الايمان الذين يمشون في نورهم ، وأما غير المؤمنين فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار)[3] .

ويقول في وصف الناس حال عبورهم الصراط : (ويمرون على الصراط على قدر أعمالهم كلمح البصر وكالبرق الخاطف وكأجاويد الخيل والابل وكسعي الرجال وكمشيهم ودون ذلك ...)[4]

كلامه في الشفاعة :

قال ابن تيمية رحمه الله : (وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته .

(١) البخارى ١٧٩/٨ ، ومسلم ١٦٣/١ ، وأخرجه أحمد ١١/٣ من حديث أبي هريرة .
(٢) البخارى ١٨١/٨ ، ومسلم ١٦٧/١ . واللفظ للبخارى .
(٣) التفسير ٣٥٨/٦ بتصرف يسير .
(٤) الخلاصة /٢٧ .. وانظر التفسير ١٣٠/٥ .

وله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة ثلاث شفاعات :

أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم حتى تنتهي الشفاعة اليه .

وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضله ورحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله لها أقواما فيدخلهم الجنة)[1] .

وهذا الكلام الجامع في الشفاعة الذى ذكره شيخ الاسلام دلت عليه نصوص كثيرة في الكتاب والسنة .

منها : قوله تعالى : (مامن شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون)[2]

وقوله : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)[3] .

---

(١) العقيدة الواسطية / ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) سورة يونس /الآية ٣ .

(٣) سورة الأنبياء / ٢٨ .

وقوله : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا)[(١)] .

وقوله : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه)[(٢)] .

ومن أدلة السنة حديث أنس بن مالك الطويل في ذكر الشفاعة وفيه أن الناس يأتون آدم ليشفع لهم فيعتذر ويأتون ابراهيم فيعتذر ويأتون موسى فيعتذر ويأتون عيسى فيعتذر ثم يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول " أنا لها " .

قال صلى الله عليه وسلم : (فانطلق فأستأذن على ربي ،فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ، ثم أخر له ساجدا فيقال لي : يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع . فأقول رب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بره أو شعيره من ايمان فأخرجه منها فانطلق فأفعل ، ثم أرجع الى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا ، فيقال لي : يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول أمتي أمتي فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل " [(٣)] .

وعلى هذا فان الشفاعة حق ، وهي ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن يأذن له الله عز وجل من النبيين والصديقين والملائكة .

قال ابن سعدى : (وأما الشفاعة عنده باذنه من الأنبياء والأصفياء لأهل الجرائم فانها ثابتة كما أثبتها في عدة مواضع من كتابه ، وذلك

---

(١) سورة طه / الآيه ١٠٩ .
(٢) سورة البقرة / الآيه ٢٥٥ .
(٣) أخرجه مسلم ١٨٢/١ .

لأنها دالة على كمال رحمته وعموم احسانه فانها من رحمته بالشافع والمشفوع له ، فالشافع ينال بها الأجر والثناء من الله ومن خلقه ، والمشفوع له يرحمه الله على يد من أذن له بالشفاعة فيه ، ومع هذا فلا يأذن لأحد أن يشفع الا فيمن رضي قوله وعمله وهو من كان مخلصا متابعا لرسول الله) [١] .

وقد أكد رحمه الله ونبه كثيرا على أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد وأما من سواهم فلا تنفعهم شفاعة الشافعين .

قال في خلاصة التفسير : (.... ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه الله ، ولا يرضى إلا عمن قام بتوحيده واتباع رسله ، فمن لم يتصف بهذا فليس له في الشفاعة نصيب ، وأسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه) [٢] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) [٣] .
(والله لا يأذن لأحد أن يشفع إلا فيمن ارتضى ولا يرتضى إلا توحيده واتباع رسله فمن لم يتصف بهذا فليس له في الشفاعة نصيب) [٤] .

وقال عند قوله تعالى : (وما من شفيع إلا من بعد إذنه) [٥] .
(فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة ، ولو كان أفضل الخلق حتى يأذن الله ، ولا يأذن إلا لمن ارتضى . ولا يرتضى إلا أهل الإخلاص والتوحيد له) [٦] .

---

(١) الحق الواضح المبين / ٦٠ .
(٢) الخلاصة / ١٣ .
(٣) سورة البقرة / الآية ٢٥٥ .
(٤) التفسير ١/ ٣١٤ .
(٥) سورة يونس / الآية ٣ .
(٦) التفسير ٣/ ٣٢٣ .

كلامه في الجنـــة :

ان الجنة هي دار كرامة الله لأولياء المؤمنين ، وهي شوى عباده الطائعين ، وقد أعد الله فيها من النعيم مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلـــب بشر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قـــال الله تعالى :

" أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علـــى قلب بشر " [1] قال أبو هريرة اقرؤوا ان شئتم : (فلا تعلم نفس ماأخفي لهم مـــن قرة أعين) [2] .

وقد تحدث ابن سعدى عن الجنة كثيرا ولا سيما في تفسيره للقرآن وتنـــاول وصف الجنة وما فيها من أنـــواع النعم وصنوف المتن ، بأسلوب جامع بليـــغ .

قال رحمه الله في وصف الجنة من حين دخولها الى مايلقاه المؤمنون فيهـــا من النعم : (حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فتلقاهم خزنة الجنة يسلمون عليهم ، ويهنئونهم بالنجاة من العذاب وحصـــول الخير والثواب والخلود الأبدى بسبب طيبهم ،فيقولون لهم سلام عليكم طبـــتم : أى طابت قلوبكم بالعقائد الصحيحة الصادقة ، والأخلاق الجميلة وألسنتكم بذكـــر الله والثناء عليه ، وجوارحكم بخدمته والقيام بطاعته ، فادخلوها خالدين .

فاذا دخلوها ورأوا مافيها من النعيم المقيم ما لاعين رأت ولا أذن سمعـــت

---

(١) أخرجه البخارى ٦ / ٢١ ، ومسلم ٤ / ٢١٧٤ ، وأحمد ٥ / ٣٣٤ .

(٢) ســـورة السجدة / الآية ١٧ .

ولا خطر على قلب بشر ، حمدوا الله على منته عليهم بالسوابق والايمان والأعمال الصالحة وبانجاز ماوعدهم به على ألسنة رسله ، وعلى أن الله أورثهم الجنة يتبوأون من خيراتها حيث يشاءون وأنى يشاءون مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من نعيم القلوب والأرواح ، ومن نعيم الأبدان والأجسام " على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون " خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قد جمع الله لهن حسن البواطن والظواهر فهن سرور وقرة النواظر.

وتمام ذلك أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا ، وأنه يقال لهم ان لكم ان تشبوا فلاتهرموا ، وان لكم أن تصحوا فلاتمرضوا أبدا ، وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، فلهم كل مايشاءون فيها وتتعلق به أمانيهم ، ولهم فوق ذلك مما لم تبلغه أمانيهم ،ولهم نعيم أعلى من ذلك كله وهو التمتع بالنظر الى وجهه الكريم ، وسماع خطابه والابتهاج برضاه وقربه ، والسرور بمحبته وذكره وحمده والثناء عليه وشكره ، مما يشاهدون من كثرة الخيرات ، وسوابغ النعم والهبات، وزيادة النعيم وتواصله ، ومما يزدادون من معرفته والأنس به . فتبارك الله ذو الجلال والاكرام) (١) .

وله رحمه الله خطبه بليغه ذكر فيها جملة كبيرة من أوصاف الجنة ونعيمها ضمن مجموعة خطبه " الفواكه الشهيه في الخطب المنبرية " قال في آخرها بعد تعداد جملة من أوصاف الجنة (... لمثل هذه الدار فليعمل العاملون وفي أعمالها الموصلة اليها فليتنافس المتنافسون فواعجبا كيف

---

(١) الخلاصة / ٢٧ ، ٢٨ .

نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب القرار في هـــذه الدار بعد سماع أخبارها ، وكيف قر للمشتاقين القرار دون معانقة أبكارهـا ، طريقها يسير على من يسره الله عليه وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي والتوبة والانابة اليه)[1] .

كلامه في الرؤيـــة :

وأما أعظم نعيم يناله المؤمنون في الجنة فهو رؤية الله عز وجل والتمتـــع بالنظر الى وجهه الكريم .

قال تعالى : (ان المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عـند مليك مقتدر)[2] .

وقال تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[3] .

وقال تعالى :(لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد)[4] .

والمراد بالمزيد والزيادة هنا ، رؤية الله عز وجل في الجنة ، قال ابـــن كـثير في تفسيره :

(وقد روى تفسير الزيادة بالنظر الى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديـق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد ابن المسيب وعبد الرحمـــن ابن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمه وعامر بن سعد وعطـــاء

---

(١) الفواكه الشهيه / ٥٠ .

(٢) ســورة القمر / الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) سورة يونس / الآيه ٢٦ .

(٤) ســورة ق /الآيــه ٣٥ .

والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن اسحاق وغيرهم من السلف والخلف ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم)[1] .

ومن هذه الأحاديث ما رواه الامام أحمد وابن ماجه من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا ويجرنا من النار ؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه ولا أقر لأعينهم "[2] .

قال ابن سعدي (... ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة ويتلذذون بالنظر اليه أعظم من سائر اللذات ويبتهجون بخطابه ويفرحون بقربه كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن وتواتر فيه النقل عن رسول الله)[3] .

وقد استدل على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأدلة كثيرة من القرآن الكريم .

فقال عن تفسيره لقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)[4] .
(أي : ينظرون الى ربهم على حسب مراتبهم فمنهم من ينظر كل يوم بكرة وعشيا ، ومنهم من ينظر كل جمعة مرة واحدة ، فيتمتعون بالنظر الى وجهه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤١٤ .

(٢) أحمد ٤/٣٣٢ ، ابن ماجه ١/٦٧ ، وصححه الألباني . انظر صحيح الجامع ١/٢٠٢ .

(٣) التفسير ٧/٥٩٠ .

(٤) سورة القيامه / الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

الكريم وجماله الباهر ، الذى ليس كمثله شئ ، فاذا رأوه نسوا ماهم فيه من النعيم ، وحصل لهم من اللذة والسرور مالايمكن التعبير عنه ، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا الى جمالهم) [(١)] .

وقال عند قوله تعالى :(لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) [(٢)] .

(... وأعظم ذلك وأجله وأفضله النظر الى وجهه الكريم والتمتع بسماع كلامه والتنعم بقربه) [(٣)] .

وقال عند قوله تعالى :(على الأرائك ينظرون) [(٤)] .

(الى ماأعد الله لهم من النعيم وينظرون الى وجه ربهم الكريم) [(٥)]

وقال عند قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [(٦)] .

(... ودل مفهوم هذه الآيه على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة) [(٧)] .

والمقصود أن الرؤيَة ثابتة للمؤمنين فسيرونه عيانا كما أخبر بذلك وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولاينكر ذلك إلا المعطلة من الجهمية وغيرهم .

وقد استدل هؤلاء المعطلة على عدم إمكان الرؤية بآيتين من القرآن وهما

---

(١) التفسير ٧/٥٢٦ ، ٥٢٧ .
(٢) سورة ق / الآيه ٣٥ .
(٣) التفسير ٧/١٥٧ .
(٤) سورة المطففين / الآيه ٢٣ .
(٥) التفسير ٧/٥٩٣ .
(٦) سورة المطففين / ١٥ .
(٧) التفسير ٧/٥٩٠ .

قوله تعالى : (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[(١)] .

وقوله تعالى : (قال ربي أرني انظر اليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني)[(٢)] .

وليس في الآيتين دليل لما ذهبوا اليه ، اذا فهمتا فهما صافيا خاليا من التحريف والتأويل .

وقد رد ابن سعدى عليهم في استدلالهم هذا عند تفسيره لهاتين الآيتين ، وبين أنه ليس فيهما دلالة لما ذهبوا اليه .

فقال عند الآية الأولى وهي قوله تعالى : (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[(٣)] .

(أى لاتحيط به الأبصار ، وان كانت تراه في الآخرة ، وتفرح بالنظر الى وجهه الكريم .

فنفي الادراك لاينفي الرؤية ، بل يثبتها بالمفهوم ، فانه اذا نفى الادراك الذى هو أخص أوصاف الرؤيه ، دل على أن الرؤية ثابتة . فانه لو أراد نفي الرؤيه لقال "لاتراه الأبصار" ونحو ذلك فعلم أنه ليس في الآيه حجه لمذهب المعطله الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة . بل فيها مايدل على نقيض قولهم)[(٤)] .

وقال عند الآية الثانية وهي قوله تعالى : (قال ربي أرني انظر اليك

---

(١) سورة الأنعام / الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الأنعام / الآية ١٠٣ .

(٤) التفسير ٢/٤٤٧ .

قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين)[1] .

(أى لن تقدر الآن على رؤيتي فان الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله ، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرون في الجنة . فانه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ، ويتمتعون بالنظر الى وجهه الكريم وأنه ينشئهم نشأة كاملة يقدرون معها على رؤية الله تعالى ، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل فقال مقنعا لموسى في عدم اجابته للرؤية : (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) اذا تجلى الله له (فسوف تراني) . (فلما تجلى ربه للجبل) الأصم الغليظ (جعله دكا) أى انهال مثل الرمال ، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها ...)[2] .

كلامه في النار :

وأما النار فهي دار أعدها الله لمن عصاه من الكفرة والمعرضين والمجانبين للصراط المستقيم ، وجعل لهم فيها من النكال والاغلال والويل والثبور ، حتى ينالوا بذلك جزاء كفرهم وأعراضهم .

قال تعالى : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين)[3] .

---

(١) سورة الأعراف / الآية ١٤٣ .

(٢) التفسير ٨٧/٣ ، ٨٨ .

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٣١ .

وقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون) [1] .

وقال تعالى : (وكفى بجهنم سعيرا ، ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) [2] .

يقول ابن سعدى في وصف النار ، وأهلها المستحقين لدخولها :

(.... فهي دار من طغى وبغى وتجبر على الخلق وآثر الحياة الدنيا ، دار الشقاء الأبدى والعذاب الشديد السرمدى ، دار جمع الله فيها للطاغين أصناف العذاب ، وأحل على أهلها السخط والسعير والحجاب ، دار اشتد غيظها وزفيرها ، وتفاقمت فظاعتها وحمى سعيرها قعرها بعيد وعذابها شديد ولباس أهلها القطران والحديد وطعامهم الغسلين وشرابهم الصديد ، يتجرعه المجرم ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت فيستريح من التنكيد ، يتردد أهلها بين الزمهرير المفرط برده وبين السعير ويلاقون فيها العنا والشقا فيا بئس الشوى ويابئس المصير ويلقى عليهم الجوع الشديد المفظع والعطش العظيم الموجع ، فيستغيثون للطعام والشراب ،فيغاثون من هذا العذاب بأفظع عذاب ، يغاثون بماء كالمهل وهو الرصاص المذاب ، خبيث الطعم منتن الريح حره قدتناهى ، اذا قرب من وجوههم اسقط جلدها ولحمها وشواها ، واذا وقع في بطونهم

---

(١) سورة التحريم / الآية ٦ .
(٢) سورة النساء / الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

صهرها وقطع معاهـا ، يغـلي طعام الزقـوم في بطونهم كغلي الحميـم ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الابـل العطاش الهيم ، هـذا نزلهم فبئس النزل غير الكريم)[١] .

وقال ايضا في تعداد صنوف العذاب وألوانه وأنواعه في جهنم :

(فتارة يعذبون بالسعير المحرق لظواهرهم وبواطنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ، وتارة بالزمهرير الذى قد بلغ برده أن يهرى اللحوم ويكسر العظام ، وتارة بالجوع المفرط والعطش والمفظع ، واذا استغاثوا لذلك أغيثوا بعذاب آخر ، ولون من الشقاء ينسى ماسبقه فيغاثون بطعام ذى غصه ، بشجرة الزقوم التى تخرج في الذى يوقد عليه في النار ، وان يستغيثوا للشراب يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، اذا قرب اليها فلايدعهم العطش مع ذلك أن يتناولها ، فاذا وصلت الى بطونهم قطعت أمعاءهم ولا يزالون في عذاب شديد لايفتر عنهم العذاب ساعة ، ولا يرجون رحمة ولا فرجا ...)[٢] .

فنعوذ بالله من جهنم وما قرب اليها من قول أو عمل .

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن :

وقد دل على وجودهما نصوص كثيرة في الكتب والسنة :

قال تعالى :(أعدت للمتقين)[٣] .

---

(١) الفواكه الشهيه / ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) الخلاصة / ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٣٣ .

وقال : (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله)[1]

وقال : (أعدت للكافرين)[2] .

وقال : (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا)[3] .

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تدل على ذلك :

منها حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا مات أحدكم فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار)[4] .

ومنها حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)[5] .

وقد أشار ابن سعدى في تفسيره الى مسألة وجود الجنة والنار وأنهما معدتان الآن ، وبين أن هذا هو الاعتقاد الصحيح الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، بخلاف ماذهب إليه المعتزلة بأنهما تخلقان يوم القيامة .

فقال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى (أعدت للكافرين)[6] .

---

(١) سورة الحديد / الآيه ٢١ .
(٢) سورة البقرة / الآيه ٢٤ ، وسورة آل عمران/ الآيه ١٣١ .
(٣) سورة الفرقان/ الآيه ١١ .
(٤) أخرجه البخارى ١٠٣/٢ ، ومسلم ٢١٩٩/٤ . وأحمد ٥١/٢ .
(٥) أخرجه البخارى ١٧٩/٧ ، وأحمد ٢٣٤/١ .
(٦) سورة البقرة / الآيه ٢٤ ، وسورة آل عمران / الآيه ١٣١ .

(هذه الآية ونحوها من الآيات فيها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة ان الجنة والنار مخلوقتان ، خلافا للمعتزلة)[1]

وبهذا نصل الى نهاية الفصل الثالث المتعلق بالايمان باليوم الآخر ، ويليه الفصل الرابع والأخير ، وهو عن تعريف الايمان وما يتعلق به من مسائل .

---

(١) التفسير ١ / ٦١ .

الفصل الرابع

جهوده في توضيح تعريف الإيمان

وما يتعلق به من مسائل

الفصل الرابع

تعريف الايمان و مايتعلق به من مسائل

يشتمل هذا الفصل على أمور كثيرة تتعلق بالايمان : تعريفه و العلاقة بينه وبين الاسلام ، و زيادة الايمان ونقصانه ، وحكم الاستثناء في الايمان ، وحكم مرتكب الكبيره .

وقبل الشروع في تعريف الايمان و مايتعلق به من مسائل ، أرى من المناسب أن أتكلم باختصار عن أهميته فأقول :

لايخفى أن للايمان أهمية بالغة اذ هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وأهل الجنة من أهل النار ، وهو الذى اذا كان مع العبد قبلت أعمال الخير منه ، واذا عدم منه لم يقبل له صرف ولاعدل ولا فرض ولا نفل فالايمان الصحيح المقرون بالعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه وأنه من أهل الرحمن و من الصالحين من عباد الله .

قال تعالى : (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[1] .

وقال تعالى :(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)[2] .

---

(١) سورة طه / الآيات ١٢٣ : ١٢٦ .
(٢) سورة يونس / الآيه ٦٢ .

وأهمية الشيء تظهر بمعرفة فوائده وثماره ، وقد عقد ابن سعدى في خلاصة التفسير فصلا خاصا بثمرات الايمان - ذكر تحته جملة كبيرة من ثمرات الايمان وفوائده .

قال فيه (اعلم أن خيرالدنيا والآخرة من ثمرات الايمان الصحيح ، وبه يحيى العبد حياة طيبه في الدارين ، وبه ينجو من المكاره والشرور ، وبه تخف الشدائد وتدرك جميع المطالب ، ولنشر الى هذه الثمرات على وجه التفصيل فان معرفة فوائد الايمان وثمراته من أكبر الدواعي الى التزود منه .

ثم شرع رحمه الله في ذكر تفاصيل ثمرات الايمان وفوائده واليك ملخصها :

فمن ثمرات الايمان وفوائده :

١) انه سبب رضا الله الذى هو أكبر شيء .

٢) أن ثواب الآخرة ودخول الجنة والتنعم بنعيمها والنجاة من النار وعقابها انما يكون بالايمان .

٣) أن الله يدفع ويدافع عن الذين آمنوا شرور الدنيا والآخرة .

٤) أن الله وعد المؤمنين القائمين بالايمان حقيقة بالنصر والتأييد .

٥) ان الهداية من الله للعلم والعمل ولمعرفة الحق وسلوكه هي بحسب الايمان والقيام بحقوقه .

٦) أن الايمان يدعو الى الزيادة من علومه وأعماله الظاهره والباطنة .

٧) أن المؤمن بالله وبكماله وعظمته وكبريائه ومجده أعظم الناس يقينا وطمأنينه وتوكلا على الله وثقة به .

٨) أنه لا يمكن العبد أن يقوم بالاخلاص لله ولعباد الله ونصحيتهم على وجه

الكمال الا بالايمان .

٩) أن المعاملات بين الخلق لاتتم وتقوم الا على الصدق والنصح وعدم الغش ولا يقوم بذلك حقيقة الا المؤمنون .

١٠) أن الايمان أكبر عون على تحمل المشقات والقيام بأعباء الطاعات وترك الفواحش التي في النفوس داع قوي الى فعلها .

١١) أن العبد لابد أن يصاب بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والايمان أكبر عون على تحمل هذه المصائب .

١٢) أن الايمان يوجب للعبد قوة التوكل على الله لعلمه وايمانه أن الأمور كلها راجعه الى الله ومندرجه في قضائه وقدره .

١٣) أن الايمان يشجع العبد ويزيد الشجاع شجاعة فانه لاعتماده على الله العزيز الحكيم ولقوة رجائه وطمعه فيما عنده تهون عليه المشقات ويقدم على المخاوف واثقا بربه راجيا له راهبا من نزوله من عينه لخوفه من المخلوقين .

١٤) أن الايمان هو السبب الأعظم لتعلق القلب بالله في جميع مطالبه الدينية والدنيوية .

١٥) أن الايمان يدعو الى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس ، واذا ضعف الايمان أو نقص أو انحرف ، أثر ذلك في أخلاق العبد انحرافا بحسب بعده عن الايمان .

١٦) أن الايمان الكامل يمنع من دخول النار بالكلية كما منع صاحبه في الدنيا

من فعل المعاصي والايمان الناقص يمنع الخلود في النار.

١٧) أن الايمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبرا عند الخلق أمينا . ويوجب للعبد العفة عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم .

١٨) أن قويّ الايمان يجد في قلبه من ذوق حلاوته ولذة طعمه واستحلاء آثاره. والتلذذ بخدمة ربه وأداء حقوقه وحقوق عباده التى هي موجب الايمان وأثره. فالمؤمن يتقلب في لذات الايمان وحلاوته المتنوعة .

١٩) أن الايمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الدين وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله .

ثم قال رحمه الله بعد ذكره لهذه الجملة الكبيرة النافعة من ثمرات الايمان :

وهذا كله من ثمرات الايمان ومن تمامه وكماله. وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الايمان ومترتب عليه ، والهلاك والنقص انما يكون بفقد الايمان أو نقصه) [1] .

وبعد هذا البيان الموجز لأهمية الايمان وما يترتب عليه من فوائد وثمار نشرع في تعريف الايمانِ وما يتعلق به من مسائل.

تعريف الايمان :

إن من أصولِ أهل السنة والجماعة : أن الايمانَ قولٌ وعملٌ قولُ القلبِ واللسانِ وعملُ القلبِ واللسانِ والجوارحِ [2] .

(١) الخلاصة / ١٣٠-١٣٤ .
(٢) العقيدة الواسطية لابن تيمية / ١٥٢ .

وقد دل على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسنة :

أما أدلة قول القلب وهو تصديقه وايقانه .

فمنها قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا)[1] ، وقوله تعالى :(والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، لهم مايشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين)[2] .

وقوله تعالى :(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين)[3] .

وغيرها من الآيات .

وأما أدلة قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والاقرار بلوازمها .

فمنها :

قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا وماأنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)[4] .

وقوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[5] .

---

(١) سورة الحجرات /الآيه ١٥ .
(٢) سورة الزمر / الآيه ٣٣ .
(٣) سورة الانعام/ الآيه ٧٥ .
(٤) سورة البقره / الآيه ١٣٦ .
(٥) سورة الأحقاف / الآيه ١٣ .

وقوله تعالى (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ...)[١]

وقوله عليه الصلاة والسلام : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ......"[٢] الحديث .

وغيرها من النصوص .

وأما أدلة عمل القلب وهو النية والاخلاص والمحبة والانقياد والاقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه .

فمنها : قوله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)[٣] .

وقوله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى)[٤] .

وقوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا)[٥] .

وقوله (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[٦] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : "إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ

---

(١) سورة القصص / الآيه ٥٣ .

(٢) أخرجه البخاري ١/ ١٠ ، ومسلم ١/ ٥٣ وغيرهما من حديث ابن عمر .

(٣) سورة الأنعام / ٥٢ .

(٤) سورة الليل / الآيه ١٩ .

(٥) سورة الأنفال / الآيه ٢ .

(٦) سورة الرعد / الآيه ٢٨ .

مانـوى[1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " قال الله تعالى :(أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيرى تركته وشركه) "[2].

وغيرها من النصوص .

وأما أدلة عمل اللسان والجوارح فكثيرة جدا : وعمل اللسان هو مالا يؤدى الا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك ، وعمل الجوارح هو مالا يؤدى الا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا الى المساجد والى الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، ومن أدلة عمل اللسان والجوارح :

قوله تعالى : (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور)[3] .

وقوله تعالى (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته)[4]

وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)[5] .

---

(١) أخرجه البخارى ١/ ٢ ، ومسلم ٣/ ١٥١٥ .

(٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٨٩ .

(٣) سورة فاطر / الآية ٢٩ .

(٤) سورة الكهف / الآيه ٢٧ .

(٥) سورة الأحزاب / الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان".[1]

وغيرها من نصوص الكتاب والسنة .[2]

وقد بين ابن سعدى هذا الأصل العظيم وأوضحه في كثيرمن مؤلفات وأشار الى كثرة أدلته واستدل له بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة .[3]

قال رحمه الله (الايمان اسم جامع لعقائد القلب وأعماله و أعمال الجوارح وأقوال اللسان فجميع الدين أصول وفروعه داخل في الايمان)[4] .

وقال : (الايمان الشرعي عند السلف شامل للعقائد الدينية وأعمال القلوب وأعمال الجوارح وفي هذا من النصوص مالا يعد ولا يحصى)[5] .

وقال : (أهل السنة والجماعة يعتقدون ماجاء به الكتاب والسنة من أن الايمان : تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح .

فيقولون : الايمان اعتقادات القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الايمان ، وأن من أكملها ظاهرا وباطنا فقد أكمل الايمان ومن انتقص شيئا منها فقد نقص ايمانه)[6] .

---

(١) أخرجه مسلم ٦٣/١ عن أبي هريرة .

(٢) وقد توسع الشيخ حافظ حكمي في ذكر الأدلة على ذلك في كتابه معارج القبول . انظر١٧/٢ ومابعدها .

(٣) انظرفي ذلك : توضيح الكافيه الشافية/١٣ ، والتفسير٤٢٠/١ ، ٤٢٤/١ ، ٩٦/٣ ، ١٠٢/٣ ، ٢٩٤/٧ ، وبهجة قلوب الأبرار /١٧ ، والخلاصة /١١ وغيرها .

(٤) سؤال وجواب /٨ .

(٥) توضيح الكافيه الشافية /٨ .

(٦) الفتاوى السعديه /١٧ .

العلاقة بين مسمى الايمان والاسلام :

ان اسم الايمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الاسلام . وتارة يذكر مقرونا به . فمن أمثلة ذكره مقرونا بالاسلام .

قوله تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) [١]

وقوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) [٢]

وقوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) [٣] .

وقول جبريل عليه السلام في حديث عمر بن الخطاب " ما الاسلام وما الايمان " [٤] .

ومن أمثلة ذكر الايمان مفردا .

قوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) [٥]

وقوله تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير . ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين) [٦] .

وقوله صلى الله عليه وسلم " الايمان بضع وسبعون شعبه أعلاها قول

---

(١) سورة الأحزاب / الآيه ٣٥ .

(٢) سورة الحجرات / الآيه ١٤ .

(٣) سورة الذاريات / الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) سورة الأنفال / الآيه ٢ .

(٦) سورة الحديد / الآيتان ٧ ، ٨ .

لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق " (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه " (٢) .

ومن أمثلة ذكر الاسلام مفردا :

قوله تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (٣) .

وقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٤) .

وقوله :(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (٥) .

وقوله : (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (٦) .

وعلى هذا فان الاسلام والايمان اذا اطلق أحدهما شمل الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله .

وأما اذا قرن بينهما وذكرا معا فعند ذلك يفترقان فيراد بالاسلام حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة .

---

(١) تقدم تخريجه .
(٢) أخرجه البخاري ١/ ٩ عن أنس بن مالك .
(٣) سورة آل عمران / الآيه ١٩ .
(٤) سورة المائدة / الآيه ٣ .
(٥) سورة آل عمران / الآيه ٨٥ .
(٦) سورة البقرة / ٢٠٨ .

ويراد بالايمان الاعتقادات الباطنة .

ومن تأمل حديث جبريل والنصوص المتقدمة وغيرها من النصوص عرف ذلك .

وقد أوضح ابن سعدى هذه العلاقة بين هذين الاسمين فقال :

(اعلم أن الايمان الذى هو تصديق القلب التام بهذه الأصول واقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الاسلام ، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها ، فهي من الايمان وأثر من آثاره .

فحيث أطلق الايمان دخل فيه ماذكر ، وكذلك الاسلام اذا اطلق دخل فيه الايمان ، فاذا قرن بينهما كان الايمان اسما لما في القلب من الاقرار والتصديق والاسلام اسما للأعمال الظاهره) [١] .

وقال في موضع آخر : (أما الاسلام فهو استسلام القلب لله وانابته ، والقيام بالشرائع الظاهرة و الباطنة ، وأما الايمان فهو التصديق التام والاعتراف بأصوله التى أمر الله بالايمان بها ، ولا يتم ذلك الا بالقيام بأعمال القلوب وأعمال الجوارح . ولهذا سمى الله كثيرا من الشرائع الظاهرة و الباطنة ايمانا ، وبعض الآيات يذكر أنها من لوازم الايمان فعلى هذا الايمان عند الاطلاق يدخل فيه الاسلام ، وكذلك العكس ، واذا جمع بين الايمان والاسلام فسر الايمان بما في القلب من التصديق والاعتراف ومايتبع ذلك ، وفسر الاسلام بالقيام بعبودية الله كلها الظاهرة والباطنة) [٢] .

---

(١) التفسير ١/١٤٤ .

(٢) الخلاصة / ١٩٩ وانظر ايضا سؤال وجواب/ ٥ .

زيادة الايمان ونقصانه :

ورد في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على أن الايمان يزيد وينقص ، يزيد بفعل الطاعات وينقص بارتكاب المحرمات .

قال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) [1] .

وقال تعالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) [2]

وقال تعالى : (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) [3] .

وقال تعالى : (وزدناهم هدى) [4] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم :

(يامعشر النساء تصدقن .. وفي الحديث : مارأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن) [5] .

وفي صحيح مسلم من حديث حنظلة الاسيدى قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت ياحنظلة ؟ قال قلت : نافق حنظلة،قال سبحان الله ماتقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيرا قال أبو بكر رضي الله عنه :

---

(١) سورة محمد / الآيه ١٧ .

(٢) سورة مريم/ الآيه ٧٦ .

(٣) سورة الأحزاب / الآيه ٢٢ .

(٤) سورة الكهف/ الآيه ١٣ .

(٥) البخارى ٢/١٢٦ ، ومسلم ١/٨٧ .

فوالله انا لنلقي مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبوبكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظله يارسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسي بيده ان لو تدومون على ماتكونون عندى وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن ياحنظله ساعة وساعة " ثلاث مرات .(١)

فهذه النصوص ظاهر الدلالة في أن الايمان يزيد وينقص اذ هي صريحة بذلك .

وقد تناول ابن سعدى هذه المسألة وبين ان الايمان يزيد وينقص يزيد بقوة الاعتقاد وكثرته وحسن الأعمال والأقوال وكثرتها وينقص بضد ذلك .(٢)

واستدل على ذلك بأدلة كثيرة اذكر بعضها :

قال عند تفسيره لقوله تعالى : (واذا ماانزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ، أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مره أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)(٣) .

---

(١) مسلم ٤/٢١٠٦ .

(٢) انظر سؤال وجواب / ٨ ، والفتاوى السعديه / ١٧ ، والتفسير ٦/٣٥ .
الخلاصة / ١٣١ ، وتوضيح الكافية الشافية / ٨ ، ٩ ، ١٣ . وغيرها .

(٣) سورة التوبة الآيات / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(.... وفي هذه الآيات دليل على أن الايمان يزيد وينقص ، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد ايمانه ويتعاهده فيجدده وينميه ليكون دائما في صعود) [(١)] .

وقال عند قوله تعالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) [(٢)] .

(... وفي هذا دليل على زيادة الايمان ونقصه كما قاله السلف الصالح ويدل عليه قوله تعالى : (ليزداد الذين آمنوا ايمانا) [(٣)] ، (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) [(٤)] .

ويدل عليه أيضا الواقع فان الايمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت) [(٥)] .

وقال في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ... " [(٦)] .

(... وهذا من أدلة السلف على أن الايمان يزيد وينقص ، وذلك بحسب علوم الايمان ومعارفه وبحسب أعماله .

---

(١) التفسير ٣/٣١٧ .
(٢) سورة مريم / الآية ٧٦ .
(٣) سورة المدثر / الآية ٣١ .
(٤) سورة الأنفال / الآية ٢ .
(٥) التفسير ٥/٣٢ .
(٦) أخرجه مسلم ٤/٢٠٥٢ .

وهذا الأصل قد دل عليه الكتاب والسنه في مواضع كثيرة)[1] .

مسألة الاستثناء في الايمان :

وهذه المسألة مترتبة على ماسبق بيانه من أن الايمان قول وعمل واعتقاد وأنه يزيد وينقص فاذا ثبت ذلك .

فإنه ينبغي الإنسان إذا قال أنا مؤمن أن يستثنى لأنه لا يستطيع أن يجزم بأنه كمّل الأعمال ، وإن جزم بذلك فقد زكى نفسه .

قال ابن سعدى بعد أن عرف الايمان وبين أنه أصل عظيم وأن أهل السنة والجماعة يعتقدون أنه قول وعمل واعتقاد (.... ويرتبون على هذا الأصل صحة الاستثناء في الايمان .

فيصح أن يقول : أنا مؤمن ان شاء الله لأنه يرجو من الله تكميل ايمانه فيستثنى من غير شك منه بحصول الايمان)[2] .

وقال في تفسيره لقوله تعالى (قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا ...)[3] .

(.. وفيه دلالة على جواز اضافة الانسان الى نفسه الايمان على وجه التقييد بأن يقول أنا مؤمن بالله ، كما يقول آمنت بالله بل هذا الأخير من أوجب الواجبات ، كما أمر الله به أمرا حتما بخلاف قول العبد : أنا مؤمن ونحوه فانه لا يقال الا مقرونا بالمشيئة لما فيه من تزكية النفس لأن الايمان المطلق يشمل القيام بالواجبات وترك المحرمات ، فهو كقوله أنا متقي أو ولي أو من

---

(١) بهجة قلوب الأبرار / ٣٣ وانظر ايضا التنبيهات اللطيفة / ٥٠ ، ٥١ .
(٢) الفتاوى السعديه / ١٨ ، ١٩ .
(٣) سورة البقرة / الآيه ١٣٦ .

أهل الجنه ، وهذا التفريق هو مذهب محققي أهل السنة والجماعة)[1] .

حكم مرتكب الكبيره :

قبل معرفة حكم الكبيره اذكر تعريف الكبيره ، فأقول :

اختلاف السلف في تعريف الكبيره الى أقوال متعددة :

فقيل : هي كل ذنب ختمه الله بنار أوغضب أو لعنه أو عذاب .

وقيل : هي ماأوعد الله عليه حدا في الدنيا أوعذابا في الآخرة .

وقيل : هي ماكانت المظالم فيه بين العباد أنفسهم .

وقيل : هي ماسماه الله في القرآن كبيرا أوعظيما .

وقيل غير ذلك .[2]

ومن أجمع التعاريف للكبيره : أنها كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخره أو ورد فيها وعيد بنفي ايمان أو لعن ونحوهما .[3]

أما حكم مرتكب الكبيره :

فان نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الدين بسبب ارتكابه للكبيره ، وانما ينقص ايمانه فلا يذهب عنه الايمان بالكلية بل يبقى معه مطلق الايمان .

---

(١) الخلاصة / ١١ ، وانظر التفسير ١/ ١٤٥ .

(٢) انظر في هذه التعاريف وغيرها مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٢٠ ، ومابعدها .

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٣٦٥ .

وارتكاب الكبيرة ليس سببا للخلود في النار فلا يخلد أحد في النار بسبب ارتكاب الكبيره لأنه لا يوجب الخلود في النار الا الاشراك بالله .

وهذا هو قول أهل السنه والجماعة ، وأدلة الكتاب والسنه جميعها متضافره على تقريره وتأصيله والرد على من خالفه .

أما الخوارج : فقد كفروا مرتكب الكبيرة وأخرجوه من الدين بالكلية وأوجبوا له الخلود في النار .

وأما المعتزلة : فقد وافقوا الخوارج في خلود مرتكب الكبيرة في النار . وأما في الدنيا فهو عندهم ليس مؤمناً ولا كافراً وانما في منزله بين المنزلتين .

وأما المرجئه الخالصة : فقالوا : "انه لا يضر مع الايمان معصيه كما لا تنفع مع الكفر طاعة" . فمرتكب الكبيره عندهم مؤمن كامل الايمان ولا يستحق دخول النار .

وهذه الفرق كلها جانبت الصواب وخالفت نصوص الكتاب والسنة والمذهب الحق في ذلك هو مذهب أهل السنه والجماعة لدلالة نصوص الكتاب والسنه عليه وهو وسط بين هذه المذاهب الضاله فمن مات على كبيره فأمره مفوض الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه واذا عاقبه بها فانه لا يخلد خلود الكفار بل يخرج من النار ويدخل الجنة . (١)

وقد اهتم ابن سعدى ببيان هذا الحكم والرد على من خالفه ، وذكر له أدله كثيره من الكتاب والسنه .

---

(١) انظر العقيدة الواسطيه شرح الهراس / ١٢١ ، ١٢٢ ، ولوامع الأنوار البهيه للسفاريني (٣٦٦/١) ، ومابعدها . ومعارج القبول للحكمي ٤١٧/٢ ومابعدها .

قال رحمه الله : (كبائر الذنوب وصغائرها لا تصل بصاحبها الى الكفر ولكنها تنقص الايمان من غير أن تخرجه من دائرة الاسلام ، ولا يخلد صاحبها في النار.

ولا يطلقون عليه اسم الكفر كما تقوله الخوارج ، أو ينفون عنه الايمان كما تقول المعتزلة ، بل يقولون هو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الايمان ، أما الايمان المطلق فينفى عنه)[1] .

وقد استدل ابن سعدى على أن الكبائر لا يكفر صاحبها ولا توجب الخلود في النار بأدله كثيره .

منها قوله تعالى : (فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف)[2] .

قال ابن سعدى : (في قوله (أخيه) دليل على أن القاتل لا يكفر لأن المراد بالاخوه هنا الأخوه الايمانيه فلم يخرج بالقتل منها .

ومن باب أولى سائر المعاصي التى هي دون القتل، ولا يكفر بها فاعلها وإنما ينقص بذلك ايمانه)[3] .

ومنها : قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . . .)[4] .

قال ابن سعدى : (. . . الايمان والاخوه الايمانيه لا يزولان مع وجود الاقتتال كغيره من الذنوب والكبائر التى دون الشرك ، وعلى ذلك مذهب

---

(١) الفتاوى السعديه / ١٨ .
(٢) سورة البقرة / الآيه ١٧٨ .
(٣) التفسير / ١/ ٢١٦ .
(٤) سورة الحجرات / الآيه ٩ .

أهل السنه والجماعة) [١] .

وقد استدل الخوارج والمعتزلة على مذهبهم الباطل بنصوص من القرآن ، من تأملها وجد أنها حجة عليهم لا لهم .

يقول ابن سعدى : (وكل مبطل يحتج بآيه أو حديث صحيح على قوله الباطل فلابد أن يكون فيما احتج به حجة عليه) [٢] .

ولذلك كان في تفسيره للقرآن اذا مر بآية استدل بها الخوارج والمعتزلة على مذهبهم الباطل ، بين أن في الآية المستدل بها حجة عليهم لا لهم [٣] .

ومن أمثلة ذلك استدلالهم بقوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) [٤] .

قال ابن سعدى : (ويدخل في اسم المعصيه الكفر فما دونه من المعاصي ، فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي فان الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب ، ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه دخل النار وخلد فيها .

ومن اجتمع فيه معصية وطاعة كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية .

---

(١) التفسير ٧/١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) التفسير ١/١٠٣ .

(٣) انظر التفسير ٧/٤٩٥ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٧ ، ٢/١٢٩ ، ٥/٤٩٦ ، ١/٣٣٨ ، ١/١٠٣ ، والتنبيهات اللطيفه / ٥١ وغيرها .

(٤) سورة النساء / الآيه ١٤ .

وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد غير مخلدين في النار)[1] .

ومن أمثلة ذلك أيضا استدلالهم بقوله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[2] .

قال ابن سعدى : (في هذا ان الربا موجب لدخول النار والخلود فيها ، وذلك لشناعته ، مالم يمنع من الخلود مانع الايمان .

وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها وانتفاء موانعها وليس فيها حجة للخوارج كغيرها من آيات الوعيد ، فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنه فيؤمن العبد بماتواترت به النصوص ، من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من الايمان من النار)[3] .

وانظر بقية الأمثلة على ذلك في الصفحات المشار اليها آنفا بالهامش ، تجد أن كل مبطل اذا استدل بنص صحيح على باطله يكون فيما استدل به حجة عليه .

وانما هدى الله أهل السنه والجماعة للحق في ذلك لجمعهم بين النصوص وتوفيقهم بينها ، لا كمايفعله المبطله من الأخذ بطرف من النصوص وتركهم طرفا آخر لاشتماله على رد عليهم .

---

(١) التفسير ٣٦/٢ ، ٣٧ .

(٢) سورة البقرة / الآيه ٢٧٥ .

(٣) التفسير ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ .

الجمع بين النصوص الوارده في خلود مرتكب الكبيرة في النار، وبين النصوص التى تدل على أنه لا يخلد في النار الا المشرك :-

قد يشكل على البعض ورود كثير من الآيات فيها ذكر خلود مرتكب الكبيرة ، وآيات أخرى فيها أنه لا يخلد في النار الا المشرك .

وقد أورد ابن سعدى هذا الاشكال وأجاب عنه جوابا شافيا فقال :

(ورد في القرآن عدة آيات فيها ذكر الخلود في النار على ذنوب كبائر ليست بكفر مثل قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (١) .

وقوله : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (٢) .

وقوله : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٣) .

فما الجمع بينها وبين النصوص المتواترة من الكتاب والسنة أنه لا يخلد في النار الا الكفار ، وأن جميع المؤمنين مهما عملوا من المعاصي التى دون الكفر فانهم لا بد أن يخرجوا منها ؟

فهذه الآيات قد اتفق السلف على تأويلها وردها الى هذا الأصل المجمع عليه بين سلف الأمه .

---

(١) سورة النساء / الآيه ٩٣ .

(٢) سورة النساء / الآيه ١٤ .

(٣) سورة البقرة / الآيه ٨١ .

وأحسن ما يقال فيها ان ذكر الخلود على بعض الذنوب التى دون الشرك والكفر أنها من باب ذكر السبب ، وأنها سبب للخلود في النار لشناعتها ، وأنها بذاتها توجب الخلود اذا لم يمنع من الخلود مانع .

ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن الايمان مانع من الخلود ، فتنزل هذه النصوص على الأصل المشهور وهو أنه لا تتم الأحكام الا بوجود شروطها وأسبابها وانتفاء موانعها ، وهذا واضح ولله الحمد مع أن بعض الآيات المذكور فيها مايدل على أن الخطيئة المراد بها الكفر ، لأن قوله (وأحاطت به خطيئته) دليل على ذلك ، لأن المعاصي التى دون الكفر لا تحيط بصاحبها ، بل لابد أن يكون معه ايمان يمنع من احاطتها ، وكذلك قوله : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها)[1] فالمعصية تطلق على الكفر وعلى الكبائر وعلى الصغائر ومن المعلوم أنه اذا دخل فيها الكفر زال الاشكال)[2] .

وبهذا التوفيق الذى ذكره ابن سعدى يزول هذا الاشكال ثم إن القاعده في الذنوب عند السلف :

أنها إن كانت دون الشرك فهي تحت مشيئة الله إن شاء عذب فاعلها وان شاء عفا عنه وان عذبه فإنه لا يخلد في النار .

وأما إن كان في الذنوب إشراك بالله فصاحبها خالد مخلد في نار جهنم ، دل على هذه القاعدة العظيمة قوله تعالى :

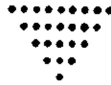
---

(١) سورة النساء / الآية ١٤ .
(٢) الخلاصة /١٨٨ ، وانظر ايضا التفسير ٢ /١٢٩ .

(ان الله لا يغفر أن يشرك بـــه و يغفر مادون ذلك لمن يشـــاء) [1]

و هذا آخر الحديث عن الايمان و مايتعلق به ، وبه نهاية الفصـــل الرابع من البـاب الثاني والأخير ..

والحمد لله رب العالمين ..



---

(1) سـورة النساء/ الآيتان ٤٨ ، ١١٦ .

الخاتمة

الخاتمـــة

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات ، أحمده على توفيقه ، وأثـــنى عليه الخير كله ، لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

وبعد : فقد تمت هذه الرسالة بحمد الله تعالى ، وقد عنيت فيهـــا ببيان جهود العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدى العقدية ، والتى تنمي عن حرصه الشديد وجهوده المكثفة لنصرة هذه العقيدة .

وعرضنا هذا لجهوده يبين لنا شدة عنايته بالعقيدة بجميع جوانبهـا ، فكما تقدم في الرسالة كان حديثه عن العقيدة شاملا لجوانب كثيرة وجزئيـــات متنوعة ونقاط متعددة من جوانب العقيدة ، شاملا أيضا للردود على كل مـــن خالف هذه العقيدة الصافية المأخوذة من الكتاب والسنة ، والتى لا فـــلاح ولا نجاح ولا سعادة الا بتحقيقها .

وكلامه في هذا كله مدعم بالأدلة النقلية ، أدلة الكتاب والسنة ، فهـــو في كل مسألة يبينها وينصرها ، وفي كل شبهة يدحضها ويبين بطلانهـــا وزيفها ، يستدل على ذلك بأدلة صحيحة صريحة واضحة في الـــدلالة علـــى المقصود ، لا لبس فيها ولا غموض ، بعيدة عن تكلفات الفلاسفة والمؤولـة والمعطلة وغيرهم ، فهو ينهج في تقريراته وردوده منهج السلف الصالـــح ، يترسم خطاهم ويسير على نهجهم ويقتفي آثارهم ، وقد استفاد كثيرا من كتب المتقدمين من علماء السلف وذلك لعنايته الشديدة بها .

كما تأثر رحمه الله بالعالمين الجليلين الذين خدما العقيدة خدمـــة جليلة ، وهما شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزيـــه ،

فقد استفاد رحمه الله كثيرا من كتبهما واعتنى بهما عناية شديدة فشرح بعضها واختصر بعضها واستخرج قواعد وضوابط من أكثرها ، وكان يثني عليهما ويحث طلابه على قراءتها وقد ظهر تأثره بهما في تقريراته وردوده في مؤلفاته .

كما عنيت في هذه الرسالة بدراسة شاملة لحياة ابن سعدى تناولت فيها جانبي حياته الشخصي والعلمي ، وقد ظهر لنا فيها حرص الشيخ منذ نشأته على طلب العلم وتحصيله فقد امضى حياته وافنى جميع أوقاته في العلم حفظا ودراسة وتحصيلا وعملا وتطبيقا وتدريسا لا يصرفه عنه أى أمر من الأمور .

وفي الحقيقة إن الشيخ ابن سعدى يعد شخصية علمية بارزة ، جديرة بالاهتمام من الباحثين ، فقد أدى رحمه الله دورا كبيرا في خدمة هذا الدين ونصرته ، عن طريق المواعظ والخطب والدروس العلمية والمؤلفات النافعة وغير ذلك ، فقد جلس للتدريس والتعليم أكثر من نصف قرن من الزمان حتى خرج أفواجا كثيرة من طلاب العلم . كما أخرج رحمه الله من المؤلفات العلمية القيمة النافعة ما يربو على اربعين مؤلفا تناول فيها العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك ، ومؤلفاته جميعها تمتاز بسهولة العبارة ، وقرب المأخذ ، والبعد عن التكلف وهي جديرة بالعناية من طلبة العلم .

وقد كان رحمه الله في حياته متصفا بجملة من الصفات الكريمة ، فكان متواضعا كريما بشوشا ، عطوفا على الفقراء مساعدا لهم ، محبا للخير مقدما عليه ، وكان محل اعجاب الناس وثنائهم ، فلا يذكر الا بكل خير ولا يوصف الا بكل حميد ، وكان محل ثناء العلماء ، فحمدوا فيه سعة علمه وحسن خلقه ، فرحمه

الله وغفر له واسكنه فسيح جناته .

هذا والله الكريم أسأل أن أكون قد وفقت فيما أردت بيانه في هذه الرسالة ، وأن يقيل عثراتي ويجنبني الزلل ، فهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ..

الفهارس العامة


١
فهرس الآيات القرآنية

(١) فهرس الآيات القرآنيـــة

---

* تنبيه : مابين القوسين رقم الآيــه ، ومابعده رقم الصفحة .

٣٧١ (٣٥) ٢٦٠ (٤٤) ٣٣٨ ، ٢٥٥ (٤٦) ٣٣٩ (٦٧) ٤ ، ٥ ، ٢٨٦ (٧٢) ٩٠ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، (٧٦) ٣١٧ ، (٨٨) ٢٦٤ (٩٢) ٣٢٥ (٩٦) ٤١٣ .

٦ - سورة الأنعام : (١٤) (١٨٠ (٣٨) (١٣١ (٥٢) ٤٣٩ (٧٥) ٤٣٨ (٨٨) ٣١١ (٩٠) (٣٢٢) (٩٣) ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ (٩٤) ٤١٥ (١٠٣) ٤٢٧ (١٢٤) ٣٠٥ (١٤٨) ١٣٨ (١٥١) ٢٢٤ ، (١٥٨) ١٩٠ ، ٣٨٥ (١٦٢) ٢٧٩ .

٧ - سورة الأعراف : (٤٠) ٢٥٠ (٥٥) ٢٤٧ ، ٢٤٨ (٥٦) ٢٤٧ (٥٩) ٢٢٠ ، ٢٧٠ (٦٥) ٢٢٠ (٧٣) ٢٢٠ (٨٥) ٢٢٠ (٩٤) ٢٩٨ (١٨٠) ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، (١٤٣) ٤٢٧ ، ٤٤٨ (١٩٩) ٣٣٣ .

٨ - سورة الأنفال : (٢) ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ .

٩ - سورة التوبة : (٦) ١٩٧ (٢٤) ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٤٤٦ (١٢٥ ، ١٢٦) ٤٤٦ (١٢٨) ٣٣٣ (٤٠) ١٩٢ (٥١) ١٢٣ (٦٥ ، ٦٦) ٢٧٤ ، (٩٦) ١٩٠ (١٠١) ٣٨٩ .

١٠ - سورة يونس : (٣) ٤١٩ ، ٤٢١ (١٩) ٢٧١ (٢٦) ٤٢٤ (٦٢) ٤٣٤ (١٠٦) ٢٨٠ (١٠٧) ٢٢٨ ، ٢٨٠ .

١١ - سورة هود : (٧) ٢٤٣ (١٨) ١٥٥ ، ١٦٨ (١٩) ٣٥٠ (٦٣) ٢٤١ (١١٩) ١٨٨ .

١٢ - سورة يوسف : (٥٣) ١٥٩ (١٠٨) ٣١٧ .

١٣ - سورة الرعد : (٢ ، ٣ ، ٤) ١٠٣ (١٦) ١٢٠ ، ٢٠٤ ، ٢٦٦ (١٩) ١١٩ .

٢

فهرس الأحاديث النبوية

(٢) فهرس الأحاديث النبوية


٣
فهرس الأعلام

(٢) فهـــرس الأعـــلام

---

* أوردت في هذا الفهرس الأعلام الذين رأيت الحاجة داعية الى ذكرهم ٠


٤
فهرس المراجع

(٤) فهرس المراجـــــع

مؤلفـات ابن سعـدى

١ - الأدلة القواطع والبراهين في ابطال أصول الملحدين ، ط المعـارف ، الرياض ،١٤٠٢ هـ .

٢ - انتصار الحق ، ط الأولى ، دار الثقافة . القاهرة ، ١٣٩٨ هـ .

٣ - الارشاد الى معرفة الأحكام ، ط ، المعارف ، الرياض ،١٤٠٠ هـ .

٤ - ارشاد أولي البصائر والألباب ط ، المعارف ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .
(وهو نفس الكتاب الذى قبله) .

٥ - بهجة قلوب الأبرار ، ط مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، الناشـــــر ، السعيدية ، الرياض .

٦ - التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الاعراب ، مخطوطه .

٧ - توضيح الكافية الشافية ، ط المطبعة السلفية ، القاهرة ،١٣٦٨ هـ .

٨ - التوضيح والبيان لشجرة الايمان ، ط مطبعة المشهد الحسيني ،القاهرة.

٩ - التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفـة ، ط مطبعة البيان ، بيروت .

١٠ - تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله ، ط داراحياء الكتب العربية .

١١ - تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط مطابع الدجوى : القاهــرة الناشر المؤسسة السعيدية بالرياض .

١٢ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، ط ،المعارف ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

١٣ - الحق الواضح المبين ، ط الطبعة السلفية القاهرة .

١٤ - حكم شرب الدخان ، ط ،المعارف ، الرياض ،١٤٠٤ هـ .

١٥ - الخطب المنبرية على المناسبات ، ط المدني ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ .

١٦ - الدرة البهية شرح القصيدة التائيه ، ط مطبعة المشهد الحسيني القاهرة ، ١٣٧٦ هـ.

١٧ - الدرة المختصرة في محاسن الدين ، ط مطبعة انصارالسنة المحمدية ، القاهرة ١٣٦٦ هـ .

١٨ - الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال العصرية داخلة في الدين الاسلامي ، ط ، مطابع الرياض ،١٣٧٦ هـ .

١٩ - الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، ط مطبعة المدني ، القاهرة .

٢٠ - رسالة في القواعد الفقهية - ضمن المجموع لمؤلفاته - ط ، مطابع الدجوى ، القاهرة ،الناشر:السعيدية .

٢١ - رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه - ضمن المختارات الجلية - ، ط الأولى ، مطبعة المدنى ،القاهرة ١٣٧٨ هـ .

٢٢ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ، ط الكيلاني ، القاهرة ، الناشرالسعيدية .

٢٣ - سؤال وجواب في أهم المهمات ، ط ، مطبعة دمشق ،١٣٧٢ هـ .

٢٤ - طريق الوصول الى العلم المأمول بمعرفة القواعد و الضوابط والأصـــول ، الكيلاني ، القاهرة ،الناشر السعيدية .

٢٥ - الفتاوى السعدية ، ط مطبعة الكيلاني ، الناشرالسعيدية الريـــاض .

٢٦ - فوائد قرآنيه ، ط الثانية ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٩٤ هـ .

٢٧ - فوائد مستنبطة من قصة يوسف (عليه السلام) ، ط مطبعة العلـــم ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ.

٢٨ - الفواكه الشهيه في الخطب المنبرية ،ط ، مطبعة دمشق ١٣٧٢ هـ .

٢٩ - القواعد الحسان لتفسيرالقرآن ،ط المعارف ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

٣٠ - القواعد والأصول الجامعة و الغروق والتقاسيم البديعة النافعة ، طبعة المدني ، القاهرة ،١٣٧٥ هـ.

٣١ - القول السديد في مقاصد التوحيد ، ط الثالثة ، مؤسسة النـــور ، الرياض ،١٣٩٠ هـ .

٣٢ - مجموع الخطب في المواضيع النافعة ، ط مطبعة أنصارالسنة المحمديـــة ، القاهرة ،١٣٦٦ هـ.

٣٣ - المختارات الجلية من المسائل الفقهية ، ط مطابع الدجوى ، القاهـــرة ،الناشرالسعيدية .

٣٤ - مختارات من الفتاوى - ضمن المختارات الجلية - ، ط مطابع الدجـــوى ، القاهرة ،الناشر السعيدية .

٣٥ - المواهب الربانية من الآيات القرآنيـــة ، ط ،المعارف ، الريـــاض ، ١٤٠٢ هـ .

٣٦ - المناظرات الفقهية - ضمن المختارات الجلية - ، ط مطابع الدجوى ، القاهرة ، الناشر السعيدية .

٣٧ - منظومة في أحكام الفقه - ضمن المجموع لمؤلفاته - ، ط مطابع الدجوى القاهرة ،الناشرالسعيدية .

٣٨ - منظومة في السير الى الله والدار الآخرة - ضمن المجموع لمؤلفاته - ، ط مطابع الدجوى ،القاهرة ، الناشرالسعيدية .

٣٩ - منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين - ضمن المختارات الجلية ، ط ١ مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ .

٤٠ - واجب المسلمين ، ط ، الثانيه ، مؤسسة النور ، الرياض ،١٣٨٩هـ

٤١ - وجوب التعاون بين المسلمين ، ط ،المعارف ، الرياض ١٤٠٢ هـ .

٤٢ - الوسائل المفيدة للحياة السعيدية ، ط الثانية مؤسسة النور ، الرياض .

مؤلفات أخرى

٤٣ - الابانه عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعرى ، ط الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ١٩٧٥ م .

٤٤ - أبو الحسن الأشعرى للشيخ حمادى الأنصارى ، طبع مؤسسة النور ، بالرياض .

٤٥ - اتحاف الجماعة للشيخ حمود بن عبد الله التويجرى ، ط ، الأولى ، مطابع الرياض ١٣٩٤ هـ .

٤٦ - اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ، ط مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

٤٧ - الاحتجاج بالأثر للشيخ حمود التويجري ،ط الأولى الرئاسة العامة لادارات البحوث العلميه والأفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ.

٤٨ - الآداب الشرعية ، لابن مفلح ، ط مطبعة المنار ،١٣٤٨ هـ .

٤٩ - الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، ط الأولى ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامي ، ١٤٠٤ هـ .

٥٠ - أضواء البيان ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ط عالم الكتب ، بيروت .

٥١ - الأعلام - لخير الدين الزركلي ،ط السادسة ، دار العلم للملايين بيروت . ١٩٨٤ م .

٥٢ - الاكليل في المتشابه والتأويل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، لابن تيمية ، د ط ، دار احياء التراث بيروت .

٥٣ - الامام ابن تيمية وقضية التأويل . لدكتور محمد السيد الجليند ، ط الثالثة طبع شركة عكاظ للنشر والتوزيع ، السعودية ١٤٠٣ هـ.

٥٤ - الايمان لابن تيمية ، ط الثالثة ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

٥٥ - بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي ، ط المكتبه العلميه ، بيروت .

٥٦ - بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال للشيخ السويح ، ط المطبعه السلفيه - القاهره ١٣٦٩هـ.

٥٧ - تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد ، للصنعاني ، ط ، الجامعة الاسلامية ،المدينة المنورة ،١٩٧٥م.

٥٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط ، دارالمعرفة ، بيروت ١٣٨٨.

٥٩ - التلخيص الحبير لابن حجر ، ط المطبعة العربية باكستان ، الناشر : ادارة البحوث الاسلامية . فيصل آباد .

٦٠ - تيسيرالعزيز الحميد ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ط الثالثة ،المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٩٧هـ.

٦١ - جامع البيان للطبري ، ط دار المعارف بمصر.

٦٢ - حلية الأولياء لأبي نعيم ، ط الثانيه دار الكتاب العربي ، بيروت. ١٣٨٧هـ .

٦٣ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ، تحقيق د . محمدرشاد سالم ، ط الأولى ، مطابع جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية ، ١٤٠٤هـ.

٦٤ - الدين - للدكتور محمد عبد الله درازط ، دارالقلم الكويت ، ١٤٠٠هـ .

٦٥ - الرد القويم على ملحد القيم للشيخ عبد الله بن علي بن يابس ، ط ، الأولى ، مطبعة الامام ، مصر .

٦٦ - الرسالة التدمرية ، لابن تيمية ،ط الثالثة ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ.

٦٧ - رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ، لأبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس . تحقيق د / علي ناصر فقيهي ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ.

٦٨ - الرسل والرسالات للدكتور عمر الأشقر ، ط الثانية ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٢ هـ.

٦٩ - الروح لابن القيم ، ط ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.

٧٠ - روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، للشيخ محمد بن عثمان القاضي ، ط الأولى ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ .

٧١ - زاد المعاد لابن القيم ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ط الثالثة مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ.

٧٢ - الزهر النضر في نبأ الخضر ، لابن حجر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية . ط ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة .

٧٣ - السبعينية لابن تيمية ، ضمن مجموعة الفتاوى المصرية ، ط مطبعة كردستان العلمية ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ.

٧٤ - سلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني ، ط ، الثالثة ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ.

٧٥ - سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ .

٧٦ - سنن أبي داود ، ط دار احياء السنة النبوية .

٧٧ - سنن الدارمي ، ط مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ .

٧٨ - سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط دار احياء التراث الاسلامي بيروت .

٧٩ - سنن النسائي ، ط الاولى ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .

٨٠ - السنه للمروزي ، ط دار الثقافة والنشر ، الرياض .

٨١ - شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعة للحافظ اللالكائي ، ط الأولى . دار طيبه - الرياض .

٨٢ - شرح السنه للبغوي ، تحقيق شعيب الأرناؤط و محمد زهير الشاويش ط الأولى ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٩٠ هـ .

٨٣ - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، ط . مكتبة الدعوة الاسلامية .

٨٤ - شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن خليل الهراس ، ط الرابعة ، مؤسسة مكة للطباعة ، توزيع الجامعة الاسلامية .

٨٥ - الشريعة للآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط الأولى ، مطابع الأشرف ، لاهور ، باكستان ، ١٤٠٣ هـ .

٨٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمه والتعليل لابن القيم . ط ، دار المعرفة ، بيروت .

٨٧ - الصحاح للجوهري ، ط الثانيه ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ .

٨٨ - صحيح البخاري ، ط المكتبة الاسلامية ، استانبول ، تركيا .

٨٩ - صحيح الجامع الصغير ، للألباني ، ط الثالثة ، المكتب الاسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ .

٩٠ - صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار احياء التراث العربي .

٩١ - طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى ، ط مطبعة السنة المحمدية .

٩٢ - عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى لابن العربي ، ط الأولى المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٥٠ هـ .

٩٣ - العقيدة في الله ، للدكتور عمر سليمان الأشقر ، ط الخامسة ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٤ م .

٩٤ - العقيدة الواسطيه ، لابن تيميه ، ط الرابعة ، طبعة الجامعة الاسلامية .

٩٥ - علماء آل سليم وتلامذتهم للشيخ صالح السليمان العمرى ، ط الأولى مطابع الاشعاع ، الرياض ١٤٠٥ هـ .

٩٦ - علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام . ط الأولى ، مؤسسة الخدمة الطباعية ، بيروت . ١٣٩٨هـ

٩٧ - فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لابن حجر ، ط دار المعرفة ، بيروت .

٩٨ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ .

٩٩ - فتح المعبود في الرد على بن محمود للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، ط الأولى ،مطبعة المدينة ١٣٩٩ هـ.

١٠٠ - الكشاف للزمخشري ، ط ، دار المعرفة ، بيروت .

١٠١ - كشف الظنون لحاجي خليفة ، ط دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ .

١٠٢ - لمعة الاعتقاد لابن قدامه المقدسي ، ط ، الرابعة ، المكتب الاسلامي ، بيروت .

١٠٣ - لوامع الأنوار البهيه للسفاريني ، ط مطبعة المدني ، القاهرة .

١٠٤ - مجمع الزوائد للهيثمي ، ط الثالثة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٤٠٢ هـ .

١٠٥ - مجموع الفتاوى لابن تيميه ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن محمد قاسم بمساعدة ابنه ، ط مكتبة المعارف ،المغرب.

١٠٦ - مختصر الصواعق المرسله لمحمد بن الموصلي ، ط دار الندوة الجديدة ، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٠٧ - مدارج السالكين لابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ.

١٠٨ - معارج القبول للشيخ حافظ حكمي ، ط المطبعة السلفية ،القاهرة

١٠٩ - معالم التنزيل للبغوي ، ط الأولى دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.

١١٠ - المستدرك للحاكم ، ط مطابع النصر الحديثة . الرياض .

١١١ - المسند للامام أحمد ، ط الأولى ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٨٩ هـ .

١١٢ - مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ط الثانيه ، باشراف دار اليمامه للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٤ هـ.

١١٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ط مكتبة بريل في مدينة ليدن .

١١٤ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار الكتب العلمية . ايران .

١١٥ - معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، ط دار احياء التراث ، بيروت .

١١٦ - مفتاح كنوز السنه ، ط مطبعة معارف لاهور ، باكستان ، ١٣٩٧ هـ .

١١٧ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ، الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

١١٨ - مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، تحقيق د . عبد الله التركي ، ط الأولى ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٩٩ هـ.

١١٩ - النبوات لابن تيمية ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٢٠ - النعت الأكمل لأصحاب الامام أحمد بن حنبل ، للشيخ محمد كمال الدين العامري ، ط دار الفكر ، دمشق ١٤٠٢ هـ.

١٢١ - نهاية البداية والنهاية ، لابن كثير ، ط الأولى ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ١٩٨٦ م .

المجـــلات

١٢٢ - مجلة الجامعة الاسلامية ، عدد ٤ ، السنة الحادية عشـــره ، ص ٢٠٥ ، مقال للدكتور عبد الرحمن العدوى .

١٢٣ - مجلة الجامعة الاسلامية ، عدد ٩٩ السنة الخامســة عشـــره ، مقال للشيخ عبد الكريم مراد .

١٢٤ - مجلــة العــرب ، عدد ربيع الأول / ١٣٩٣ هـ ، السنة السابعــة ص ٦٩٠ بعنوان : معجم المطبوعات العربية .

٥

فهرس الموضوعات

(٥) فهـــرس الموضوعـــــات

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

جهود الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في توضيح العقيدة

الموضـــوع	الصفحة